سر إسلام

رواد الفكر الحر في أوروبا وعلماء الدين المسيحي الأجلاء

مع بشارات بنبوة محمد ﷺ من التوراة والإنجيل

إعداد وجمع
محمد عبد العظيم علي

دار المنارة

سر إسلام

رواد الفكر الحر في أوروبا

وعلماء الدين المسيحي الأجلاء

مع بشارات بنبوة محمد ﷺ من التوراة والإنجيل

سِرُّ إِسْلَامِ

رُوَّادِ الْفِكْرِ الحُرِّ فِي أُورُوبَّا
وَعُلَمَاءِ الدِّينِ المَسِيحِيِّ الأَجِلَّاءِ

مَعَ بِشَارَاتِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ

إعداد وجمع
محمد عبدالعظيم علي

دار المنارة
للنشر والتوزيع والترجمة
المنصورة - مصر - ص.ب : ٣٥٧٣٨
ت: ٠٠٢٠٥٠/٣٨٤٢٥٤ - ف : ٣١٠٥٠١
محمول : ٠١٢/٣٦٠٥٠٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدمـة

ظاهرة دخول الناس الإسلام لا تقتصر على فرد أو أفراد، وإنما هي ظاهرة عامة تشمل الشمال والجنوب والشرق والغرب، وتحدث لا كل عام أو كل شهر وإنما تحدث كل يوم بل كل ساعة. ولم تعد تقتصر على أناس في مستوى تعليمي معقول أو متوسط، وإنما تتركز أكثر على العلماء والخبراء والمتخصصين ورجال الدين المسيحي، وعلماء اليهود وغيرهم. وبينهم الحاصلون على درجات علمية رفيعة.

وكان[1] الكثير من رجال السياسة والمستشرقين خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، يتنبئون باختفاء الإسلام تمامًا من على الكرة الأرضية، في غضون حياتهم. وانطلقوا يدرسون الإسلام كحضارة وشيكة الانهيار، ويسجلون معالمها في مختلف المجالات من أجل تعريف الأجيال القادمة بها.. إذ قد لا يكون من حظ هذه الأجيال مشاهدة شيء منها.

ولكن مما يثير الدهشة فعلاً أن موقف المستشرقين من الإسلام، قد اختلف منذ عشرينات القرن العشرين، وكان ذلك بداية أخرى لتغييرات جديدة تتسم بالإيجابية والموضوعية، إذ لم تعد كما كانت دراسة الإسلام على طريقة لورنس العرب لصالح الإمبريالية البريطانية، بل تولته نخبة من الأكاديميين

(١) الإسلام عام ٢٠٠٠، مراد هوفمان ـ الشروق ـ القاهرة ١٩٩٥.

الأوروبيين (منهم من ورد ذكرهم في هذا الكتاب وغيرهم أكثر) ومنهم من أعلن إسلامه، وآخرون لم يعلنوا إسلامهم مثل جاك بيرك، ولويس ماسنيون، ودنيس ماسون، وآنا ماريا. وكثير من هؤلاء وغيرهم من زملائهم، تحلّوا في دراستهم للإسلام بروح التعاطف والاعتناق بدلاً من الإشمئزاز والضيق.

ومنذ الثلاثينات، وُضعت حركات إحياء الإسلام من القاعدة في معظم البلاد الإسلامية في الأجندة السياسية لكل بلد. وإحياء الإسلام لم يجئ من القاعدة فقط، فالحركة الوهابية والحركة السنوسية، وإلى حدما حركة محمد عبده، جاءت من أعلى، وانتشرت بفضل الامكانيات المادية. وأصبح ضمن المسلمين من يعدّون من أغنى أغنياء العالم اليوم، مما يعطي الدعوة الإسلامية ثراء فعالاً. وعلى سبيل المثال ملايين نسخ القرآن الكريم وترجماته إلى لغات العالم التي توزع مجانًا حيث يتم طبعها وتوزيعها وتوزيع الكتب الإسلامية في مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة.

والخلاصة أن هذا التطور، أخذ في نظر الغرب صورة التهديد الأصولي له، مما جعل الإسلام يحتل القمة في ما يشغل الإعلام العالمي في الربع الأخير من القرن العشرين.

وكل التوقعات اليوم لا أن يختفي الإسلام وإنما أن يمتد وينتشر بل وينفجر .. فضلاً عن أن جنرالات الناتو يضعون في حسبانهم أن أكثر المواجهات العسكرية احتمالاً في المستقبل لن تكون بين الشرق والغرب، ولكن بين الشمال والجنوب. فالإسلام هو العدو المتنامي المرتقب في نظر الغرب.

وتنتشر المساجد اليوم في العالم كله بين لوس انجلوس، وروما، وزغرب والمانيا (٧٠٠ مسجد) حتى موسكو وبكين. وفي قرطبة الحاضرة القديمة

للخلافة الأموية في الأندلس أسس المسلمون الأسبان عام ١٩٩٤ الجامعة الإسلامية الدولية «أفيرس»، ليس بعيدًا عن الجامع الرائع القديم في قرطبة، حيث يرفع الآذان من جديد . يا لها من معجزة أن يحدث هذا بعد خمسمائة سنة فقط من طرد آخر مسلم من الأندلس.

ولقد كانت توقعات محمد أسد (ليوبولد فايس) في كتابه العظيم «الإسلام على مفترق الطرق» الذي كتبه في دلهي عام ١٩٣٤، هو صعود الإسلام في مقابل انحطاط الحضارة الغربية المادية ، حيث ينتهي المطاف بالغرب إلى التطلع مرة ثانية إلى الحقيقة الروحية التي افتقدها في ظل حضارته المادية ، وتصبح الدعوة للإسلام متاحة بنجاح من جديد.

ولقد ظلت توقعات محمد أسد غير موثوق بها وغير مصدق بها طوال ستين عاما.

واليوم بعد انقسام الغرب إلى معسكرين، وبعد إفلاس النظام والعقيدة الشيوعية منذ ١٩٩٠ فإن علامات الخطر تنذر بأزمة أخلاقية عاصفة في الغرب، تؤدي إلى تغيير المسيحية لمشروعها، وأصبح ما يسمى «بمشروع التحديث» يتساقط أمام الأنظار اليوم.

* * *

ومن معالم التغيير أيضًا وبشائر المستقبل إن شاء اللّه ما نراه ونسمعه من قلق علماء ومفكري وفلاسفة وعظماء الغرب وإحساسهم بالمخاطر القادمة.. ولقد عبر عن ذلك أحسن تعبير الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا في مرات متكررة؛ ففي كلمة ألقاها يوم ١٩٩٦/١١/١٣ (كما نقلتها لنا جريدة الشعب العدد

١١٣٢ بتاريخ ١٩٩٧/١/٢٨) عبر فيها عن إيمانه بالدعوة العالمية للإسلام، إلى درجة أنه لا يمكن لأي يهودي أو مسيحي أن يفهم دينه أو أن يكون صحيح الإيمان إلا إذا تعرف على الإسلام. ومن حديثه: "إن الثقافة الإسلامية في شكلها الأصلي قد سعت إلى المحافظة على الرؤية الروحية الجامعة للعالم كله بطريقة لم نحاول إتباعها في الأجيال الأخيرة في الغرب. هناك الكثير الذي يمكننا أن نقتبسه من العالم الإسلامي في رؤيته للكون.

فرؤية الإسلام للعالم يمكنها أن تساعدنا على فهم الروحانيات الأساسية في ديانتنا (أي: المسيحية).

وأشار إلى أن الإسلام يحمل رسالة حضارية إلى الغرب عليه أن يتعلمها منه فهو يقول:

«إن الحضارة الإسلامية في حقيقتها لها رسالة مهمة تقدمها للغرب. وذلك بنظرتها المتكاملة والمتحدة لقدسية العالم الذي يحيط بنا . وإني أشعر أننا هنا في الغرب يمكن أن نساعد في إعادة اكتشاف جذور تفهمنا للحياة . وذلك بتقدير ذلك الاحترام العميق في التعاليم الإسلامية لنظام الكون الذي أبدعه الخالق».

وفي تحليل رائع انتقد الأمير تشارلز الحضارة الغربية . فذكر أن الجوانب الروحية فيها لا تحظى بالاحترام. وهو ما جعل الأفراد يخافون حتى من ذكر اسم اللّٰه لكي لا يكونوا مثارًا للاستخفاف وللسخرية.

ووجه انتقاده إلى المذهب المادي الذي يمثل الأساس الفلسفي والفكري والمعرفي للحضارة الغربية القائمة اليوم. وأشار إلى نتائجه المدمرة على الحضارة

الغربية خاصة، وعلى الإنسانية عامة. فقد دعا المذهب المادي إلى اعتبار الروحانيات والمقدسات والغيبيات خارج موضوع العلم. ففصل العلم عن الدين. وجعل من الإنسان مادة فقط وأهمل الجانب الروحي بداخله . ونظر إلى الكون باعتباره مالكًا له. ومن ثم فإنه يستطيع أن يستغله كما يحلو له دون نظر إلى القوانين التي وضعها الخالق لتحقيق التوازن الداخلي له.

وتجلت وحشية الانماط الغربية للتنمية والتطبيق التكنولوجي للعلوم. لأنها انفصلت عن الجانب الأخلاقي، وتدثرت بنزعة استعلائية متألهة أدت إلى نتائج وخيمة ومدمرة تعكس فقدان الإحساس بالمسئولية تجاه الكون والبشر الذين يشتركون مع الغرب في العيش في هذا الكون.

ويتبنى الأمير تشارلز رؤية انتقادية حادة في مواجهة الكنيسة وكبار المسئولين فيها، ويشكك في قدرة الكنيسة البريطانية على توفير القيادة الروحية للمجتمع خلال القرن المقبل (الواحد والعشرون). وهو يريد أن يجعل من المجتمع البريطاني مجتمعًا متعدد الثقافات. ويريد أن يجعل من نفسه ملكًا لكل مواطني بريطانيا وليس فقط للمسيحيين، وهو يضع في اعتباره وجود ثلاثة ملايين مسلم بريطاني لم يتم الاعتراف بهم كأقلية. برغم أنهم أكثر من عدد اليهود.

أثارت كلمته هذه عواصف مدوية في المجتمع البريطاني وفي الصحف... وبرغم ردود الفعل الغاضبة ضد الأمير تشارلز التي اتخذت طابعًا هجوميًا ضد الإسلام وتوجيه اللوم للأمير، واتهامه بأنه يمارس نوعًا من الإرهاب المعنوي المبطن، وبأنه باستناده إلى الإسلام وتركه تراث الاستنارة الغربي قد صار أصوليا (أي متطرفًا بتعبير دعاة الاستنارة الغربية).. إلا أن أحدًا لم يقم بالدفاع عن

الثغرات الخطيرة التي تواجه الحضارة الغربية .. وهو ما يعني أن الحضارة الغربية تواجه أزمة حقيقية، وأنها تعاني إفلاسًا.

* * *

هكذا تتضح أمامنا الرؤية وستتضح أكثر بعد الاطلاع على صفحات هذا الكتاب، عن الفرص المتاحة أمام الإسلام كدعوة عالمية وأيديولوجيه إنسانية ومنهج كامل متكامل يرقى بالإنسان إلى «أحسن تقويم» بعودته إلى الفطرة التي فطره الله عليها. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)﴾ [الروم :٤-٥] ، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)﴾ [فصلت: ٥٣].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الإسكندرية في: ١٥/٧/٢٠٠٠م

محمد عبدالعظيم علي

الفصل الأول

إِسْلَامُ رُوَّادِ الْفِكْرِ الْحُرِّ فِي أُورُوبَّا

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾
[فاطر:٢٨]

- ❑ ١ـ محمد أسد (ليوبولدفايس) النمسا.
- ❑ ٢ـ مراد هوفمان (فلفريد هوفمان) ألمانيا.
- ❑ ٣ـ موريس بوكاي فرنسا.
- ❑ ٤ـ رجاء جارودي (روجيه جارودي) فرنسا.
- ❑ ٥ـ عبدالهادي هوفمان (كريستيان هـ . هوفمان) ألمانيا.

* * *

[١]
مسلم قادم من الغرب[(١)]

(محمد أسد ـ ليوبولدفايس) (النمسا)

قصـــتــه:

يقول عن نفسه: «إن قصتي هذه لا تخرج عن كونها قصة اكتشاف رجل أوروبي للإسلام؛ فأصبح بعدها جزءًا لا يتجزأ من البيئة الإسلامية». وَيُشَبِّهُ نفسه بشخص كان يقف على جانب نهر، ثم اجتاز الجسر إلى الجانب الآخر.

وُلِدَ بالنمسا في أسرة يهودية عام ١٩٠٠، وتُوُفِّيَ عام ١٩٩٠، وكان جده حاخامًا، وكان أبوه يلح عليه أن يقضي الساعات الطوال في دراسة الكتب المقدسة، وهو لم يتجاوز بَعْدُ الثالثة عشرة من عمره.

سافر في طول البلاد الإسلامية وعرضها، إذ قضى سنوات من الصداقة الحميمة مع أولي الأمر في الجزيرة العربية، وسنوات من الهيام في الصحاري والكثبان، وإقامات طويلة في المدينة المنورة، سعى فيها إلى توسيع معرفته بالإسلام، في مسجد الرسول ﷺ، وقام بالحج مرات.

كما سافر إلى الهند، واجتمع بالشاعر الفيلسوف الإسلامي محمد إقبال، الأب الروحي لفكرة باكستان. ودعته حكومة باكستان عام ١٩٤٧ إلى تنظيم دائرة إحياء الإسلام، التي كان عملها هو تحسين المفاهيم للفكرة الإسلامية عن الدولة والجماعة.

(١) «صيحة مسلم قادم من الغرب»، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة الإسكندرية.

وتعطينا الوظائف التي تقلدها فكرة عن نشاطه السياسي؛ فقد بدأ بوظيفة مراسل للصحف الأوروبية، متجولًا بين أقطار الشرق الأوسط، ثم عُيِّنَ بوزارة الخارجية الباكستانية رئيسًا لقسم الشرق الأوسط، وانتقل بعد ذلك إلى نيويورك كأحد أعضاء وفد باكستان في الأمم المتحدة، وقد جعلته هذه الأعمال كُفُؤًا للإفتاء، والكتابة في موضوعات شتى.

❑ **دراسته للأديان:**

في السنوات المبكرة من حياته، أثناء صباه، لم تأت دراسته للعلوم الدينية على يد أساتذة متخصصين بالثمرة المرجوة لأن مفهوم الدين لم يعد له معنى عنده. فقد انتابه شعور بالاستعلاء والشموخ نحو كثير من مقومات المعتقد اليهودي. فإن العهد القديم جعل اللّٰه تعالى يبدو لا كخالق للناس أجمعين وربهم وأنما كإله قبلي يكيف الخلق كله حسب حاجات شعب مختار.

وعندما يئس من اليهودية ، فكر في المسيحية بعض الشيء لأن مفهومها عن اللّٰه في نظره أسمى وأفضل من مفهوم العهد القديم. إذ افترضت أبوّة اللّٰه للإنسانية جمعاء. ولكنه عاد فلاحظ أن ما ينتقص من عالمية المسيحية التمييز بين الروح والجسد، بين عالم المعتقد وعلم الشئون العملية. فكانت النتيجة أن السياسة والتجارة قد تطورتا في أوروبا في اتجاه مخالف لذلك الذي كان المسيح قد دعا إليه.

وبهذه النظرة خلص إلى فشل الدين الذي اعتقده الغرب. وعلل ذلك بعدم تزويد أتباعه بإرشاد ثابت مقرر في شئونهم الدنيوية . فكيف يستطيع العالم الغربي بدون الإيمان الثابت أن يتغلب على فوضاه الأدبية والأخلاقية الحاضرة؟

وأدرك أن الإسلام ليس دينا بالمعنى الشائع للكلمة، بمقدار ما بدا له أنه

طريقة للحياة لا نظامًا لاهوتيًا وإنما منهاج للسلوك الشخصي والاجتماعي قائمًا على ذكر اللّه وأدهشه معرفة أن الصلاة ليست منفصلة عن يوم عمل المسلمين أو مستقلة عنه. بل هي قسم منه، لا يقصد بها مساعدتهم على نسيان الحياة، وإنما تهدف إلى تعاونهم على تذكرها، عن طريق ذكر اللّه بطريقة أفضل.

وظل إيمانه يصاحبه فلم يتخل عنه، فكان يشكل دافعًا له لاستمرار الحياة في أشد الساعات ظلامًا . فقد ضل مرة في الصحراء وبقي ثلاثة أيام لم يذق قطرة ماء، وتدهورت حالته حتى انتابته الحمى، وكاد يدخل في مرحلة النزع الأخير، فوسوس له الشيطان بإنهاء آلامه بيده. ولكنه تذكر الآية الكريمة وشعر بشفتيه تتحركان بها: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٥].

الإنسان: في استعراضه للفكر الفلسفي والديني ، رأى أن خضوع الإنسان لأوهام السحر والخيالات الكهنة قديمًا جعلته عبدًا ذليلاً لها ، فضلاً عن خوفه من الطبيعة وتقلباتها. وهذا الخضوع يشبه في العصر الحديث استكانة الإنسان المعاصر للفلسفة الماركسية التي تقتل حرية الفرد وتطلعاته. مما أثار ضدها فلسفات مضادة كالوجودية.

ويقارن مكانة الإنسان بين الأديان والملل السائدة. فالنصرانية تؤمن بفكرة خطيئة الإنسان الموروثة، وتنظم عالم المادة على أنه شيطاني ، وعالم الروح على أنه إلهي وخير. والهندوكية تعتقد في التناسخ أو ولادة الأرواح. وتزعم أن الإنسان دنس فيدفعه ذلك إلى التخبط.. والبوذية ترى انعدام النفس الجزئية، والفلسفات في الغرب تلخصها في كلمة واحدة " مملكتي هي في هذا العالم"

وبمثل هذه الافكار يصبح الإنسان إما مسلوب الإرادة منكمشًا.. فيعرقل نشاطه وتتبدد قواه.. أو تدفعه للإحساس بالغرور، وكأنه يشارك القدرة الالهية في هذا الكون. أما الإنسان في عقيدة الإسلام فهو مخلوق طاهر وتام ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وتمام الآية: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ﴾[التين:٤،٥] فيستطيع الإنسان الاحتفاظ بكماله الشخصي أو استعادته لو فقده، إذا أدرك بوعيه الكامل وحدانية اللّٰه تعالى ثم يتقيد بشرائع الله. والمسئولية فردية، وكل مسلم رهين بما كسب. ويسلك الإسلام بالإنسان طريقًا وسطًا فيعلمه الدعاء: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾[البقرة: ٢٠٠]. وبذلك تتجلى ميزة الإسلام في إطلاق الإنسان من عقال تصورات الأديان الأخرى، بإرشاده عمليا إلى طريق توفيقي بين متطلبات الروح والجسد، فتمضي الحياة من خلال البشر على اختلاف قدراتهم ومواهبهم واستعداداتهم، ويتحركون بحرية داخل دائرة الإسلام.

❑ النبي ﷺ :

يقول محمد أسد: «نحن المسلمين نعتقد أن نبينا ﷺ أحسن قائد عرفته البشرية. ونحن نعتقد بطبيعة الحال أنه كان يعرف أمر الدين بناحيتيه الروحية والاجتماعية ، أكثر مما استطعنا نحن أن نعرفه. فإذا أمرنا النبي بشيء أو نهانا عن شيء، فلأنه كان أمرًا مقدرًا يرى هو أنه لصالح الناس».

❑ الأمة:

كان واضحا في ذهن محمد أسد أن الأمة الإسلامية أمة أيديولوجية، أي أنها تجمع أفرادها وجهة نظر مشتركة في مقاصد الحياة، وميزان مشترك للقيم الأخلاقية. فترتقي إلى أعلى درجة يمكن للإنسانية أن تنشدها. وبهذا يعطي

الإسلام للحياة البشرية صورة أكمل وأتم من ذلك المجتمع الذي يقوم على روابط عنصرية أو لغوية أو جغرافية.

❑ الدين والعلم:

مشاهد التاريخ في الغرب تثبت التنافر الشديد بين الدين والنهضة الأوروبية. لأن النظام الديني هناك يطوي في نفسه احتقار الحياة واحتقار الطبيعة، مما لا يحث الإنسان على النشاط وبذل الجهود في مجال المعارف الدنيوية، ولا في مجال تحسين أحوال الحياة على الأرض.

ولهذا فإن محمد أسد يرى أن الإسلام هو الذي جعل المسلمين عظماء وحمّلهم تبعة قيادة العالم استدلالاً بقوله تعالى :. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران:١١٠] وحثهم القرآن على النظر والبحث في عجائب المخلوقات.. وامتاز الإسلام باعلاء قيمة العقل والنظر والبحث العلمي. وحثهم الحديث النبوي كذلك "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"، "العلماء ورثة الأنبياء"، "من خرج في سبيل العلم، فهو في سبيل اللّٰه حتى يرجع"، "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل اللّٰه له به طريقًا إلى الجنة". وقد قدر للعبقرية الإسلامية أن تظهر آثارها في علوم كثيرة عندما استجاب المسلمون لما حثهم عليه نبيهم.

❑ تقييمه لبعض الأحداث المعاصرة في العالم الإسلامي:

كان محمد أسد يعيش في قلب أحداث هامة لا نستطيع إغفال تقويمه لها:

❑ قضية فلسطين:

أحس منذ البداية بأن ادعاء اليهود بأن لهم وطن قومي في فلسطين أنها

فكرة مصطنعة من أساسها. وأنها تهدد بنقل جميع مشاكل الحياة الأوروبية وتعقيداتها غير القابلة للحل إلى بلد كان يمكن أن ينعم بقدر أكبر من السعادة دونها.

وفسر تصريح بلفور عام ١٩١٧ بأنه مناورة سياسية ظالمة قصد منها تغذية المبدأ المشترك بين الدول المستعمرة جميعًا. وهو مبدأ "فرق تسد"، بعد قرون من حسن الجوار بين المسلمين واليهود في المنطقة.

وفي حوار دار بينه وبين حاييم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية لم يؤيده محمد أسد في رأيه الزاعم بأن اليهود يستعيدون أرضًا انتزعت منهم . وواجهه محمد أسد بالحقيقة التاريخية التي تثبت ابتعاد اليهود عن فلسطين قرابة ألفين من السنين، ولم يحكموا فلسطين كلها أقل من خمسمائة عام.

وبهذا المنطق جابهه بالسؤال التالي " ألا تعتقد أن العرب باستطاعتهم على هذا الأساس نفسه أن يطالبوا لأنفسهم بأسبانيا لأنهم على كل حال حكموا في أسبانيا سبعمائة سنة تقريبًا، ولم يفقدوها تمامًا إلا منذ خمسمائة سنة فقط؟"

وأمام الامتعاض الذي قوبل به محمد أسد من وايزمان ومن الحاضرين، تعجب من أمة عانت ضروبًا من الجور عبر تاريخها الطويل، وهي تحاول الآن إنزال الظلم الفادح بأمة أخرى كانت بريئة من كل آلام اليهود الماضية.

وقدم له وايزمان اثناء حديثه معه دليلاً آخر على سوء نواياهم تجاه العرب لأن العرب كانوا الأكثرية في فلسطين حينذاك. فقد كانوا عام ١٩٢٢ خمسة من العرب مقابل كل يهودي واحد.

وظن محمد أسد أنه أفحم محدثه بهذه الإحصائية العددية وما سيستتبعها

من عقبات تعرقل قيام الوطن اليهودي، ولكن وايزمان بادره قائلاً بجفاء وهو يهز كتفيه "إننا نتوقع ألاَّ يعودوا أكثرية بعد بضع سنين".

❑ حركة محمد بن عبد الوهاب:

لقد وُفق محمد أسد في فهم هذه الحركة السلفية وخالف رأيه الرأي السائد في دوائر الاستشراق، بل وفي بعض الأقطار العربية والإسلامية في ذلك الوقت. وعلم أن أتباع الدعوة الوهابية ليسوا أتباع مذهب مستقل خاص. لأن المذهب المستقل يستلزم وجود مبادئ وتعاليم مستقله تميز أتباعه عن جميع الأتباع الآخرين للدين نفسه.

ولكن حركة ابن عبد الوهاب ليس فيها تعاليم ومبادئ مستقلة، بل على العكس. لقد حاولت هذه الحركة أن تقضي على جميع البدع والقشور التي نمت خلال العصور حول تعاليم الإسلام الأول، وأن تعود إلى رسالة النبي ﷺ الأصلية دون أن تضيف أي جديد.

❑ نظرة المسلم ونظرة العالم الغربي للقرآن(١):

يرى المسلم أن القرآن الكريم هو التجلية الأخيرة، لرحمة اللَّه على الإنسان ، وقمة الحكمة، وزروة الجمال الأدبي في اللفظ. وباختصار كلام اللَّه الحق. وهذا الموقف من جانب المسلم يحير ـ كقاعدة ـ الإنسان الغربي وهو يُقدم على قراءة القرآن من إحدى الترجمات . فبينما المؤمن يرى الجمال وهو يقرأ القرآن فإن القارئ غير المؤمن يزعم وجود «فجاجة». إذ أن ترابط الرؤية القرآنية للعالم والوضع الإنساني، يتفلت من غير المؤمن، وينتحل ما يوصف في كتابات

(١) رسالة القرآن ـ محمد أسد ـ جبل طارق ١٩٨٠ (باللغة الإنجليزية). (وهذه الفقرة ترجمة معد الكتاب).

مستشرقي أوروبا وأمريكا بالشتات غير المتناسق. كما أن المواضع التي يراها المسلم معبرة عن الحكمة البالغة، تبدو في الغالب في سمع الإنسان الغربي «غير متميزة. وغير مؤثرة». ومع ذلك فإن نقاد القرآن غير الودودين لم ينفوا أبدًا أن القرآن يعتبر مصدرًا ساميًا للإلهام بكل معنى هذه الكلمة الديني والثقافي لملايين لا تحصى من الناس الذين في جملتهم شاركوا مشاركة واضحة في إنجازات الإنسان الثقافية والحضارية والاجتماعية. فكيف يمكننا تفسير هذه المفارقة لدى المسلم وغير المسلم؟

إن الحجة البسيطة التي حازت قبول الكثير من المسلمين المعاصرين، والقائلة بأن القرآن قد تم «تشويهه عن عمد» على يد المترجمين الغربيين، لا تقدم التفسير المقبول. لأنه برغم أنه لا يمكن أن ننفي أن من بين الترجمات الموجودة حاليًا بأغلب اللغات الاوروبية الرئيسية، توجد ترجمات كثيرة أملتها دوافع تبشيرية خبيثة ولاسيما في العصور الأولى فمما لا شك فيه أن بعض الترجمات الأحدث تمت على يد علماء جادين لم تحركهم نزعات متعمدة وحاولوا بإخلاص نقل المعنى الذي يتضمنه الأصل العربي إلى هذه أو تلك من اللغات الأوروبية.

وفضلاً عن ذلك فإنه يوجد عدد من الترجمات الحديثة أنجزها مسلمون ـ الذين باعتبارهم مسلمين ـ لا يُتَصَوَّر أن يسيئوا عرض ما هو في اعتقادهم وحي مقدس من عند الله.

إلا أنه حتى الآن، لم تقرِّب أي ترجمة من هذه الترجمات للقرآن ـ سواء تمت بيد مسلمين أم غير مسلمين ـ من قلوب أو عقول أناس نشأوا في جو ديني ونفسي مختلف، ولم تكشف لهم شيئًا ولو ضئيلاً عن مدى عمق القرآن

وحكمته الحقيقيين.

وقد يرجع ذلك إلى حد ما، إلى التحامل المتعمد أو غير المتعمد، ضد الإسلام الذي طغى على المفاهيم الثقافية الغربية منذ عصر الحروب الصليبية ، وهو ميراث دقيق غير ملموس من الفكر والشعور ترك بصماته على الموقف تجاه كل ما هو إسلامي ، ليس فقط من جانب «رجل الشارع» الغربي، وإنما أيضا وبطريقة أشد حدة، من جانب علماء عاكفين على البحث الموضوعي.

إلا أن هذا العامل النفسي لا يكفي لتفسير هذا الغياب الكامل لتقدير القرآن في العالم الغربي.. هذا على الرغم من الأهمية التي لا تنكر والمتزايدة دائمًا التي للقرآن على كل ما يتعلق بالعالم الإسلامي.

والأكثر احتمالاً أن أحد الأسباب الرئيسية لهذا التقدير المفتقد للقرآن، يمكن أن نجده في هيئة القرآن ذاتها التي تختلف اختلافًا جوهريًا عن جميع الكتب المقدسة الأخرى. باعتبار أن القرآن يؤكد على أهمية «العقل» كعنصر فعال في مجال العقيدة. فضلاً عن إصرار القرآن على عدم الفصل بين مجال ما هو روحي وما هو مادي (وبالتالي ما هو اجتماعي) في وجود الإنسان، وعدم الفصل كذلك بين الأعمال اليومية وسلوكيات الإنسان مهما كانت «دنيوية» وبين ما هو روحي ومقدر له أو عليه.

إن عدم تقسيم الواقع في القرآن إلى قسم «مادي» وقسم «روحي»، يجعل من الصعب على الذين نشأوا في فلك الديانات الأخرى - التي تؤكد على الزعم بملازمة العنصر «الخارق للطبيعة» لكل تجربة دينية حقيقية - يجعل من الصعب عليهم إدراك قيمة هيمنة العنصر العقلاني على القرآن في معالجته لكافة القضايا الدينية.

ونتيجة لذلك، فإن مزج القرآن المستمر للتعاليم الروحية بالتشريعات العملية يحير القارئ الغربي الذي تعود على التعرف على «التجربة الدينية» برعشة رعب مقدس تجاه الأشياء الخفية والبعيدة من كل إدراك نابع من العقل. ويفاجأ هذا القارئ بمواجهة القرآن يدعوه إلى الهداية، ليس فقط إلى الخير الروحي في الآخرة، بل أيضًا إلى الحياة الحسنة بجوانبها الروحية والمادية والاجتماعية القابلة للتحقق في هذا العالم. وباختصار لا يستطيع الغربي عن طيب نفس تقبل الأطروحات القرآنية بأن الحياة في جملتها باعتبارها هبة من اللَّه هي وحدة واحدة، وأن قضايا الجسد والذهن والجنس والاقتصاد واستقامة الفرد والعدالة الاجتماعية هي وثيقة الصلة بالآمال التي يحق للإنسان التطلع إليها بطريقة مشروعة فيما يتعلق بحياته فيما بعد الموت. هذا في رأي محمد أسد هو أحد أسباب الموقف السلبي وغير الفاهم من جانب معظم الغربيين تجاه القرآن الكريم وتعاليمه. إلا أن هناك سببًا آخر وقد يكون أكثر حسمًا نجده في حقيقة أن القرآن ذاته لم يحدث حتى الآن أن قُدم في أي لغة أوروبية بطريقة تجعله لدى الأوروبيين أكثر قربًا من فهمهم وإدراكهم.

❑ نظرته إلى الحضارات:

أجرى مقارنة بين الحضارات الأخرى والحضارة الإسلامية. فلاحظ أن الحضارات لا تولد كما يولد الإنسان، وإنما تنساب في غير تمايز إحداها عن الأخرى. وذهب إلى أننا لا نستطيع تحديد البداية في الحضارة الغربية. إذ أن كل ما نعرفه عنها أنها تطورت تدريجيًا من الحضارة الرومانية، وامتزجت بدين شرقي هو المسيحية بعد أن بدلته وحوّرته طبقًا لمتطلبات الغرب واستعداداته وظروف حياته.

وبنفس الطريقة تدرجت حضارات أخرى من مرحلة إلى مرحلة كحضارات الهندوس وإسرائيل وبابل وإيران وآشور.

ويظهر الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة في حضارة الإسلام. إذ انطلقت إلى الحياة دون سابق عهد أو انتظار. وقد جمعت منذ فجر نشأتها كل المقومات الأساسية لحضارة مكتملة شاملة. فقامت في مجتمع واضح المعالم له نظرته الخاصة للحياة، وله منهجه المحدد في علاقات الأفراد بعضهم ببعض داخل المجتمع.

فلم تكن الحضارة الإسلامية إذن ثمرة تقاليد ولا وليدة تيارات فكرية متوارثة، بل وليدة حدث تاريخي فريد هو نزول القرآن الكريم، وبعث آخر رسل الله إلى البشر وهو محمد ﷺ. وأدرك المؤمنون بالإسلام أن هذا الدين يطالبهم بهجرة ما توارثوه من عقائد، وما ألفوه من مناهج. وكل محاولة للرجوع إلى عهد ما قبل الإسلام كان الرسول ﷺ يعتبرها ردة إلى الجاهلية.

وإذا قارنا بين الخطوب والكوارث التي توالت على الحضارة الإسلامية، وبين غيرها لأذهلتنا نتيجة المقارنة. فإن حضارة روما مثلاً انقرضت بعد مضي ألف عام ولم يبق منها سوى معالم في الأدب والبناء . وكذا حضارة الصين اندثرت برغم أنها كانت بعيدة عن الغزوات وأخطرها غزوات التتار.

ولكن الاستثناء يظهر أيضًا إذا رأينا حضارة الإسلام تتعرض للغزو الخارجي المتتابع مع اتساع رقعتها وبعد أطراف بلادها. فما السر في ذلك؟

يرجع ذلك عند محمد أسد إلى عناية الحضارة الإسلامية بالروح والأخلاق والمثل العليا، والفضل في ذلك إلى بقاء أصولها ـ القرآن والسنة ـ سليمة لم

تصل إليها يد التبديل والتحريف وقد فهم أعداؤها سر قوتها، فوقف «غلادستون» يطالب بمحاربة القرآن الكريم.

أما أشكال الضعف البادية الآن على المسلمين، فترجع في أغلبها إلى مخالفتهم لتعاليم دينهم .. ويأتي في المقام الأول ضعف الإيمان والعزوف عن العلم، وفقدان الثقة في النفس، والميل إلى التنطع أو الحزلقة والتفلسف. بينما عقيدة الإسلام بسيطة وواضحة.

❑ **مسئوليته:**

لم ينظر محمد أسد إلى الإسلام كدين يعالج أزمات الإنسان النفسية فحسب، وإنما اعتبر نفسه مسئولاً كغيره من المسلمين عن المشاركة الإيجابية في المهمة الرئيسية في الإسلام، وهي أن يبين للإنسان لا كيف يحس ويشعر الشعور الصالح وإنما كيف يحيا حياة صالحة كذلك. واندفع يسجل خبراته الشخصية الإيمانية ويقول:

«... من واجب كل مفكر مسلم أن يضع محيطه الإجتماعي موضع الدراسة المستمرة، والنقد الذي لا يفتر، وأن يقدم ما قد يصل إليه من أفكار، ونظم جديدة لخدمة الصالح العام».

ولم يكتف بالبحث والدراسة والكتابة، وتقديم نتاج قريحته مجاهدا بالكلمة. وإنما ضم الكلمة إلى جهاد العمل بنفسه. إذ شارك في الحركة السنوسية ضد إيطاليا، فانتقل متخفيًا في ظروف الحرب الضارية حتى كاد يتعرض للهلاك. فقد آلمه رؤيته قوة البطش والقسوة التي قابل بها الإيطاليون حركة جهاد السنوسية بقيادة عمر المختار - أسد برقة - الذي ظل يقاوم جيوش إيطاليا التي كانت تفوق عشرة أضعاف جيشه الذي كان يتكون من أنصاف

جائعين معهم بعض الخيول ومسلحين بالبنادق.

❏ التحذير من الغرب:

وإيقاظًا لوعي المسلمين، أخذ محمد أسد يذكرهم بعداء أهل الغرب للإسلام منذ الحروب الصليبية. والتي قامت على أثرها حملة مستورة داخل عقولهم لتسميمها ضد الإسلام.. وخلص إلى ضرورة أخذ الحذر من أوروبا، إذ لا ينبغي أن يتطرق الشك إلى نوايا الحضارة الغربية... فمن هدفها القضاء على الإسلام.

❏ العبرة:

صارت قصة إسلام محمد أسد مدعاة للتأمل تهز وجدان المسلم، وتبعث في نفسه كوامن الأمل في مستقبل مشرق، بشرط اجتياز المسلمين من جديد الطريق الذي خطه لهم الإسلام.. كما أقام إيمانه الدليل الساطع على غير المسلم. إذ برهن على أن الإنسان في الغرب أيا كانت ديانته بوسعه أن يعرف الإسلام كأيديولوجية دينية واجتماعية، أرقى بكثير من جميع المفاهيم والمعتقدات الأوروبية، بشرط إزالة غشاوة التعصب عن عينيه.

❏ كتبه:

وقد ترك لنا محمد أسد عدة كتب هامة ضمنها خلاصة فكره وتجاربه منها: «الطريق إلى الإسلام»، «الإسلام على مفترق الطرق»، «هذه شريعة الله» جبل طارق ١٩٨٧.

«رسالة القرآن» جبل طارق ١٩٨٠. وهو ترجمة كاملة للقرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية مصحوبة بتفسير كامل. وهو في تفسيره سلفي الاتجاه.

أما كتابه «أصول الدولة والحكومة في الإسلام» (جبل طارق ١٩٨٠) باللغة

الإنجليزية فهو خطوة جريئة، وثمرة بحث طويل وقف المؤلف عليه عمره، وقد أثبت فيه أن الدولة الإسلامية المثالية، دولة ذات برلمان وشرعية قانونية تحترم سيادة القانون، وأن لها دستورها الأساسي، الذي يمكن القول بأنه متفق مع الدستور الغربي في النقاط الجوهرية مثل الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، دون تبعية أي جهاز من أجهزة الدولة للأجهزة الأخرى. وتضمن احترام حقوق الإنسان، وتقبل تعدد الأحزاب و حماية الأقليات. إلخ، بشرط التزام هذه الدولة الإسلامية بأن يكون رئيسها مسلمًا، وبأن تتخذ الإسلام دينًا رسميًا لها، والقرآن دستورًا أعلى في كافة شئونها.

* * *

[٢]
الدبلوماسي الألماني يدعو الدنيا إلى الإسلام

(مراد فلفريد هوفمان) (ألمانيا)

ولد عام ١٩٣١ لأسرة كاثوليكية بألمانيا وعاصر الحرب والاحتلال.

بدأ دراسته الجامعية عام ١٩٥٠ بنيويورك حصل على الدكتوراه في القانون الألماني عام ١٩٥٧ والماجستير في القانون الأمريكي عام ١٩٦٠.

عمل بالإدارة الخارجية الألمانية من ١٩٦١ حتى ١٩٩٤ وتخصص في الدفاع النووي.

كانت آخر مناصبه مدير استعلامات الناتو (١٩٨٣ ـ ١٩٨٧) وسفير ألمانيا في الجزائر (١٩٨٧ ـ ١٩٩٠) ثم سفير ألمانيا بالمغرب (١٩٩٠ ـ ١٩٩٤) .

اعتنق الإسلام عام ١٩٨٠ وأدى العمرة ١٩٨٢ والحج ١٩٩٢.

ود. هوفمان علامة هامة على الطبقة المثقفة الألمانية التي بدأت تهتم بالإسلام بل وتدخل فيه من مختلف مواقعها العلمية والسياسية والمالية...

ولقد ذكر في كتابه المنشور عام ١٩٨٥ بالألمانية «يوميات مسلم ألماني» كيف أسلم، ولم يهتم أحد بإسلامه، ولاحتى حين صرح بذلك أمام زملائه أيام أن كان مدير مكتب الاستعلامات لحلف الأطلنطي.

❑ **ولقد ضمّن د. هوفمان كتبه آراءه القيمة المستخلصة من دراساته الجادة للإسلام، وننقل هنا بعضًا من هذه الآراء مختصرة:**

❑ وكتبه هي:

«يوميات مسلم ألماني» ١٩٨٥ ، «الإسلام كبديل» النور/ بافاريا ١٩٩٣ «الإسلام عام ٢٠٠٠» الشروق ١٩٩٥.

❑ **الإسلام هو الدين الكامل:**

لكي يكون المرء مسلمًا لابد من توافر شرطين، الأول: الإيمان باللّه الواحد مع تنزيهه عن الجنس، والشرط الثاني: الإيمان بما أنزله اللّه من الوحي من إبراهيم إلى محمد عليهما السلام، والشرط الأول من الشهادة التي ينطق بها المسلم يؤكد إيمانه باللّه بقوله: «أشهد أن لا إله إلا الله» وهو لا يشهد اللّه .. وإنما يشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له. وبهذه الشهادة يؤكد المسلم اعترافه يقينًا بوحدانية اللّه المطلقة، والتوحيد الذي يعرفه الإسلام ينسحب على العلاقة بين الفكر والمادة، وبين الروح والجسد، والعلم والدين، والإنسان والطبيعة ، وبين أعضاء الأمة الإسلامية التي خلقها اللّه ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[الأنبياء : ٩٢]. والشطر الثاني من الشهادة يؤكد أن محمدًا رسول الله. وهذا الشطر لازم كل اللزوم لإتمام الشهادة، ومحمد خاتم الأنبياء، والختم معناه الاكتمال والإتمام. وهذا الكمال والإتمام لم يكن موجودًا قبل محمد ﷺ برغم من إبلاغ موسى لرسالته وإبلاغ عيسى كذلك، إلا أن الحاجة بقيت بعد عهدهما ماسة إلى الإكمال الذي تحقق في عهد محمد بن عبد اللّه ﷺ.

ولقد توافرت إمكانية هذا الإكمال، لأن التطور البشري في القرن السابع ، سمح بنسخ المعايير السابقة غير المناسبة نسخًا نهائيًا، لتحل محلها المعايير الشرعية التي نزل بها القرآن من عند الله.

وعلى ضوء ذلك نفهم المغزى العميق لنزول الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾[المائدة ٣] التي نزلت قبل وفاة الرسول بواحد أو اثنين وثمانين يومًا، معلنة إنتهاء "مهمة" الرسول في أداء الأمانة وإبلاغ الرسالة.

وكلمة مسلم ومسلمة، تعني السلم والسلامة والتسليم لله ولقد عرَّف يوحنا سوكولوفسكي الإسلام «بأنه الإسلام الذي يدعو إلى السلام والسلامة، لا يضار أحد في نفسه أو صحته أو ماله أو غير ذلك».

ولهذا أُطلق اسم مسلم على أشخاص سبقوا مولد الرسول، لأنهم كانوا مسلمين وجههم لله رب العالمين، ومنهم إبراهيم وموسى و عيسى..

والمسلم اليوم يجد السلامة في هدى القرآن ، الذي يحوي غير المنسوخ من الكتب السماوية السابقة على القرآن، فيلتزم المسلم الحق بالوصايا العشر الواردة في التوراة، وبالإيثار وحب الآخرين الذي أوصى به الإنجيل (العهد الجديد)، ويؤمن المسلم كذلك بالأصول الست التي يؤمن بها اليهودي، والمسيحي، وقد بينها القرآن و هي:

١) وجود الله

٢) وجود مخلوقات غير مرئية لنا (الملائكة)

٣) نزول كتب سماوية على بعض الأنبياء

٤) إرسال اللّٰه رسله وأنبياءه إلى الأمم

٥) القيامة والبعث يوم الحساب

٦) القضاء والقدر (البقرة ٨٥، النساء ١٣٦)

وبعد ذلك ينفرد الإسلام بأنماط سلوكية تتمثل في الفرائض والعبادات وأركان الإسلام الخمس، وهذه القواعد كافية لبيان أن الإسلام دين وعمل، عبادة وأفعال حتى الصلاة نفسها. وسورة العصر المكية توضح ذلك . فالمسلم التقي يعبد اللّٰه، ويتوكل عليه، ويعمل الصالحات، ويوصي نفسه وغيره بها دون تظاهر أو رياء.

والقرآن ليس كالعهد القديم أو الجديد، حيث يقص فيهما شخص ما حديثا غير مباشر عن شخص أو شيء أو عن الله. أما في القرآن ، فإن القاص هو اللّٰه مباشرة سبحانه. فيخبر عن نفسه بضمير المفرد المتكلم، وضمير المتكلم الجمع، وضمير الغائب المفرد، لكي نظل مدركين لتنزه اللّٰه سبحانه عن التجسيد أو التشخيص.

ولقد أثبت موريس بوكاي في كتابه «الإنجيل والقرآن والعلم» أن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي لا تتعارض آياته مع ما أقره العلم الحديث. وتصوير القرآن لحمل المرأة ومراحل تكوين الجنين قبل ١٤٠٠ سنة يؤيده العلم الحديث تأييدًا تامًا. ولم تُفهم كلمة «علق» إلا على ضوء اكتشاف علم الأجنة الحديث.

ولقد أصبح القرآن الكتاب الوحيد الذي تعددت ترجماته في اللغة الواحدة. أكثر من أي كتاب في العالم. وجاوزت طبعاته أعلى رقم لأي كتاب مترجم في تاريخ الطباعة، فضلاً عن أنه الكتاب الوحيد الذي يحفظه عن ظهر قلب مئات الآلاف من مختلف الأجناس (حتى من غير الناطقين بالعربية).

السماحة والتسامح أم العنف:

يصعب على كثيرين من مراقبي الغرب تفهم المسلمين حين يعلنون أن الإسلام إنما هو دين السماحة المطلقة بلا منازع. ومع ذلك فإن هذا هو الحق كل الحق.

ويذكّر القرآن المؤمنين بأن اختلاف البشر أمر طبيعي. ولا ينحصر هذا الاختلاف في اللون ، أو الفقر والغنى، أو الجنس أو اللغة، وإنما أيضًا في تعدد المواقف الدينية وتباينها إزاء الكون والله والإنسان. ولقد قال النبي محمد ﷺ إن الأمة الإسلامية ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة. وهل هناك عدد أكثر من هذا في الدين الواحد.

والجوهر وراء تقبل التسامح مع الآخرين فكريًا وعمليًا هو الحقيقة التي نص عليها القرآن وجعلها أصلاً أساسيًا هو ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[البقرة : ٢٥٦]. والتي تقرر مبدأ السماحة في تقبل الآخرين، والتي تنظم العلاقة بين الإسلام والعالم الخارجي، ممثلاً آنذاك في أهل الكتاب.

والإكراه يدفع إلى النفاق. والله يمقت النفاق. وإذا كانت الأعمال بالنيات، ويرتكز الصلاح والإيمان على القلب، فإن الأفعال التي يؤديها المكره وهو في داخله رافض لها لا يثبات عليها بل ولا فائدة منها، ولاحاجة لله بها. فالدين هو الإخلاص . إذن فإن تنفيذ الفضائل العامة وما يأمر به الإسلام من فعل المعروف، عن طريق استخدام القوة. يؤدي لا محالة إلى جعل الحكم دكتاتوريًا مستبدًا. إذ ليس من المعقول أو المقبول أن يريد الله بـ ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ حفظ الكرامة الأدبية والأخلاقية، وحرية الالتزام لغير المسلمين، ثم يرضى سبحانه في الوقت نفسه للمسلمين بالإكراه.

❑ المسيحية من منظور إسلامي:

إذا سمع المسلم أو قرأ اسم عيسى فإنه يدعو له مصليًا عليه كما يفعل إذا ذُكر اسم النبي محمد. وقد يبدو ذلك غريبًا لمن لا يعرف طبيعة الإسلام. ذلك أن الإسلام لا يعتبر نفسه دينًا جديدًا لمجرد أنه جاء بعد المسيحية، إنما يرى الإسلام أنه إكمال وتصحيح للوحدانية المطلقة التي دعا إليها إبراهيم ومن بعده من الأنبياء. ومن هذه الزاوية يمكن النظر إلى الإسلام بصفته أقدم الديانات الداعية إلى التوحيد، وإن كان أحدثها تاريخيًا. واستنادًا إلى أخلاقياته وإلى مبادئه السمحة، فإن الإسلام لا يزعم لنفسه الحق في شجب غيره من الأديان كما تفعل الكاثوليكية مع الديانات الأخرى. بل إن الأمر أبعد من ذلك، فالإسلام يبني صرحه على أسس الديانتين السماويتين اللتين سبقتاه. ويصف (بأول شفارتزناي) الإسلام بأنه «رسالة الوحي إلى الناس كافة في المعمورة كلها».

واستنادًا إلى القرآن فقد ورد ذكر محمد ﷺ في التوراه والإنجيل أي في العهدين.

وجاء بالقرآن ما يعلّم المسلم أن عيسى نشأ في بيئة يهودية، عبدًا صالحًا نبيًا، وأنه ليس أبنًا لله، وأنه ليست له طبيعة إلهية ، أو أنه تجسيد للناسوت والالوهية في شخص واحد.

أما التثليث فيرفضه القرآن رفضًا قاطعًا (سورة المائدة) ، كما يرفض الإفراط في تقديس مريم. ويثبت القرآن رفع عيسى إلى السماء (النساء ١٥٨). ولكن ليس كما ورد في الأناجيل بعد موته على الصليب كما يقولون.

وفي أيامنا هذه، فإن نظرة الإسلام التي تنكر الطبيعة الإلهية لعيسى ، تلقى

مؤيدين يزداد عددهم دائمًا من بين المسيحيين أنفسهم. ولا يلتفت المسيحي اليوم إلى وجود فعّال لروح القدس.

وعلى أية حال فإن عيسى عليه السلام لم يذكر إطلاقًا أي شيء عن التثليث الذي يعتبر أصلاً من الأصول الراسخة لدى أكثر مسيحيي العصور المتأخرة، وبعد القرون الأولى الميلادية. أما مسألة تجسيد اللَّه في عيسى أو حلول الذات الإلهية فيه، فإنه يعوزها التوثيق أكثر من المسائل الأخرى. ولا توجد في أية ترجمة صحيحة للعهد الجديد، جملة واحدة أو كلمة واحدة قالها عيسى ويستنتج منها هذا الافتراء المنسوب ظلمًا إلى عيسى. بل العكس هو الصحيح. ففي أنجيل يوحنا (٢٠ : ١٧) «اذهبي إلى إخوتي. وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم». وأما كلمة الآب والابن فهما على المعنى المجازي كما هو متعارف عليه في جميع الأديان.

وينبغي أن نفهم ما تم في مؤتمر نيقيه عام ٣٢٥م. إذ أمر الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول في عام ٣٢٥ م وكان لا يزال وثنيا - وليس بأمر البابا سلفستر الأول - بعقد هذا المؤتمر المسكوني وافتتحه الأمبراطور في ٢٠ مايو وحضره ٢٢٥ من القساوسة معظمهم شرقيون لتبني ما أُطلق عليه : قانون الإيمان أو العقيدة النيقية، والتي ثبتت الفصل بين عقيدة المسيحيين من ناحية، وعقيدة اليهود والمسلمين من ناحية أخرى.

وبدون إعداد أو تحضير، أو أية مناقشة جدية تبني الأساقفة صيغة قدمها الإمبراطور الوثني تنص على أن «عيس المسيح ابن اللَّه، هو اللَّه نفسه، ليس مخلوقًا، ولكن محدثاً بواسطة الأب الإله، ومن نفس جوهر الإله». وبهذا تم وضع أساس عقيدة التجسيد المقدس، ومن ثم عقيدة التثليث.

(كتاب سر إسلام)

وكانت النتائج الفورية على درجة كبيرة من الدرامية. لأن غالبية المسيحيين في ذلك الوقت أتباع الأسقف أريوس من الأسكندرية، والمسيحيون من أصل يهودي كانوا يعتقدون أن المسيح ليس من جوهر اللَّه وإنما هو بشر ورسول اختاره الله. فأصبح كل أولئك في نظر الكنيسة هراطقة، وبالتالي تم اضطهادهم.

كذلك فإن من المهم أيضًا (أو المؤسف حقًا) أن أقدم نسخ العهد الجديد جميعها، التي يتداول المسيحيون ترجماتها اليوم، قد تم إعدادها بعد ذلك المجمع. أما كافة الآثار والمخطوطات التي عارضت عقيدة التثليث هذه، فقد تم التخلص منها أو إعدامها.

أما محاكمة عيسى فإنها تعوزها البراهين القاطعة، اذ أن البحث العلمي الممحص اليوم والقائم على الدرس والمقارنة، يشكك في وجود هذه المحاكمة أصلاً. فضلاً عن أن الشاهد الذي يمكن الركون إليه في مسألة موت المسيح ضئيل للغاية، ولاسيما أن دفنه ـ على فرض أنه قبر ـ وقيامته ـ على فرض أنه بعث ـ، لم يرد في الأثر، وما رآه بشر رأي العين.

واليوم لا يبالي علماء الدين البروتستانت، وكذلك بعض الكاثوليك بتوافر أو عدم توافر الوثائق بشأن وجود عيسى تاريخيًا، ويفضلون الصمت التام متقبلين شتى التناقضات والمغالطات التاريخية الصارخة الواردة بكثرة في الأناجيل الأربعة، ومقرين للبدع الغريبة على النصرانية والمأخوذة في وقت متأخر من الشعوب الكافرة، والتي أصبحت اليوم جزءا من المسيحية في الحياة العملية.

ولقد أنفق علماء اللاهوت والفلاسفة الكاثوليك والبروستانت الكثير من

الجهد والوقت لفهم وشرح التجسيد والتثليث بطريقة عقلانية، وفشلوا كل الفشل بصفة دائمة. وهل كان يمكن غير ذلك؟

ولهذا لجأوا إلى الحجة ـ التي لا ترد ـ أن التجسيد والتثليث من أسرار الديانة.

ولكن الاستمرار على هذا الوضع كان متعذرًا.. إذ أن فقدان المصداقية في عقيدة الكنيسة. كان له رد فعل تمثل في انتشار الالحاد، واللاأدرية، وهجران الكنيسة، والتحول إلى مذاهب أخرى مثل البوذية وشامانية الهنود الحمر والانثروبوسوفي. وغير ذلك.

وهكذا كان بيان الأزمة العميقة لطبيعة المسيح ودوره في المسيحية . وتفسر هذه المعضلة لماذا استبدل المفكرون المسيحيون العقيدة الكاثوليكية الشاملة «لا خلاص خارج الكنيسة» التي ماتت منذ المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥) بعقيدة أخرى شاملة هي : «أتى عيسى بالخلاص طوعًا وكرهًا لكل إنسان تقريبًا...».

وهكذا تأخذ هذه العملية التصحيحية بالأنفاس. فلأول مرة منذ ١٤٠٠ سنة قمرية تلوح الفرصة الحقيقية لتطابق التعاليم المسيحية مع المسيحيين اليهود ومع ما قرره القرآن عن المسيح.

وإذا ما تحقق هذا يكون الإسلام قد أدى مهمته في هذا الميدان، ويبزغ الأمل ولأول مرة في حوار مسيحي يهودي إسلامي في العقيدة . بعد أن كان محصورًا في مجال الأعمال الإجتماعية . وبما يخالف ما يقترحة البروفسور الكاثوليكي هانز كونج فلن تصبح مسألة عيسى غير قابلة للاقتراب منها أو

التفاهم بشأنها . وكنتيجة لذلك، قد يقبل المسيحيون في النهاية القرآن باعتباره كتابًا إلهيًا موحًا به، وبمحمد كمبلغ للقرآن عن الله.

❑ الشرق من منظور غربي:

على الرغم من الحروب المتتالية التي شنها العالم الغربي قرونًا طويلة على العالم الإسلامي ، فإن الغرب لم يحفل بمعرفة حقيقة الإسلام سواء من الناحية الدينية أو الحضارية، إلا في حالات فردية، ومن زوايا معينة تتسم كلها بالتحيز وعدم الموضوعية.

وإن التاريخ المؤسف والمحزن لترجمة القرآن إلى لغات أوروبا لظاهرة متميزة تدل على مدى الجهل بهذا الدين. وبرغم بعض المحاولات الجادة، بقيت صورة الإسلام حتى وقت متأخر من القرن ١٩ مشوهة وغريبة وبعيدة عن الموضوعية.

وأعقب ذلك عصر الاستشراق الأوروبي الكبير، عكف فيه المستشرقون يروون ظمأهم العلمي من منهل البحث في الإسلام و علومه. وأتاحت هذه البحوث للغرب التعرف على صورة أوضح للشرق وللإسلام، كما أطلعت العالم الإسلامي نفسه على حقائق علمية هامة، لم تكن معروفة لأبناء الشرق أنفسهم.

ولكن الحق يقال أن قليلاً من المستشرقين الأوروبيين تمكن من إدراك خفايا الموضوعات المدروسة. بل إن كثيرًا منهم نظر إلى الإسلام بعيون القساوسة المبشرين بالمسيحية، أو بمنظار علماء الإجتماع الماركسيين. وتراءى للبعض الآخر أن المسلمين شعب بدائي قبلي سوف يتعرض للإنقراض مثل سواه من الشعوب البدائية المنقرضة فضلاً عن أن معظم المستشرقين ـ عن وعي أو عن غير وعي ـ كانوا أداة لخدمة الاستعمار، وكان بالفعل بعضهم جواسيس للغرب مثل

ت.أي. لورنس، وإن كانوا قلائل.

ومنذ القرن العشرين على الأقل هب اتجاه جديد في الاستشراق الغربي، صار يرى أن الحضارة الحديثة أنما ولدت في المشرق ثم تحولت في مسيرتها إلى المغرب، وانتشرت هناك مبددة الظلمات، وأن تلك حقيقة ثابتة ومؤكدة حتى اليوم. وهؤلاء المستشرقون الأوروبيون أسهموا بنصيب وافر في تصويب أبعاد وملامح الصورة الخاطئة المشوهة للإسلام. وبرغم هذه الجهود المخلصة، وبرغم المعرض الذي أقيم في برلين عام ١٩٨٩ (أوروبا والشرق) فلا تزال الصورة المشوهة القديمة سائدة في الغرب.

وفي وسط هذه الصورة عن الشرق، تبرز صورة النقاب أو الحجاب الذي يجسم بالفعل وجود المرأة المسلمة. وهذا ما يأباه الإنسان الغربي باعتبار أنه مخالف لتصوره عن هذا الشرق الغارق في الملذات، والمعربد بين القيان والحسان، والراقصات والألحان، فالحجاب وهو نقيض لتصور الغربي ودليل على العفة التي تريد المرأة المسلمة تأكيدها، ورمز للالتزام الأخلاقي الذي لا يسمح للغرائز الجنسية أن تتبرج.. فضلاً عن أن التحلي بالفضيلة والأخلاق الحميدة مما ينادي به الإسلام، يراه الغربي خطرًا يذكِّره بما كان سائدًا في العصر الفيكتوري من التزمت المتكلف.

والحق أن الالتزام الأخلاقي يسود حياة المسلم والمسلمة، فلا ترى المداعبات الجنسية وتبادل القبلات بين الرجال والنساء علنًا.. ويرفض الإسلام الأدب الداعر المكشوف وأفلام الجنس والصور العارية..الخ والأغلب الأعم أن بكارة المسلمات لا تفض قبل الزواج، ولا تجد في الصحف إعلانات عن تبادل العلاقات الجنسية بين الأزواج والزوجات.. ولا شواطئ العراة، ولا الزواج

اللوطي بين الرجال، أو السحاقي بين النساء. ولا تجد كذلك المساكن المختلطة للطلاب والطالبات الذين يعيشون تحت سقف واحد.

لنقل إذن إن الإسلام في تمسكه بالفضيلة عتيق. ولنا أن نقر بذلك، ونؤكد أن الإسلام فخور بكل هذا.

وفي هذا الإطار يبدي الإسلام إهتمامًا فائقًا بدور الملابس أو الزي في الحياة سواء للذكر أو الأنثى إذ أنه لا يرى داعيًا لإثارة أشياء غير مرغوبة. ويلخص الشيخ تيجاني خدّام، إمام المسجد الكبير بباريس حكم الزي في الإسلام قائلاً في مقابلة صحفية مع جريدة العالم الفرنسية في ٢٤ أكتوبر ١٩٨٩: " إن الإسلام يوصي المرأة بالبساطة الأنيقة في الزي ، وإن تغطي من جسدها ما يجذب أنظار الشرهين. ومن الممكن أن يكون المثير الجذاب فيها هو شعرها. أما مجال تنفيذ هذه الوصية بتغطية الشعر، فإن ذلك مرتبط بالمجتمع أو بالبيئة الحضارية التي تعيش فيها المسلمة".

وإن اتباع المرأة المسلمة لأحكام الشرع في الزي يجعلها تتجنب الوضع الذي صارت إليه المرأة الأوروبية . فقد أصبحت رمزًا معروضًا لتجارة الجنس بعد إصرار مصممي الأزياء على زيادة تعرية جسد المرأة وإبراز مفاتنها الجسدية، لتكون أكثر إثارة وفتنة للرجل . وهي في هذا ضحية الضغط المتواصل عليها.

إن المرأة المسلمة التي تتمسك بالحجاب تريد أن تقول: أيها الناس! إنني امرأة لي كرامتي. عليكم أن تأخذوني مأخذ الجد.. وليس لكم أن تنظروا إليّ، وإلى ساقيّ نظرة خبيثة ورخيصة.

إن الحجاب بهذا المفهوم، عمل ثوري يعكس الاحتجاج والاعتراض على

أسلوب الحياة في أوروبا المعاصرة . وليس بأي حال من الأحوال رجوعًا مرتدًا إلى التقاليد البدوية العتيقة.

☐ كتاب الإسلام كبديل:

هذا الكتاب القيم الذي هز ألمانيا والذي أصدره المؤلف وقت أن كان سفير ألمانيا في الرباط بالمغرب العربي. والذي تجلت فيه سعة إطلاع المؤلف والجرأة في إخراجه بل حتى في فهم النصوص الإسلامية. مما يعكس مدى إخلاصه وصدقه وعلمه ورغبته الحقيقية في الجهاد لرفعة هذا الدين، حتى ترفرف رايته في كل مكان. ولقد عبر فيه المؤلف عن رؤيته كرجل دبلوماسي محنك شغل عدة مناصب خطيرة أن القرن الواحد والعشرين هو قرن الإسلام الذي سينبعث من أوروبا.

وكان هوفمان قد أجرى مقابلة مع التليفزيون الألماني، وأجرى حوارًا معه في مقر السفارة الألمانية بالرباط بعد حصوله على أذن من وزارة الخارجية الألمانية حيث تم تصويره وهو يؤدي الصلاة، وقد علقت على الحائط صورة رئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية.

وإزاء الهجوم على هوفمان من جانب الصحافة الألمانية وممثلي الحزب الاشتراكي الألماني، وممثلي الخارجية الألمانية لتتخذ موقفًا، وبعد التحقيق الذي أجرته، صرح المسئولون بالوزارة بأن الوزارة لا ترى أي داع لاستدعاء السفير الألماني بالمغرب (فلفريد هوفمان) من منصبه... وقد أسلم السفير المذكور عام ١٩٨٠، وله الحق ككل مواطن آخر أن يعتنق الدين الذي يؤمن به... أما أقوال السفير وكتابه «الإسلام هو الحل البديل» ، فليسا خروجًا على واجبه الوظيفي بصفته سفيرًا. وليس هناك دليل مباشر أو غير مباشر على أنه قد أساء استغلال

سلطته المخولة له، أو إلى أنه خالف القانون الأساسي الألماني.

ولقد انتقد هوفمان جنون الاستهلاك والتبذير ، والاباحية غير الخلقية ، والجنس الفاحش والاجهاض، وتأليه الاحصاءات وبيانات الأفراد... ولقد زكى في كتابه دور المرأة بوصفها أمًا، وأكد أن ذلك هو أعظم رسالة للمرأة (الأمومة)، ومدح الإخلاص والصفاء في الحياة الزوجية مع مراعاة تباين أدوار الرجل والمرأة تباينًا موضوعيًا...

ويقول في كتابه : «كان الإسلام ابان الصراع بين الغرب والشيوعية يمكن أن يعتبر نفسه النظام الثالث المستقل عن كلا الطريقين، من أجل فهم العالم والتعامل مع العالم عقائديًا.. أما اليوم فإن الإسلام يطرح نفسه كبديل لكلا النظامين، وذلك لتوفير الحياة على أفضل وجه، وتذليل مشكلات الحياة المستفحلة.»

«وقد لا يخفى على المتأمل بعيد النظر أن يرى الزحف الإسلامي في القرن الحادي والعشرين مسيطرًا وقادرًا على الإنتشار كدين لأغلبية البشر، ومع ذلك فإن مجريات الأمور تؤكد هذه الحقيقة والواقعة إن شاء اللّه وهذا ما يطرحه الكتاب.» «إن الإسلام يطرح نفسه بديلاً اختياريًا للمجتمعات الغربية. وأنه بالفعل هو البديل الوحيد»

❑ الإسلام والبيئة:

لم يفطن المسلمون قبل غيرهم إلى مشاكل البيئة التي تتهدد العالم. إذ أن أول من دق نواقيس الخطر كان «نادي روما» الذي كان لتقريره المنشور عام ١٩٧٢ بعنوان «حدود النمو» صدى القنبلة الهائلة حتى في المانيا ذاتها.

بيد أن مسلمي ألمانيا وخاصة أحمد فون دنفر (مقالة : القرآن والبيئة ١٩٨٣م،

مقالة مشكلة البيئة والإسلام١٩٨٩) وهارون بير (مقالة: العودة إلى دين الفطرة ١٩٨٥) وأكسل كولر (بحثه : علم الأخلاق البيئي في الإسلام١٩٩١) . صدمهم مقدار الخراب والتخريب والتلوث والتدمير الذي أصاب البيئة، وشمروا عن سواعد الجد لوضع أسس اسلامية لعلم الأخلاق البيئي الإسلامي.

ولقد كانت قضية البيئة وتلوثها والاسلام هي الموضوع الرئيسي الذي عولج في الاحتفال بمرور ربع قرن على إنشاء المركز الإسلامي في آخر يوم ١٧ مايو ١٩٨٩، وكانت النقاط الخمس التالية هي القاسم المشترك في المناقشات:

١ـ السبب الحقيقي لما آلت إليه البيئة من تدهور خطير، هو اغترار الإنسان غير المؤمن بوجود اللّه، بقوته وجبروته حتى تخيل أنه المسيطر على الطبيعة والبيئة، واندفع في استهلاكه النهم بلا حدود لكل ما يشبع ملذاته على حساب الطبيعة، وكأنها ليس لها حق ذاتي في الوجود السليم.

أما المسلم فإنه يدرك أن الملك كله لله، وأن اللّه ذرأه في الأرض، لا ليستعبدها بالمعنى المذكور في الإنجيل، وإنما هي وديعة ذلول استخلفه اللّه ليقوم بحقها ويستغلها استغلالاً مسئولا.

٢ـ المسلم مكلف بالاعتدال في كل شيء، وليس له أن يسرف في استهلاك مصادر الطاقة وغيرها من مقومات الحياة ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام ١٤١] بل إن المسلم لا ينبغي أن يملأ بطنه شبعًا.

وبوجه عام فإن ذلك يفضي إلى مبدأ ضرورة حفظ التوازن البيئي ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف ٥٦]. وهذه الآية وغيرها التي تنهى عن

الفساد في الأرض وحفظ الحرث والنسل يفهم منها ضرورة تجنب الإغراق في الترف والسرف، والمحافظة على البيئة بالوراثة كما خلقها اللّه، واحترام قوانينها ونواميسها، وذلك عن عقيدة وإيمان وليس خشية الكوارث التي تتهدده عند خرق هذه النواميس.

٣ـ يسهب القرآن في ذكر الظواهر الطبيعية ، ومشاهد الخلق الدالة على عظمة الخالق، ليدرك المسلم أن الكون كله أمة واحدة تسبح لله. وترى سور القرآن كذلك تحمل أسماء بعض الحيوانات والجمادات والافلاك، وبعض الظواهر الطبيعية. ليؤمن المسلم أنه يشترك مع الطبيعة ومع كل المخلوقات في خضوعه لقوانين الخلق. وبالتالي لا ينظر إلى الحيوانات على أنها أشياء أو متاع لا حرمة لها، وإنما الحيوانات أمم لها حقوقها المرعية. ولقد ضرب الرسول ﷺ أمثلة كثيرة في الرفق بالحيوان. والإسلام في هذا إنما حرم تعذيب الحيوان وسفك دمه إشباعًا لرغبة الصيد فقط. أما المنفعة المشروعة فهي حلال.

٤ـ القرآن الكريم ليس موسوعة في العلوم الطبيعية كدوائر المعارف المتخصصة، وليس كتاباً في التكهن بالغيب، وإن تضمن آيات تحذر الإنسان من العواقب الوخيمة من إفساد البيئة والفساد في الأرض.

٥ـ الالتزام بالنظافة في البيئة هي من الأمور الأساسية التي حرص عليها الرسول ﷺ على أنها نصف الدين أو الإيمان. والحق إن إفساد البيئة الذي يقضي عليها يبدأ بتلويثها البسيط وعدم الالتزام بالنظافة.

* * *

وبناء على ذلك نقول إن حل مشكلة تلوث البيئة لا يتحقق بالرجوع إلى

الطبيعة بوصفها الدين الطبيعي مثل ما قال (هولجر شلايب)، ولا بالهيام برومانسية الطبيعة الخضراء، لأن العواقب الخطيرة التي تتهدد البيئة هي نتيجة تجاهل وجود اللّٰه، ولا يدفع هذا الخطر عنها تأليه عناصر من هذه البيئة والتغنى بحبها وقداستها وهو ما حذر منه (فرديناند فللمان).

ولقد فطن بعض الشباب من المنادين بالسياسة الخضراء إلى أن جوهر القضية هو ضرورة تغيير الإنسان نفسه بصفته المستهلك، إذ شعروا أن تغيير الطبيعة يتطلب تغييرًا جذريًا للنظام الإقتصادي المستغل والمنتهك لقوانين الطبيعة. وهذا يتطلب تغيير الإنسان المستهلك أولاً.

هذا التغيير الجذري الذي يتغلغل في كل شيء لن يتسنى له النجاح إلا إذا أدرك الإنسان أنه عبد اللّٰه بكل ما في هذه الكلمة من معنى. وهذا هو منهج الإسلام الذي فيه الهدى للبشرية جمعاء.

❑ حقوق الإنسان في الإسلام:

يحق للمرء في الغرب أن يفخر بتاريخ تطور حقوق الإنسان، غير أنه يقصرها على الحضارة المسيحية منطلقًا من تعاليم الرواقية، أو لا يرى هذه الحقوق في غير هذه الحضارة .

ومع ذلك فإن الاسلام هو واحد من أسبق الأنظمة القانونية الكلاسيكية التي اشتملت على حقوق الإنسان. فمنذ أكثر من ١٤٠٠ سنة، أرسى القرآن الأسس التي تنظم العلاقة بين الدولة والمواطنين، وتضمنت الشريعة الإسلامية قوانين مختلفة تكفل توافر الحقوق وبصفة خاصة: حق الحياة، سلامة الجسد، الحرية، المساواة في المعاملة، الملكية الخاصة، حرية الضمير، الزواج، سماع أقوال المدعي والمدعي عليه قانونيًا، براءة المتهم حتى تثبت إدانته، لا عقاب بدون

سابق إنذار، الحماية من التعذيب، حق اللجوء.

وأشد ما يثير الدهشة والإعجاب، القوانين والتشريعات التفصيلية الإسلامية لحماية الأقليات خاصة أهل الذمة من النصارى واليهود، استناداً إلى ما سنه القرآن وفرضته السنة من تشريعات تتسم بالتسامح وسماحة النفس التي تتميز به الديانة الإسلامية.

❑ **وقد يكون من الأهمية في هذا الصدد الالتفات إلى الاختلافات بين القوانين الغربية وبين الحقوق التي تضمنها الإسلام منذ ١٤٠٠ سنة:**

١ـ تنص مواثيق حقوق الإنسان ، بما في ذلك اتفاقية حقوق الإنسان الأوروبية الصادرة في ١٩٥٠/١١/٤ على صيغ المساواة بين الرجل والمرأة، خاصة أمام القضاء، وفي العلاقة الزوجية . فالنظرية الغربية تنكر الفروق القانونية المهمة بين الجنسين. بينما الإسلام لا ينساق تمامًا وراء هذا الافتراض الخيالي. ففي الميراث مثلاً نجد الرجل هو المكلف شرعًا بالإنفاق على جميع أفراد العائلة التي يعولها من ذوي رحمه، وبالتالي فإن اختلاف الواجبات والالتزامات يستتبع اختلاف الحقوق، ولذلك كان حق الرجل مثل حظ الأنثيين في الميراث.

٢ـ بناء على القانون الإسلامي، يمكن للإنسان أن يدين بأي دين غير دينه، دون أن يضار من اعتناقه الدين الجديد. لكن هذا الحق ليس للمسلم.. فالمسلم الذي يرتد عن الإسلام يتحمل عواقب ارتداده، وأقلها منعه من ميراث أي مسلم، ومنها بطلان زواجه من الزوجة المسلمة.. فضلاً عن إعدام المرتد المسلم وإن لم ينص القرآن على ذلك.

٣ـ المواطنون غير المسلمين ليس لهم حق شغل المناصب السياسية الرئيسية

في الدولة كمنصب الخليفة أو الحاكم (كالمواطن الأمريكي المولود خارج أمريكا لا يرشح نفسه لمنصب رئيس الولايات المتحدة).

٤- عقوبة الإعدام: وترفض الدولة الإسلامية إلغاء هذه العقوبة التي نص عليها القرآن عقابًا في ثلاث جرائم كبرى هي الخيانة العظمى والقتل وقطع الطريق بالسلب والنهب والسرقة كرهًا وعمدًا. وهذا ثابت في الإسلام.

٥- الرق: كان الرق مسموحًا به في قانون الحرب في الإسلام وفي كافة التشريعات السائدة وقت ظهور الإسلام. غير أن الرقيق في الإسلام كانت لهم حقوق مكفولة، وعليهم واجبات محددة، ولم يكونوا يعاملون المعاملة المهينة التي جسمتها القوانين الرومانية التي كانت تعتبرهم متاعًا أو أشياء حقيرة.

ولا ينسين أحد أن الله حث على تحرير الرقبة في مواضع كثيرة من القرآن، وعظّم أجر من يمنح الإماء والذكور من الرقيق الحرية، وجعله كفارة لبعض الذنوب التي قد يقع فيها المسلم.

وبهذا بدأ القرآن نفسه الحملة لتحرير الرقيق.

واليوم لا تجد المسلم الجاد الذي يرتضي عودة الرقيق، فقد تجاوزت الإنسانية هذه المرحلة كما هو ثابت في المادة الثامنة من إعلان حقوق الإنسان، والمادة الرابعة من ميثاق الحقوق السياسية والمدنية.

وبعد كل هذا يتبقى أن نكرر أنه لا تعارض أو تناقض في الجوهر بين الإسلام وبين مبادئ حقوق الإنسان. بل العكس هو الذي يجب أن يذكر، لبيان عظمة الإسلام بوصفه نظامًا شاملاً متكاملاً في احترام حقوق الإنسان والتأكيد عليها.

❑ الإيمان بالقضاء والقدر:

اللغز المحير أمام المسيحية والإسلام هو : كيف يمكن التوفيق بين قدرة اللّه المطلقة وعلمه المحيط بكل شيء ، وبين اعتبار الإنسان ذا إرادة حرة فاعلة ؟ وبعبارة أخرى:

ـ إما أن يكون اللّه سبب كل الأفعال، فلا يكون الإنسان مسئولاً عن أفعاله وبالتالي يمتنع عقاب اللّه له، وإلا كان ذلك مناقضًا للعدل الإلهي.

ـ وإما أن يكون الإنسان خالق أفعاله. فلا يكون اللّه خالق كل شيء، والمسيطر على كل الافعال. ولقد تخبطت المسيحية زمنًا طويلاً في بحثها الدائب عن إجابة موفقة، وكانت أميل إلى القول بمبدأ الجبر المطلق، بمعنى أن كل شيء قدر مقدور مشمول بالرحمة الإلهية منذ الأزل تمشيًا مع المفرطين في السلبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر. أما الاتجاه الارثوذوكسي (المتزمت) لفلسفة توماس الأكويني فهو يتشبث بالقول بأن اللّه سبب كل الأفعال وعلتها ، غير أنه يرى أن سابق علم اللّه لا يقتضي حتمية حدوث الفعل كما قدر، وإنما يعني احتواء الإرادة الحرة للإنسان الذي يظهر الأحداث التاريخية لتكون جزءا من خطة الخلاص الإلهي الكبرى، التي تسمو على الأحداث.

ولقد زاد هذا العبث الطين بلة بتلاعبه بالألفاظ وبالمحاورة والمداورة في الصياغة دون تقديم أي حل.

ثم جاءت أوروبا وأمريكا الشمالية بحل أدهى وأمر. فمنذ عصر التنوير والنهضة العلمية تتفق الحرية المطلقة في حق تقرير المصير، التي يتمتع بها الأفراد، مع حياة الجماهير شعورًا وممارسة. فالإرادة الحرة للإنسان لم تعد

موضع بحث أو سؤال.

ولهذا يستنكر المرء اليوم القول بالجبر أو بحتمية بعضه، برغم أن كلاً من الجبر وحرية الإنسانية لا يمكن البرهنة عليه بوسائل العلوم الطبيعية (فالقضايا الدينية تحل نفسها بنفسها تلقائيًا، دون الحاجة إلى الرب).

أما المحاولات التي شهدها الإسلام ومازال يشهد لحل قضية الجبر حلاً مقبولاً، فقد اختلفت عما ذكرنا.

ففي القرن التاسع الميلادي قالت المعتزلة بالإختيار ردًا على الجبرية ، وذهبت المعتزلة إلى أن اللّٰه أودع في العبد القدرة على خلق أفعاله قدرة كامنة بحيث ترجع أفعال العباد إلى سببين: أحدهما متعلق بالذات الإلهية، وثانيهما متعلق بالإنسان.

أما الحوار الإسلامي الحقيقي في قضية القضاء والقدر، فهو في القرآن على أكمل ما يكون إذ نجد منطلق هذا الحوار في أسماء اللّٰه الحسنى (التي بلغ عددها ٩٩ إسمًا ليس فيها الاسم الأعظم). ولا ينبغي لأحد أن يفهم أن الأسماء تعني التشخيص أو الأشخاص، وإنما هي صفات جوهرية للذات الإلهية تبين للبشر بعض الملامح من الذات الإلهية التي أراد اللّٰه أن يطلعنا عليها مثل العليم ـ القدير ـ الخلاق ـ الحفيظ ـ رب العالمين ـ الحسيب ـ لا يظلم أحدًا ـ البر ـ اللطيف ـ الغفور ـ الودود ـ ولي المؤمنين...

ولقد قال الغزالي في القرن الثاني عشر عن اللّٰه «يعلم دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء. ما أراده كان، وما لم يرده لم يكن، لاراد لقضائه ولا معقب لحكمه»

وهناك أيات قرآنية تؤيد القول بالجبرية مثل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣] .. ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢٩]. وغيرهما.

كما أن هناك آيات قرآنية أخرى يفيد ظاهرها عكس ما سبق.

ومنذ القرن العاشر يغلب على التيار الإسلامي القول بالإزدواجية (الظاهرة) في أسماء اللّه الحسنى (حيث يرد الاسم وضده: الأول والآخر، الظاهر والباطن..) . وهذه الإزدواجية يستعصي على المنطق البشري حل معضلتها، على أنه برغم الدهشة التي نجدها عند تأملها، فإن المسلم يتقبلها ببساطة.

ولقد تولى أبو الحسن الأشعري (٨٧٤م - ٩٤٥م) شرح الموقف، وطالب بالتمسك بما جاء به الإسلام كما نزل في أمور الغيب دون الخوض فيه «بلا كيف وبلا تشبيه» . ولقد شبه الإمام محمد عبده (١٨٤٩م - ١٩٠٥م) على أن «التوفيق بين علم اللّه وإرادته... وبين حرية اختيار الإنسان لأفعاله، إنماهي محاولة للخوض في أسرار الله». ولقد سجل التاريخ لأبي الحسن الأشعري قولته بالكسب والاكتساب: أي أن اللّه وحده هو المسبب، أي الخالق لأفعال الإنسان، ودور الإنسان هنا هو أنه يكسب ما له، ويكتسب ما عليه من خلال تعامله وتكيفه مع المقدور... أي أن الفاعل الحقيقي هو اللّه، لأنه هو مبعث الفعل. بينما الإنسان يكتسب الإثم أو المثوبة جزاء وفاقًا لموقفه من ذلك الفعل.

❑ ومعنى هذا في واقع الحياة العملية للمسلم:

- إن المسلم يحاول تحقيق أهدافه في الحياة، عملاً بالشعار «ساعد نفسك، يساعدك الله» على أن المسلم يجد نفسه مسئولاً مسئولية شخصية مباشرة عما يفعل وعما يقول.

ـ والمسلم يثق في أن اللّه سيجزيه خيرًا على أفعاله الخيرة ، ليس لأن اللّه مجبر على ذلك، ولكن لأن اللّه سبحانه لا يظلم مثقال ذرة . وهكذا كتب على نفسه الرحمة.

ـ والمسلم يخشى عقاب اللّه على ما اقترف من المعاصي، ولكنه يعلم أنه يرجو عفو اللّه، ومغفرته ، ولا يقنط من رحمته.

ـ ولأن المسلم يعرف أن كل شيء بيد الله. فإنه يستهل أعماله وأقواله يذكر اللّه، وعلى بركة اللّه مناديًا «بسم اللّه الرحمن الرحيم» . فإذا آنس خيرًا فإنه يقرنه بالمشيئة «إن شاء الله». وإذا قرت عينه بنجاح أرجعه إلى اللّه مناديًا «ما شاء الله» . وهو في كل ذلك واثق من رحمة اللّه التي وسعته ووسعت كل شيء. إلى أن يأذن اللّه له بلقائه.

ـ وإذا لقى المسلم الفشل رغم محاولاته، أو إذا أصابته مصيبة لا يستطيع ردها، فإنه يلجأ إلى اللّه ليس جذوعًا ولا معترضًا وإنما صابرًا محتسبًا، مؤمنًا بأن قضاء اللّه لا راد له.

* * *

[٣]
الطبيب الفرنسي

(موريس بوكاي) (فرنسا)

كان يعيش في السعودية وعلى صلة حميمة بجلالة الملك فيصل الذي حدّث بوكاي بنفسه عن الإسلام، وذكر موريس بوكاي لجلالته بعض مشاكل تفسير القرآن الكريم في علاقته بالعلم الحديث. وتلقى من جلالته ومن حاشيته معلومات قيمة.

وعندما توصل إلى إدراك زيف الأحكام الصادرة بصفة عامة في الغرب عن الإسلام، واستطاع قياس المسافة التي تفصل حقيقة الإسلام عن الصورة التي اختلقها الغرب في بلاده عنه ، شعر بالحاجه الملحة لتعلم اللغة العربية التي لم يكن يعرفها، وذلك حتى يكون قادرًا على دراسة هذا الدين. وكان هدفه الأول هو قراءة القرآن، ودراسة نصه جملة جملة، مستعينًا بمختلف التعليقات والتفاسير . فأذهلته دقة بعض التفاصيل الخاصة بالظواهر الطبيعية. وهي تفاصيل لا يمكن إدراكها إلا في النص العربي الأصلي، كما أذهلته مطابقتها للمفاهيم التي تتوفر لدينا اليوم، والتي كان يستحيل على أي إنسان في عصر النبي ﷺ أن تكون لديه أدنى فكرة عنها. والواقع أن أول ما يثير الدهشة عند من يرى هذا القرآن الكريم لأول مرة، هو ثراء الموضوعات المعالجة: فهناك الخلق وعلم الفلك وعرض بعض الموضوعات عن الأرض، وعالم الحيوان وعالم النبات والتناسل الإنساني. وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية خطيرة ، لانجد إطلاقًا أي خطأ في القرآن. وكان قد ساق الجهل كثيرًا من كتاب الغرب إلى

الادعاء بأن الدعاوي العلمية الموجودة في القرآن ترجع إلى تقدم العلماء العرب في عصرهم، وأن محمدًا ﷺ قد استلهم دراستهم بشأنها.. إن من يعرف ـ ولو اليسير من تاريخ الإسلام لن يجرؤ على مثل هذا القول الزائف . لأن الازدهار الثقافي والعلمي في العالم العربي في القرون الوسطى جاء في تاريخ لاحق لعصر النبوة.. فضلاً عن أن معظم الأمور العلمية التي جاء بها الوحي والمصاغة بدقة في القرآن لم تؤيدها الحقائق العلمية إلاَّ في العصر الحديث ، وبعد أن تحير فيها كثير من العلماء والمفسرين المسلمين على مر العصور الماضية لعدم توفر الأرضية العلمية التي تكشف غموضها.

- **وإليك بعضًا من الأفكار الرئيسية التي عبر عنها في كتابه «القرآن والتوراة والأنجيل والعلم».**
- **وثيقة الفاتيكان:**

تحدث موريس بوكاي في كتابه عن الوثيقة التي أصدرها الفاتيكان بعنوان «توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين» والتي طُبعت للمرة الثالثة عام ١٩٧٠ في ١٥٠ صفحة . وتعكس هذه الوثيقة مدى التحول الذي حدث في موقف الفاتيكان الرسمي. فقد دعت الوثيقة المسيحيين إلى استبعاد الصورة البالية التي يصورون بها المسلمين «تلك الصورة البالية التي ورثنا الماضي إياها أو شوهتها الافتراءات والأحكام المسبقة». ثم اهتمت الوثيقة «بالاعتراف بمظالم الماضي التي ارتكبها الغرب ذو التربية المسيحية في حق المسلمين». وتنتقد الوثيقة أيضًا مفاهيم المسيحيين الخاطئة عن الحتمية الإسلامية وحرفية الإسلام وتعصبه... وغير ذلك . وتؤكد ـ أيضًا ـ على وحدة الإيمان باللَّه عند الجماعتين، وتذكر كيف أثار الكاردينال كوينج Koeing إعجاب مستمعيه بجامعة الأزهر الإسلامية بالقاهرة في محاضرته التي ألقاها بها عام ١٩٦٩

واعلن خلالها ذلك. وتذكر الوثيقة أيضًا أن سكرتارية الفاتيكان قد دعت المسيحيين منذ عام ١٩٦٧ إلى تقديم تهانيهم إلى المسلمين بمناسبة عيد الفطر باعتبار أنه يمثل «قيمة دينية أصيلة».

وتقول الوثيقة متوجهة إلى المسيحيين «علينا أن نتطهر وبعمق من عقليتنا، نقول ذلك ونحن نفكر بالذات في بعض الأحكام المجهزة التي كثيرًا ما نصدرها باستخفاف على الإسلام.. وبتحكمية...»

وتقول الوثيقة «إن المسلمين الذين يؤمنون بإبراهيم يعبدون إلهًا واحدًا هو الرحيم، ديان البشر يوم القيامة».

ولقد أعقبت تلك المبادرة للتقارب بين الهيئة البابوية والإسلام لقاءات واجتماعات.. وإن كانت قلة قليلة هي التي عرفت هذه الأحداث الهامة التي وقعت في العالم الغربي على الرغم من كثرة وسائل النشر والإعلام. فقد قام الكاردينال بنيودولي Pignedoli رئيس سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين بزيارة جلالة الملك فيصل في ٢٤ إبرايل ١٩٧٤ وسلمه رسالة من البابا بولس السادس مدفوعًا بإيمانه العميق بوحدة العالمينْ الإسلامي والمسيحي اللذين يعبدان إلهًا واحدًا، ومعبرًا فيها قداسته عن تقديره لجلالة الملك فيصل باعتباره الشخصية العليا في العالم الإسلامي.

وبعد ذلك بستة أشهر أي في أكتوبر ١٩٧٤ استقبل البابا رسميًا بالفاتيكان كبار علماء المملكة العربية السعودية، وكانت مناسبة لندوة بين مسيحيين ومسلمين حول حقوق الإنسان الثقافية في الإسلام، وكرست جريدة الفاتيكان «اوسرفاتوري رومانو Osservatore Romano» صفحتها الأولى لهذا الحدث العظيم.

ثم استقبل المجمع المسكوني الأعلى للكنائس بجنيف، وغبطة الأسقف Elchinger ـ أسقف ستراسبورج ـ كبار علماء المملكة، ودعا الأسقف هؤلاء العلماء إلى أداء صلاة الظهر أمامه بالكاتدرائية متجهين إلى القبلة.

ويقول بوكاي وإذن فإذا كان ممثلوا العالمينْ المسلم والمسيحي على أعلى المستويات يتفاهمون بهذه الكيفية في إخلاصهم لرب واحد، وفي احترامهم المتبادل لاختلافاتهم، ويتفقون على إقامة حوار ديني، أليس طبيعيًا ـ والحال هذه ـ أن تقام المقارنات بين مختلف جوانب الكتب المقدسة بمعنى دراستها في ضوء المعطيات العلمية والمعلومات المتعلقة بصحة النصوص، وينبغي أن تقام هذه الدراسة الأخيرة على القرآن الكريم مثلما تمت على التوراة والإنجيل؟

❑ صحة القرآن الكريم:

تتمتع صحة القرآن بمنزلة رفيعة تجعل نصه في مقام يسمو فوق كل شك ويبعد عن كل جدل، وهي منزلة لا يدانيها أو يقترب منها لا العهد القديم ولا العهد الجديد.

وذلك بسبب بسيط هو أن نص القرآن قد ثبت في عصر النبي ﷺ . كما سنرى. ولم يتعرض لأي تحريف من يوم أن نزل على رسول الله ﷺ حتى يومنا هذا.

ففور تنزيله، وأولاً بأول ، كان النبي ﷺ ، والمؤمنون من حوله يحفظونه عن ظهر قلب. وكان بعض الصحابة قد عُرفوا باسم «كتبة الوحي» وكان النبي يأمر أحدهم بكتابة ما نزل عليه من فوره على أي شيء في متناول أيديهم مثل الورق أو الخشب أو قطع الجلد أو صفائح الحجارة أو كسر الأكتاف...الخ . ويذكر العلماء الثقاة أن عدد كتّاب الوحي بلغ ٢٩ كاتبًا أشهرهم الخلفاء

الخمسة الأوائل . وكان النبي ﷺ يأمر الكاتب بوضع الآية المنزلة توًا في مكان كذا بسورة كذا بعد الآية كذا لتبقى الآيات في مكانها إلى الأبد.

وقد بدأ نزول القرآن بالآيات الأولى من سورة العلق، ثم انقطع ثلاث سنوات ليستأنف نزوله بعد ذلك طيلة عشرين عامًا نصفها في مكة ونصفها في المدينة ولم يحل هذا بين المؤمنين وبين المعرفة الشفوية لموضع كل آية جديدة من كل سورة على وجه التحديد، في كل مرحلة من مراحل نزول الوحي . وكان في حياة الرسول مئات من الصحابة يطلق عليهم «حفظة القرآن» تخصصوا في تلاوة القرآن وحفظه عن ظهر قلب، وفي معرفة كل سورة في هيئتها المؤقته أو النهائية. وكان الرسول يذكر أنه في شهر رمضان من كل عام كان يقوم بمراجعة عامة وتلاوة الآيات التي نزل بها الوحي مع جبريل عليه السلام، وأنه في العام الأخير راجع عليه جبريل القرآن مرتين مما جعل الرسول ﷺ يتنبأ بقرب أجله، ولقد اتضحت القيمة الثمينة لذلك المنهج المزدوج في حفظ النص القرآني بالكتابة وبالذاكرة.

ولم يمض عام واحد بعد أن قبض الرسول ﷺ إلاَّ وبدت الحاجة ملحة لجمع وثائق القرآن في مجموعة مدونة. ولقد تقدم بالفكرة عمر بن الخطاب إلى الخليفة الأول عقب معركة اليمامة التي قُتل فيها مئات من المسلمين منهم «سبعون من حفظة القرآن». وكان عمر يهدف ليس فقط إلى حفظ المدون من القرآن في مأمن من الأخطار، وإنما أيضًا إلى إقرار الشكل النهائي للقرآن وتوثيقة عن طريق حفظته الباقين على قيد الحياة، واعتماده من الصحابة الحافظين.

ولقد طلب أبو بكر إلى زيد بن ثابت تولي مهمة جمع القرآن. وكان زيد أحد كتبة القرآن وحضر آخر تلاوة للقرآن قام بها الرسول. ووضعت قاعدة

للعمل. تقضي بألا يؤخذ بأي مخطوط لا يشهد شخصان على أنه مكتوب ليس من الذاكرة، وإنما بإملاء الرسول ذاته. وأنه جزء من التنزيل في صورته النهائية. وبعد جمع القرآن بكل هذه الاحتياطات، سلمه زيد إلى أبي بكر الذي احتفظ به طوال خلافته، وعهد به قبل وفاته إلى عمر بن الخطاب، ثم قام عمر بتسليمه إلى ابنته حفصة ـ أم المؤمنين ـ في آخر لحظة من حياته.

وفي خلافة عثمان بن عفان ـ بعد معارك أرمينية وأذربيجان ـ شكَّل عثمان لجنة من أربعة نساخ من الصحابة منهم زيد بن ثابت نفسه، وكلفهم بنسخ مصحف حفصة بعدد من النسخ يعادل عدد الأمصار الرئيسية في الدولة الإسلامية .. بإنتهاء هذا العمل بما يتفق تمامًا مع مصحف حفصة ، أعيد مصحف حفصة إليها، بينما جُلِّدت النسخ الأخرى ووُزعت على الأمصار، باعتبارها نماذج لا بديل لها وتبطل كل ما يخالفها من قريب أو بعيد. وهذا المصحف هو الوحيد المتداول في العالم الإسلامي منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان. والذي تتطابق أقدم نسخه المعروفة في أيامنا تمام المطابقة مع النسخ الأخرىالمتداولة في العالم اليوم. وكذلك مع المخطوطات الموجودة في أوربا (بالمكتبة الوطنية بباريس توجد نسخ يرجع تاريخها ـ حسب تقدير الخبراء ـ إلى القرنين الثاني والثالث من الهجرة).

❑ مدى صحة العهد القديم:

كم من القراء الذين إذا طرح عليهم سؤال «من هو مؤلف العهد القديم؟» سوف يردد مقولة : «إنه الرب»، إستنادًا إلى ما قرأوه في مقدمة العهد القديم. برغم أن كل كتب العهد القديم مكتوبة بأقلام بشر ألهمهم الروح القدس.

أصرت الكنيسة دائمًا على هذا الموقف. وتكفلت دائمًا بضمان صحة هذه

الكتب. فقد نُشرت منذ المجامع المسكونية التي انعقدت بفلورنسا Florence عام ١٤٤١ وترانت Trente عام ١٥٤٦م والفاتيكان الأول Vatican 1 عام ١٨٧٠م، وشكلت ما يسمى بالقانون Canon.

ومنذ عهد قريب قام آخر مجمع؛ الفاتيكان الثاني Vatican II (١٩٦٢ - ١٩٦٥م) بنشر نص بشأن التنزيل الإلهي يجده القراء على رأس الطبعات الحديثة.. كالآتي: «بالنظر إلى الوضع الإنساني السابق على الخلاص الذي وضعه المسيح، تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو اللّٰه، ومن هو الإنسان، بما لا تقل عن معرفة الطريقة التي يتصرف بها اللّٰه في عدله ورحمته مع الإنسان غير أن هذه الكتب تحتوي على شوائب، وشيء من البطلان، ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم إلهي».

ولم يرد بذهن القراء أن مسألة الصحة هذه قابلة للنقاش.

فهناك مؤلفات كتبها بعض رجال الدين للخاصة وليس للعامة، وهناك دراسات أخرى أكثر إيجازًا وموضوعية كدراسة إدموند جاكوب Edmond Jacob «العهد القديم» يشير فيها إلى أنه في البدء لم يكن هناك نص واحد وإنما نصوص متعددة. ففي القرن الثالث قبل الميلاد كان هناك تقريبًا ثلاث مدونات على الأقل للنص العبري للتوراة: النص المحقق (الماسوري) Massorethique ، والنص الذي استخدم جزئيًا على الأقل في الترجمة إلى اليونانية، والنص المعروف بالسامري (أو أسفار موسى الخمسة). Pentateuque Samaritain. ثم كان بعد ذلك في القرن الأول قبل الميلاد اتجاه إلى تدوين نص واحد، ولكن تدوين نص الكتاب المقدس لم يتم إلاَّ في القرن الأول بعد الميلاد. ولو كانت هذه المدونات الثلاثة موجودة الآن لأمكن عقد المقارنات للوصول ربما إلى رأى

عما كان عليه حال النص الأصلي، ولكن يشاء سوء الحظ ألا تكون لدينا أقل فكرة عنه.

إن أقدم نص عبري للتوراة يرجع عهده إلى القرن التاسع بعد الميلاد (إذا استثنينا إسطوانات مغارة قمران.. وبردية الوصايا العشر... وبعض مخطوطات ناقصة ترجع إلى القرن الخامس بعد الميلاد [كنيسة القاهرة].)

وأول ترجمة هي الترجمة السبعينية Septante وهي باليونانية وترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وقد قام بها يهود الأسكندرية ، وعلى نصها اعتمد كتاب العهد الجديد، وظلت معتمدة حتى القرن السابع بعد الميلاد. علمًا بأن النصوص اليونانية الأصلية المستخدمة عمومًا في العالم المسيحي هي المخطوطات المحفوظة بالفاتيكان باسم Codex Vaticanus والمحفوظة بالمتحف البريطاني باسم Codex Sinaiticus ويرجع تاريخهما إلى القرن الرابع بعد الميلاد.

وفيما يخص توراة القديس أيرونيمس اللاتينية، فيحتمل أن يكون قد استخدمت فيها وثائق عبرية ترجع إلى السنوات الأولى من القرن الخامس بعد الميلاد. ويطلق على هذه التوراة Vulgate بسبب انتشارها الواسع بعد القرن السابع بعد الميلاد.

وأخيرًا نذكر المدونات الآرامية والسريانية Peschitta وهي غير كاملة.

ولقد أتاحت هذه المخطوطات المختلفة للمتخصصين بأن ينتهوا إلى إعداد النصوص المسماة «بالمتوسطة». وهي أشبه بحلول وسط بين مختلف النسخ. وهناك أيضًا مجموعات تحتوي ـ جنبًا إلى جنب ـ، على النسخ المختلفة أي النسخ العبرية واليونانية واللاتينية والسريانية والآرامية وحتى العربية. ذلك هو

الكتاب المقدس الشهير بنسخة والتون Walton (لندن ١٦٥٧).

هذا ونضيف أن الاختلاف بين الكنائس المسيحية حول مفاهيم الكتب المقدسة، كان من شأنه عدم قبول كنائس من نفس المذاهب نفس الأسفار بالتحديد، فضلاً عن أنها حتى الآن ليس لها رأي واحد في الترجمة، حتى التي بنفس اللغة. وتطمح الترجمة المسكونية الجارية للعهد القديم إلى الانتهاء لنص شامل مركب: أي كتاب يهدف إلى توحيد النصوص يقوم به كثير من الخبراء الكاثوليك والبروتستانت.

وبهذا يتضح ضخامة ما أضافه الإنسان إلى العهد القديم، ويتبين للقارئ مدى التحولات التي أصابت نص العهد القديم الأول من نقل إلى نقل، ومن ترجمة إلى ترجمة، بكل ما ينجم حتمًا عن ذلك من تصحيحات ، طرأت على مدى أكثر من ألفي عام.

وكان الكتاب المقدس ـ في أول الأمر وقبل أن يكون مجموعة أسفار ـ تراثًا شعبيًا لا سند له إلاَّ الذاكرة ـ وهي العامل الوحيد الذي اعتمد عليه نقل الأفكار. وكان هذا التراث يغني به غناء وينشد به إنشاداً. (أغاني الطعام، وأغنية الاحتفال بنهاية الحصاد، وأناشيد العمل مثل نشيد البئر (سفر العدد الاصحاح ٢١: ١٧) وأناشيد الزواج مثل نشيد الإنشاد، وتراتيل الحداد، وأناشيد الحرب مثل ترنيمة دبورة (سفر القضاة ٥: من ١إلى ٣٢...الخ).

ويلاحظ ادموند جاكوب أن تناقل الأقوال التاريخية كان يتم إما عن طريق الأسرة، وإما عن طريق المعابد في شكل روايات لتاريخ الشعب المختار. ويخلص إدموند جاكوب إلى ما يلي: «يحتمل أن ما يرويه العهد القديم عن موسى والآباء الأولين لا يتفق إلاَّ بشكل تقريبي مع المجري التاريخي للأحداث...».

وهناك من الأسباب ما يسمح بالتفكير بأن الكتابة قد استخدمت لنقل التراث والحفاظ عليه بعد استقرار الشعب اليهودي بأرض كنعان، أي في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ولكن لم تكن الكتابة لازمة حتى بالنسبة للقوانين. وهناك من القوانين ما تنسب كتابته إلى يد اللَّه نفسه كالوصايا العشر، وهي منقوله في العهد القديم في روايتين : الأولى في سفر الخروج (٢٠:من ١ إلى ٢١)، والثانية في سفر التثنية (٥:من ١إلى ٣٠) . والروح في النصين واحدة، ولكن الاختلافات بينهما واضحة.

وهكذا كُتبت أسفار العهد القديم على مدى ما يربو على تسعة قرون وبلغات مختلفة، واعتمادًا على التراث المنقول شفويًا. وقد صُحِّحت وأُكملت أكثرية هذه الأسفار، بسبب أحداث حدثت أو بسبب ضرورات خاصة، وفي عصور متباعدة أحيانًا.

هل هناك من جرؤ على الاعتراض على هذا المجموع المتنافر حتى القرون الوسطى في الغرب على الأقل؟.. لا أحد أو تقريبًا لا أحد. وإن كانت بعض الإنتقادات قد ظهرت من القرون الوسطى حتى بداية العصور الحديثة، إلا أن الكنائس نجحت دائمًا في فرض سلطانها.

ولا شك أن عصرنا قد شهد ميلاد نقد أصيل للنصوص، ولكن الكنسيين المتخصصين في نقد النصوص، قد حكموا بأفضلية عدم الذهاب إلى أبعد مما يسمونه «صعوبات» ، مع عدم ميلهم لدراسة هذه الصعوبات على ضوء المعارف الحديثة (خصوصًا المعلومات العلمية) والتي ندرك أنها ستقود إلى الاعتراض على فكرة صحة الكتابات اليهودية ـ المسيحية التي لم يتعرض أحد منهم لمناقشتها حتى يومنا هذا.

❑ مدى صحة العهد الجديد:

أول الكتابات التي تم تداولها هي رسائل بولس التي سبقت الأناجيل بزمن طويل جدًا، وساد قبل ذلك سلطة التراث الشفهي الذي كان ينقل أقوال المسيح وتعاليم الحواريين، ولم يعرف قبل عام ١٤٠ م شيء عن وجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية، وذلك بما يخالف ما يكتبه المعلقون حتى اليوم. ولم تكتسب الأناجيل الاعتراف الكنسي بها إلا اعتبارًا من عام ١٧٠م.

وفي تلك العصور المسيحية الأولى، تم تداول كثير من الكتابات عن المسيح لم تعتد بها الكنيسة وأمرت بإخفائها ومن هنا جاء اسم الأناجيل المزورة Apocryphes. وبرغم ذلك بقيت مؤلفات من هذه النصوص محفوظة جيدًا.. عرفت بفضل تنويهات آباء الكنيسة مما كان يقربها من الأناجيل المعترف بها كنسيًا مثل أناجيل الناصريين، وأناجيل العبرانيين وأناجيل المصريين. وكذلك إنجيل توما وإنجيل برنابا. وربما بلغ ما حذف ١٠٠ إنجيل، واحتفظ فقط بأربعة من الأناجيل المعترف بها كنسيًا.

ولا نستطيع إلا أن نأسف مع الأب بوامار Boismard على إختفاء هذا الكم الضخم من الكتب التي كانت موجودة حتى نهاية القرن الرابع. وتقول الترجمة المسكونية إنه يوجد في العالم ٢٥٠ مخطوطة رقّية أخرى معروفة يرجع آخرها إلى القرن الحادي عشر. وتقول أيضًا «كل نسخ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست متطابقة. بل على العكس فيمكن للقارئ أن يميز فيما بينها فروقًا قد تختلف في الأهمية. ولكن عددها على أي حال كبير...».

لم يكن مألوفًا فيما مضى قراءة وتداول النص الكامل للأناجيل، وإنما كان المعروف تداول مقاطع مختارة من الأناجيل تقرأ عند القداس أو المواعظ.

ومن المهم معرفة جو الصراع بين الجماعات الذي حُررت فيه الأناجيل، وقت خروج النصوص إلى النور عام ٧٠م بعد تعديلات في المصادر، وهي الفترة التي كانت الجماعتان المتنافستان في أوج صراعهما وهما بولس من ناحية واليهود المسيحيون من ناحية أخرى. ويشرح الكاردينال دانيلو Danielou هذه الظروف قائلا: «لما كان اليهود منبوذين في الامبراطورية، فقد نحا المسيحيون إلى الانفصال عنهم . عندئذ ساد المسيحيون الهللينستكيون: لقد حقق بولس النصر بعد وفاته، وبهذا انفصلت المسيحية اجتماعيًا وسياسيًا عن اليهودية لتكوّن ما يعرف بالشعب الثالث...».

ومن عام ٧٠م وحتى قبل١١٠م نتجت أناجيل مرقس ومتى ولوقا ويوحنا، وسبقها رسائل بولس. وليست هناك مجازفة كبيرة في أن نقول لولا جو الصراع بين الطوائف التي نشأت بسبب انشقاق بولس (الذي اتهم بخيانة فكر المسيح)، لما حصلنا على الكتابات التي في حوزتنا اليوم، والتي يسميها الأب كانينجسر Kannengiesser «الكتابات الخصامية».

ففي هذا العصر شكّلت المسيحية البولسية بعد نصرها النهائي مجموعة نصوصها الرسمية أي القانون Canon الذي يستبعد كل الوثائق الأخرى التي لم تكن توافق الخط الذي اختارته الكنيسة ، ويعدها معاكسة للأورثوذكسية.

وبرغم أن اليهود ـ المسيحيين «قد اختفوا كطائفة ذات نفوذ، فقد ظل الحديث عنهم جاريًا، ولكن تحت اسم «المستهودين» Judaisants. ويقول الكاردينال دانيلو عن نهايتهم: «بانقطاع اليهود ـ المسيحيين عن الكنيسة الكبرى التي تحررت تدريجيًا من روابطها اليهودية، سرعان ما فنوا في الغرب. ولكن يمكن اقتفاء آثارهم في القرن الثالث إلى القرن الرابع بالشرق، وخاصة

فلسطين والجزيرة العربية. وما وراء الأردن وسوريا، وما بين النهرين. وقد امتص الإسلام بعضهم، وهو جزئيًا وريث لهم، وتحالف البعض الآخر مع أورثوذكسية الكنيسة الكبرى مع الاحتفاظ بخلفية ثقافية سامية...»

أما كيف تم جمع الأناجيل فقد كان كالآتي: تشكل تراث شفهي بتأثير تبشير تلامذة المسيح ومبشرين آخرين، وبقاء هذه العناصر.. ثم إمكانية التجسيد المبكر في شكل مكتوب لبعض تحديدات الإيمان ولبعض أقوال المسيح وروايات آلامه على سبيل المثال، ثم استعانة المبشرين بهذه الأشكال المكتوبة المتنوعة كاستعانتهم بمعطيات التراث الشفهي حتى يكتبوا نصوصًا «تتكيف مع مختلف الأوساط، وتستجيب لاحتياجات الكنائس، وتعبر عن تأمل في الكتاب المقدس، وتصحح الأخطاء، وترد بهذه المناسبة على حجج الخصوم . بهذا الشكل جَمعَ ودوّن المبشرون، كل بحسب وجهة نظره، ما قد أعطتهم إياه الأقوال المتوارثة الشفهية».

هذا الموقف الجماعي المتخذ والذي صدر عن أكثر من ١٠٠ مفسر للعهد الجديد كاثوليك وبروتستانت، يختلف بشكل متميز عن الخط الذي عرفه المجمع المسكوني للفاتيكان الثاني في دستوره العقائدي عن التنزيل الإلهي الذي أعد فيما بين ١٩٦٢ و١٩٦٥.

ويذكر كولمان D. Culmann في كتابه «العهد الجديد» رويات من إنجيل لوقا غير موجودة في الأناجيل الأخرى. مثل رويات طفولة المسيح في إنجيل لوقا قائمة بذاتها، وتختلف عن متى. أما مرقس فلا يقول كلمة عنها. ويعطي لوقا ومتى أنسابًا للمسيح تختلف وتتناقض بشكل صارخ. أما تأسيس سر القربان المقدس فلا يذكره يوحنا في إنجيله ، بينما يصورون يوحنا في العشاء الأخير

جالسًا بجوار المسيح. كما أن لوقا يقول عن صعود المسيح ما يناقض ما يقوله هو في «أعمال الرسل» التي ينسبها إليه المتخصصون. إنه يحدد في إنجيله تاريخ صعود المسيح بيوم الفصح، ويحدده في «الأعمال» بعد ذلك بأربعين يوما. ويختلف إنجيل يوحنا جدا عن أناجيل الثلاثة الأخرى إلى درجة أن كتب عنه الأب Roguet «أنه عالم آخر».

ثم من هم كاتبو الأناجيل؟ المسألة موضع نقاش، وهل كانوا شهود عيان؟ يقول الأب كانينجسر انه ليس هناك أي كاتب للعهد الجديد سوى بولس الذي يستطيع أن يصف نفسه بأنه كان شاهدًا معاينًا لقيامة المسيح. وبعثة المسيح يحددها مرقس ومتى ولوقا بعام واحد، بينما تمتد عند يوحنا لأكثر من عامين . وحكاية معجزة الصيد، يذكر لوقا حدوثها في حياة المسيح، ويكتب يوحنا على أنها من حوادث ظهوره بعد قيامته.

ويقول مفسرو هذا العصر عن درجة اتفاق النصوص بين الأناجيل إن:

٣٣٠ آية مشتركة بين ثلاثة أناجيل : متى ومرقس ولوقا

١٧٨ آية مشتركة بين انجيلي مرقس ومتى

١٠٠ آية مشتركة بين انجيلي مرقس ولوقا

٢٣٠ آية مشتركة بين انجيلي متى ولوقا

وهناك ٤ وثائق أساسية هي أ، ب، ج، ق تمثل المصادر الأصلية للأناجيل:

الوثيقة (أ) نشأت من أوساط يهودية ـ مسيحية وقد ألهمت متى ومرقس.

الوثيقة (ب) هي إعادة تفسير للوثيقة أ، استخدمتها الكنائس الوثنية ـ

المسيحية وألهمت كل المبشرين ما عدا متى.

الوثيقة (ج) ألهمت مرقس ولوقا ويوحنا.

الوثيقة (ق) تكوّن معظم المصادر الشائعة بين متى ولوقا إنها " الوثيقة المشتركة" في نظر المصدرين أعلاه. ولم تؤد أية وثيقة من هذه الوثائق الأساسية إلى تحرير النصوص النهائية التي في حوزتنا؛ إذ أن بينها وبين التحرر النهائي توجد تآليف «وسيطة» خاصة بكل انجيل.

وبناء على ذلك تثبت مؤلفات مدرسة الكتاب المقدس بالقدس (الأب بينوا Benoit والأب بوامار Boismard) جيدا أن الأناجيل قد كُتبت ونُقحت وصُححت أكثر من مرة . ولهذا يحذّر هذان الكاتبان قارئ الإنجيل بأن عليه أن يتخلى في أكثر من حالة عن سماع صوت المسيح المباشر.

❑ أحاديث المسيح الأخيرة ـ الـ Paraclet في انجيل يوحنا.

إنجيل يوحنا هو الوحيد من بين الأناجيل الذي سرد ما حدث في نهاية العشاء الأخير للمسيح وقبل القبض عليه. أي آخر أحاديث المسيح مع الحواريين. وينتهي هذا العشاء بخطبة طويلة ، يعالج فيها يوحنا مسائل أساسية، وآفاق مستقبلية ذات أهمية بالغة، وهي معروضة بكل ما في مشهد وداع السيد لتلاميذه من جلال ورهبة (الأصحاحات من ١٤ إلى ١٧).

كيف يمكن أن نفسر الغياب التام لرواية الوداع المؤثر من أناجيل متى ومرقس ولوقا؟ وهو المشهد الذي يحتوي على الوصية الروحية للمسيح ؟ هل كان النص موجودا عندهم وهم أول المبشرين؟ ألم يحذف فيما بعد؟ ولماذا؟ طبعًا لا يمكن التوصل إلى أية إجابة فاللغز مستغلق تمامًا...

وهذه الرؤية يرد فيها حديث المسيح عن مستقبل البشر، واهتمام السيد

بتوجيه تلامذته ومعهم الإنسانية جمعاء، محددًا بشكل نهائي المرشد الذي على الإنسانية اتباعه بعد أن يختفي المسيح . والنص يحمل اسمًا يونانيًا هو Parakletos الذي أصبح بالفرنسية Paraclet وهذه الفقرة تقول:

«إذا كنتم تحبونني فستعملون على اتباع أوامري، وسأصلي للآب الذي سيعطيكم Paraclet آخر» (١٤: ١٥ - ١٦) و «عندما سيأتي روح الحقيقة، فسيجعلكم ترقون إلى الحقيقة بكاملها، لأنه لن يتكلم بإرادته ، وإنما سيقول ما يسمع وسيعرفكم بكل ما سيأتي وسيمجدني» (١٦: ١٣ - ١٤) فكلمة "يقول" معناها يصدر أصوات وخاصة صوت الكلام، أما كلمة «يسمع» فمعناه يستقبل أصوات، والفعلان يعنيان فعلين ماديين، لا يمكن أن يخصا إلا كائنًا يتمتع بجهاز للسمع وآخر للكلام. وبالتالي تطبيق الفعلين على روح القدس غير ممكن، وغير مفهوم بالمرة.

إذن وجود كلمة «الروح القدس» في النص to pneu to agion قد يكون نتيجة إضافة لاحقة مقصودة تمامًا تهدف إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض - وهي تعلن عن مجئ نبي بعد المسيح، تتناقض مع تعاليم الكنائس المسيحية الوليدة التي أرادت أن يكون المسيح هو خاتم الأنبياء.

❑ مراحل خلق الكون الستة:

تذكر رواية التوراة تمام الخلق في ستة أيام يتبعها يوم راحة وهو يوم السبت. وذلك قياسًا على أيام الأسبوع.. وكانت الطريقة التي استخدمها كهنة القرن السادس قبل الميلاد تهدف إلى الحض على أن يستريح كل يهودي في يوم السبت. كما فعل الرب بعد أن عمل طيلة أيام الأسبوع الستة. وكما يُفهم من التوراة فإن كلمة «يوم» هي المسافة الزمنية التي تقع بين إشراقين وغروبين

متتاليين بالنسبة لسكان الأرض . واليوم بهذا المعنى يرتبط بدوران الأرض حول نفسها. وواضح تماما الاستحالة المنطقية في التحدث عن «الأيام» بهذا المعنى لأن الأرض لم تكن أنشئت بعد في أول مراحل الخلق.

أما إذا رجعنا إلى نصوص الآيات القرآنية فنجد أيضًا أن القرآن استخدم كلمة «يوم وأيام». ولكن آيات أخرى توضح أن اليوم في المفهوم القرآن هي فترة زمنية طويلة غير محددة مثل ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة: ٥] و﴿... تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]. ولا شك أن هذا التفسير قد بهر كثيرًا من المفسرين القدامي الذين لم يكونوا يملكون أي معارف من تلك التي نملكها اليوم عن فترات مراحل تكوين الكون بينما اتجه بعض المفسرين المحدثين إلى معنى «فترات طويلة» أو «عصور» وقد حدد القرآن عددها بستة.

ويقدم القرآن في آيتين خلاصة مركبة ومختصرة لظواهر تشكيل الكون: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠]

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩ - ١٢].

☐ ونلفت النظر هنا إلى الآتي:

١- الدعوى بوجود كتلة غازية ذات جزئيات. وهو تفسير كلمة «دخان» . إذ يتكون الدخان عمومًا من قوام غازي تعلق به جزئيات دقيقة قد تنتمي إلى

حالات المواد الصلبة أو السائلة مع درجة من الحرارة.

٢ـ الإشارة إلى عملية الفتق للكتلة الفريدة الأولى التي كانت ملتحمة (بمعنى الرتق). ويكون الفتق هو القطع أو فك اللحام أو الفصل.

وتفصيل الكل إلى أجزاء نراه في مواضع أخرى. ويتكرر في تعبير «العالمين» عشرات المرات في القرآن. وكذلك السماوات التي تُذكر مع ترقيم رمزي وهو رقم ٧ والمستخدم ٢٤ مرة في القرآن. وكثيرًا ما يعني التعدد دون تحديد العدد (كما كان عند اليونان والرومان).

إذن السماوات متعددة وكذلك الكواكب المشابهة للأرض. ومما يثير دهشة القارئ أن يجد في نص القرآن ما يفيد امكان وجود كواكب أخرى تشبه الأرض في الكون، وتكون خارج المجموعة الشمسية، وهذا ما لم يتحقق منه العلم الحديث.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢].

والمدهش أيضًا أن يشير القرآن إلى وجود خلق وسيط بين «السماوات والأرض». ولكي نفهم ذلك يجب الاستعانة بأحدث ما قيل عن وجود مادة كونية «خارج المجرات» Extra - Galactique.

❑ **ونلخص النقاط الأساسية التي يعلمنا بها القرآن فيما يتعلق بالخلق:**

١ـ وجود ست مراحل للخلق عمومًا.

٢ـ تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض.

٣ـ خلق الكون ابتداء من كومة أولية فريدة كانت تشكل كتلة متماسكة تفصلت بعد ذلك .

٤- تعدد السماوات فضلا عن تعدد الكواكب التي تشبه الأرض.

٥- وجود خلق وسيط «بين السماوات والأرض».

❑ رواية الطوفان بين القرآن والتوراة والمعارف الحديثة:

ليس في التوراة رواية واحدة عن الطوفان وإنما هما روايتان حررتا في عصور مختلفة:

- الرواية اليهودية التي ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد.

- الرواية الكهنوتية التي ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد. وسميت بهذا الأسم لأنها من تأليف كهنة هذا العصر.

وتشير دراسة الأب ديفو De Vaux الأستاذ بمدرسة الكتاب المقدس بالقدس إلى أن الروايتين تتشابكان وتتداخلان. فهناك ١٠ فقرات يهودية و٩ فقرات كهنوتية، وبين كل فقرتين يهودية توجد فقرة كهنوتية.

ورواية التوراة عن الطوفان غير مقبولة لسببين:

- يعطي العهد القديم الطوفان طابعًا عالميا لعقاب كل البشرية الكافرة.

- وفي حين لا تعطي فقرات المصدر اليهودي للطوفان تاريخًا، تحدد الرواية الكهنوتية زمن الطوفان في عصر لم يكن من الممكن أن تقع فيه هذه الكارثة العالمية وهو القرن ٢١ أو ٢٢ ق م.

ففي ذلك العصر كانت هناك على نقاط عدة على الأرض حضارات مزدهرة . ففي مصر مثلا كانت بها حضارة فرعونية.

وبالنظر إلى ما هو معروف تاريخيًا عن هذا العصر يكون من المضحك

القول بأن الطوفان دمر كل الحضارات . وبالتالي تتناقض رواية التوراة بشكل واضح مع المعارف الحديثة فضلا عن أن وجود روايتين دليل حاسم على تعديل البشر للكتب المقدسة.

أما القرآن فإنه يقدم رواية شاملة مختلفة، ولا تثير أي نقد من وجهة النظر التاريخية، إنها ليست رواية مستمرة وإنما هي سور عديدة في القرآن تتحدث عن العقاب الذي وقع على قوم نوح.

وعلى ذلك فالقرآن يعرض كارثة الطوفان باعتبارها عقابًا نزل بشكل خاص على قوم نوح. وهذا يمثل الفرق الأساسي مع رواية التوراة. أما الفرق الجوهري الثاني بينهما، فهو أن القرآن لا يحدد زمن الطوفان، ولا يعطي أية إشارة عن مدة استمراره.

والقرآن يحدد بوضوح ما حملته سفينة نوح بأمر اللّه تعالى ﴿...قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود: ٤٠] ومن سبق عليه القول هنا هو ابن ملعون لنوح. تقول عنه السورة أن تضرع نوح لربه بشأنه لم يغير من الأمر شيئًا.

والواقع ان التوراة لا تشير إلى هؤلاء من بين ركاب السفينة.

❑ موت فرعون عند خروج موسى وبني إسرائيل من مصر بين القرآن والتوراة والتاريخ:

يشكل موت فرعون عند الخروج نقطة شديدة الأهمية في القرآن والتوراة.

تقول التوراة: «وارتدت المياة كما كانت وغطت مركبات وفرسان كل جيش فرعون الذي كان قد دخل البحر وراءهم، ولم يبق منهم أحد»

(الخروج١٤: ٢٨-٢٩)

ويقول القرآن ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةًۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس ٩٠ - ٩٢].

إن نص القرآن يقول ببساطة وبشكل واضح تمامًا، إن جسد فرعون قد أُنقذ. وتلك معطية جوهرية . في الوقت الذي توضح فيه التوراة أن هذا الفرعون قد هلك مع جيشه.

وفي العصر الذي نزل فيه القرآن للناس على محمد ﷺ ، كانت جثث الفراعنة الذين كانت لهم علاقة بالخروج، كانت مدفونة بمقابر وادي الملوك بطيبة علي الضفة الأخرى للنيل أمام مدينة الأقصر الحالية.

وفي عصر محمد ﷺ كان كل شيء مجهولاً عن هذا الأمر. ولم تكتشف هذه الجثث إلاَّ في نهاية القرن التاسع عشر. وكما يقول القرآن فقد تم انقاذ بدن هذا الفرعون فهو الآن في قاعة المومياوات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة، ويستطيع الزوار أن يروه بعد أن أمضى في قبره أكثر من ٣٠٠٠ سنة.

والمعروف أن رمسيس هو فرعون الاضطهاد لبني إسرائيل، وأن منبتاح هو فرعون الخروج الذي غرق في البحر مع جيشة وأُنقذ بدنه كما يقرر القرآن.

ولقد تم فحص هذه المومياء بمعرفة الدكتور موريس بوكاي عام ١٩٧٥ بتصريح من السلطات المصرية العليا. كما قام الطبيبان المليجي ورمسيس في

نفس التاريخ بدراسة طبية بالأشعة السينية، بينما قام الدكتور مصطفى المنيلاوي ـ بفضل ثغرة في جدار القفص الصدري ـ بفحصها بالمنظار الداخلي Endoscopie وهي أول دراسة من نوعها على مومياء.

وتوصلت هذه الدراسة إلى وجود آفات عظيمة عديدة مع ثغرة في مادة الجسم ـ ربما كان بعض منها قاتلا ـ بحيث لا يمكن الآن القول ما إذا كان بعض منها قد حدث قبل أو بعد موت فرعون . فهذا الفرعون قد مات إما غريقًا، وإما بسبب رضوض عنيفة جدا سبقت ابتلاع البحر له أو ربما للسببين معًا.

فهذا هو الشاهد المادي الباقي حتى يومنا... الشاهد على موت فرعون الخروج وعلى النجاة التي أرادها اللّٰه لجسده.

إنها شهادة مادية في جسد محنط على من عرف موسى وعارض مطالبه، وطارده في هروبه، ومات أثناء هذه المطاردة. وأنقذ اللّٰه جثته من الهلاك التام ليصبح آية للناس، كما هو مكتوب في القرآن.

أي بيان رائع لآيات القرآن ذلك البدن الذي تعرضه قاعة المومياوات الملكية بدار الآثار بالقاهرة لكل من يبحث في معطيات المكتشفات الحديثة عن الأدلة التي تثبت صحة ما ورد في كتاب اللّٰه الكريم!

❑ مواقف الكتّاب المسيحيين تجاه الأخطاء العلمية في العهد القديم ودراسة نصوصه النقدية

مما يثير الدهشة تنوع ردود الأفعال لدى المعلقين المسيحيين إزاء هذا الكم المتراكم من الأخطاء والمتناقضات والأمور غير المعقولة. فبعضهم يتقبل بعض الأخطاء ثم لا يتردد في مواجهة المسائل الشائكة بصراحة ووضوح. والبعض

الآخر يصرف النظر ببراعة عن أمور غير مقبولة، ويحصر جهده في الدفاع كلمة بكلمة عن النص، ويحاول الاقناع بكتابات مفعمة بالمدح مستعينًا بحجج متنوعة وغير متوقعة، على أمل أن يضفي غلالة من النسيان على ما يرفضه المنطق.

والأب ديفو مثل لمن يرفض أي فحص للتوراة على ضوء علوم الجيولوجيا والحقائق التاريخية، وإن كان لا يتوانى في الاستشهاد بالمعارف الحديثة لمساندة التوراة. بمعنى آخر إذا كان العلم يفيد في تأكيد رواية التوراة فلا بأس، أما إذا دحضها فإن الرجوع إليه غير مقبول. ونص المجمع المسكوني للفاتكان الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥) السابق ذكره خير دليل.

* * *

[٤]
أحد أعظم فلاسفة الغرب يكتشف الإسلام

(رجاء جارودي، روجيه جارودي) (فرنسا)

بعد أن نال الشهرة والمجد والمكانه العالمية، أعلن إسلامه دون أن يخشى في اللّه لومة لائم. بل كان إسلامه سببًا في تعرضه لكثير من الأزمات والصعوبات.

❑ **الفيلسوف الفرنس الكبير:**

بعد أن استوعب في احدى كفتي الميزان الفلسفة والتاريخ والحضارات ومقارنة الأديان، وضع في الكفة الأخرى دراسته لعقيدة الإسلام وتاريخه وحضارته ونظمه فرجحت الكفة الثانية. فأصدر حكمه الدقيق المخلص والمتجرد من كل غرض وأعلن إسلامه عام ١٩٨٢ بجنيف.

لا يعتبر تحول جارودي إلى الإسلامي نقلة مفاجئة من الإلحاد إلى الإيمان، فقد جاء إسلامه بعد أن مر بتجارب ودراسات ومراحل متعدده نلخصها في الآتي:

- كان أبواه ملحدين.

- فانتقل إلى المسيحية في صورتها البروتستانتية بمحض اختياره ورغبته.

- ثم إلى إعتناق الماركسية فلسفة وممارسة. أما كيف وفق بين الماركسة والنصرانية فإنه يفسر ذلك بأن الشيوعية إنجاز نصراني لمعالجة القضية الإقتصادية، وبظروف الأزمة الإقتصادية الكبرى التي مرت بها أوروبا من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩ .

- إلى اشتراكية التسيير الذاتي. وهو شعار النضال ضد جميع أشكال

الاندماج والدمج بنظام مفروض من الخارج .

ـ إلى الانفتاح والحوار الحضاريين.

ـ إلى دراسة موضوعية للإسلام . والإهتمام به كأيديولوجية تقدم تصورًا متكاملاً ومقبولاً عقلًا للكون والإنسان والحياة واللّه.

ـ إلى الإيمان التام والاقتناع بالإسلام.

فمن ذا الذي يمكنه خوض تلك التجارب المتلاحقة؟ ويكدح هذا الكدح المتواصل بحثًا عن الحقيقة؟ لا بد أن يكون صاحب قلب خفاق و عقل متوقد، وفكر انفتاحي بلا حدود.

❑ جميع الفنون تصب في المسجد:

يفند جارودي المزاعم التي تقول إن الفن الإسلامي ليس سوى تنوع للفن البيزنطي. ويقول إن المقصود من هذا القول هو إخفاء دور الحضارة الإسلامية وبالأخص الفن المعماري. فالفن في الإسلام فن عبادة لا يفصل بين ما هو دنيوي وما هو مقدس. ومن ميزة هذا الفن أنه يتشابه مهما كان منشؤه: فمسجد ابن طولون بالقاهرة. ومسجد سمرقند وقصر الحمراء بالأندلس، تبدوا كلها وكأنها من صنع يد واحدة. فالفنون في الإسلام مؤدية إلى المسجد، ويعود المسجد بدوره إلى عبادة الله....

❑ كراهية أوروبا للإسلام:

يقول جارودي إن العائق الأساسي لرؤية الحقيقة الإسلامية في الغرب هو ما تكنه أوروبا للإسلام من كراهية حتى اليوم . فقد اختلقت الحروب الصليبية صورة مبغضة لهذا الدين. كما سعى رجال الدين النصارى والمستشرقون

للتشهير بالإسلام.

وعن الاستشراق يقول: إنه لم يكن حركه نزيهة منذ البداية. إذ كان الهدف منه تنفيذ مشروع يرمي إلى إدخال المسلمين في النصرانية. ولم يقف دور الاستشراق عند حد مساعدة الهيئات التنصيرية والاستعمارية والامبريالية على الهيمنة على أراضي واسعة وأجناس متعددة، إنما ساهم كذلك في بناء أسس لمشروعية الأحكام التعسفية التي جعلها الغرب ذريعة لاستغلال الشعوب الأخرى. لهذا لم تتم دراسة الإسلام في أوروبا من أجل الوقوف على حقيقته. بل اهتم به المستشرقون لأغراض الصراعات الأيديولوجيه.

❑ **التعصب:**

يرى أنه ظاهرة عرفتها الأديان جميعًا. وهي تخلط بين العقيدة وبين الصيغ الثقافية والبنى التنظيمية التي مارست تلك العقيدة عبر تاريخها الطويل. وراح كل فريق من المتعصبين يختار من الماضي مرحلة تاريخية يتكئ عليها لتسويغ مواقفه وممارساته في العصر الحاضر.

ويعقب على ذلك مبينًا أن الإسلام لايعرف التعصب أبدًا.. هذا التعصب المتحجر. فالقرآن يكرر أن الله أرسل لكل شعب أنبياءه لكي يتاح لكل أمة أن تستوعب الرسالة الإلهية على طريقتها. ومن الواضح أن الاجتهادات الأولى والمذاهب الفقهية المتعددة، التي جاءت فيما بعد.. كل هذه الآراء والإجراءات تقول بأنه على الرغم من أن الوحي الذي نزل على النبي ﷺ هو الوحي الأخير. فهذا لا يمنع أن يبقى باب الاجتهاد مفتوحًا انطلاقًا من العقيدة الاساسية. وذلك لمواجهة المشكلات الجديدة الطارئة التي جدت بعد إنتشار الإسلام في المجتمعات التي تختلف عن مجتمع المدينة المنورة. ومما لا شك فيه

أن إغلاق باب الإجتهاد يتنافي مع روح التعاليم في القرآن ونصوصها.

❑ المرأة:

يتعجب جارودي من تعصب الغرب في موضوع حقوق المرأة ثم يقول إن القرآن منح المرأة امتلاك الأموال دون قيد ولا شرط، بينما لم تنل المرأة هذا الحق في أغلب تشريعات الغرب إلا في القرنين التاسع عشر و العشرين، ولم يقل القرآن بمسئولية المرأة عن الخطيئة الأولى وإنما كان الخطاب موجهًا إلى آدم.

❑ السياسة:

ويقول: لا تجوز مقارنة النظام السياسي في الإسلام بالثيوقراطية، ولا بالملكية باعتبارهما حقين إلهيين لدى الغرب، ولا حتى بالديمقراطية من النوع البرلماني. وإنما تقع على عائق المسلم مسئولية فهم وتطبيق قواعد الإسلام في مجال السياسة في كل بلد وفي كل عصر بشكل يتلاءم مع روح وظروف تلك البلاد في ذلك العصر.

وفي دنيا السياسة يؤكد جارودي أن محور الأمة هو عقيدة أساسها أن يتجاوز كل فرد مصالحه وأغراضه الشخصية لمصالح الأمة التي تشمل الإنسانية جمعاء.... إذ لا تعترف العقيدة الإسلامية بسلطة أخرى سوى سلطان اللّه (عز وجل) لهذا تظل السلطة السياسية نسبية.

❑ الاقتصاد :

يقول : يتناقض مفهوم الإسلام للإقتصاد مع المفهوم السائد في الغرب الذي لا يعني إلا بالإنتاج والإستهلاك كهدفين لذاتهما: إنتاج واستهلاك أكثر فأكثر لأي شيء تافهًا كان أو نافعًا دون أدنى رعاية للغايات الإنسانية، بينما لا يهدف الإقتصاد في ظل النظام الإسلامي إلى النمو لذاته، ولكن إلى التوازن،

ويرفض الخضوع الأعمى للآله فهو تنظيم لأهداف عقائدية وإنسانية سامية.

فالسوق ـ التي هي إحدى دعائم الإقتصاد ـ توجه من أجل إرضاء الحاجات الحقيقية: وتتجاوب مع أسس وقواعد الإسلام، تسعى إلى تحقيق التوازن في توزيع الدخل، والحيلولة دون الاحتكار، فهي من هذه الناحية تراقب مراقبة صارمة، ويقوم بهذه الوظيفة المحتسب المكلف بتنظيمها والسهر على الأسعار. وبإيجاز ليست السوق غاية إنما إحدى الوسائط: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧].

والزكاة التي لا تعتبر مجرد صدقة تعطى كيفما اتفق، وإنما هي اقتطاع من رأس المال. هي صورة من صور التأمين الإجتماعي الذي لم تعرفه أوروبا إلا في القرن العشرين، وبعد صراع مرير. في حين أن هذا التنظيم مطبق في الإسلام منذ ١٤ قرن.

❑ علوم الحضارة الإسلامية.

لدى الغرب إصرار على تجاهل كل حضارة ذات أصل غير أوروبي ، ولذلك تجاهلت أوربا حضارة الإسلام عبر قرون عديدة لم تر فيه سوى عدو لدود. كما كان الحال في عصر الحروب الصليبية. أو إرهابًا كما كان يوصف إبان الحرب الجزائرية . ويكشف جارودي النقاب عن حقيقة، هي أن النهضة الأوروبية لم ترث من تعاليم الحضارة اليونانية مباشرة ، فضلا عن أن النصرانية لم تكن امتدادًا للعبقرية الهيلينية. فدور اليونان في تلك النهضة ليس إلا خيالاً كاذبًا. فقد أخصبت الحضارة الإسلامية في الماضي وهيأت المستقبل عبر أسبانيا وصقلية، ونقلت إلى أوروبا ثقافة ظلت تغذيها، ولم يستغن الغرب عن العطاء الإسلامي إلا ابتداء من ديكارت.

كانت جامعة القرويين بفاس، والزيتونة بتونس، والأزهر بالقاهرة، وجامعات سمرقند وقرطبة، محطات العلم من جميع أنحاء العالم، ولم ينحصر إشعاع تلك الجامعات على العالم الإسلامي فحسب، بل سطع على أوروبا أيضًا، حيث تأسست كليات طب في سالونيا بإيطاليا ، ومومباليه بفرنسا على غرار كليات الطب الإسلامية.

❑ انفتاح الإسلام وتسامحه:

وذلك في قبول الإسلام وحمايته أفرادًا وجماعات ومجتمعات غير إسلامية، فقد تقلد يهود ونصارى وأعضاء طوائف أخرى وظائف هامة في حكومات إسلامية عديدة، وحظيت أديان مختلفة بكامل الحقوق والرعاية وسمحت السلطات لغير المسلمين بممارسة شعائر دينهم بدون أي تضييق.

❑ لم ينتشر الإسلام بقوة السلاح:

إذ لم يستخدم النبي ﷺ السلاح إلا للدفاع عن النفس، والحديث يؤكد « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». ويعني بالجهاد الأكبر محاربة هوى النفس «أي الكفاح ضد الذات، ضد الميول التي تجذب الإنسان بعيدا عن مركزه.. وما زلنا نجد اليوم في هذا درسًا عظيمًا لكثير من (الثوريين) الذين يحاولون تغيير كل شئ ما عدا أنفسهم . كما كان شأن الصليبيين في القدس، وفي أسبانيا أو ضد هنود أمريكا، يريدون أن يفرضوا على الآخرين مسيحية يهزؤون منها بكل عمل من أعمالهم».

فضلاً عن أن الفتح الإسلامي لم يشكل استعمارًا، فقد استقبل شعب أسبانيا الفاتحين المسلمين الذين أنقذوهم من طغيان وغطرسة سلطات بلادهم الروحية والزمنية فلم يقاوموهم. ولعل أصدق صورة تعكس هذه الحقيقة هي أن

العرب فتحوا الأندلس في بحر سنتين فقط في حين تطلبت استعادتها سبعة قرون .

❑ تسامح المسلم:

إن معارضة النصراني للإسلام لا تقابل من جانب المسلم بالمثل طبقًا للتعاليم الإسلامية، حيث يتحدث القرآن باحترام بالغ عن المسيح وأمه مريم.. على أن هذا التسامح لا يعني أن المسلم يقبل بفكرة الصليب والتجسيد والتثليث، إذ أن سمو الإله ينبذ أي حديث عن الابن أو أم للخالق.

فوحدانية اللّٰه تعالى هي محور الإسلام، وهي مبدأ يحول دون عبادة الطواغيت المنتشرة في المجتمع الأوروبي مثل «طاغوت النمو والتقدم» و «طاغوت العلمانية والتقنيات» و «طاغوت الفردية» و «طاغوت الوطنية» . فيجيب الإسلام على كل أولئك بـ «لا إله إلا الله».

❑ ميزانية حضارة الغرب:

ويقدم فيلسوفنا مثالاً رقميًا لما وصل إليه العالم: «بعد خمسة قرون من هيمنة الغرب هيمنة لا يشاركه فيها أحد، يمكننا تلخيص ميزانيته بثلاثة أرقام: في عام ١٩٨٢ مع حوالي ٦٠٠ مليار دولار من الإنفاق على التسلح، مما وضع على رأس كل فرد من سكان كوكب الأرض ما يعادل ٤ أطنان من المتفجرات. ووزعت الموارد والثروات بحيث مات في السنة نفسها ٥٠ مليون نسمة في العالم بالمجاعة وسوء التغذية».

❑ تطلع جارودي:

ويتطلع جارودي في الختام إلى اليوم الذي يرى فيه دول الغرب تنشيء في الأماكن ذاتها التي تم فيها سابقًا لقاء الحضارات: قرطبة ـ باريس ـ مراكز للقاء

والبحث والتكوين والتوزيع لما يحمله الإسلام إلى الغرب اليوم وما يقوله له، ولما يقوله الغربيون للإسلام. لتحقيق هذه الأمنية فلا مفر من تغيير علاقة الإسلام والغرب...حتى يتحقق الإنفتاح ليس للمسلمين فحسب، ولكن على نطاق عالمي.

فهل نستطيع أن نطلق اسم «تقدم» على ذلك الشوط التاريخي الذي قطعته الحضارة الغربية التي جعلت من الممكن فنيًا لأول مرة خلال مليوني أو ثلاثة ملايين سنة من الملحمة البشرية تحطيم كل أثر من آثار الحياة على الأرض .

❑ كتبه:

ولقد ترك لنا عدة كتب على جانب كبير من الأهمية : تعكس مشواره الفكري العملاق في المعرفة: في سبيل نموذج وطني للاشتراكية ـ الروح الحزبية في العلوم ـ ماركسية القرن العشرين ـ الحقيقة كلها ـ حوار الحضارات ـ نداء إلى الأحياء ـ نظرات حول الإنسان ـ ما يعد به الإسلام ـ منعطف الاشتراكية الكبير ـ البديل ـ الإسلام وأزمة الغرب ـ الإسلام دين المستقبل ـ من المادية إلى الإسلام ـ نصف قرن من البحث عن الحقيقة (حوار أجري مع مجلة الأمة القطرية)

* * *

[٥] المتحدث الرسمي باسم الحزب المسيحي الديمقراطي بألمانيا

(عبدالهادي هوفمان ـ كريستيان هـ. هوفمان)

(وهو ليس قريب مراد هوفمان)

ولد في برلين عام ١٩٤٨، درس الألمانية والإنجليزية وحصل على دبلوم في الاقتصاد، عمل خبيرًا للمجموعة التخطيطية، وخبيرًا فنيا، ورئيسا لمعهد الفن الأمريكي، ولمتحف في مدينة كولون، وتدرج في وظائف مختلفة في هذا الحزب واتحاد الشباب وشارك في تأليف بعض الكتب، نشأ في أسرة تمتد جذورها في البروتستانتية إلى القرن السادس عشر، ونشأ في همبورج وميونخ، وتتلمذ في لندن، وشب سعيدا بعائلة رائعة تضم العم وابن العم، والخالة وبنت الخالة. كان راتبه لا بأس به وكان يقضي عطلاته سائحًا يجوب البلدان القاصية وهو قبل كل شيء راضٍ وسعيد، لا يفتقد شيئا ولا يسعى للحصول على شيء. وذات يوم طلب إليه أبوه متلطفا أن يقص عليه شيئا عن الإسلام، فشرح لأبيه أهم ثلاثة فروق تميز الإسلام عن النصرانية، فما كان جواب أبيه إلا أن قال: «يبدو أن ذلك الدين معقول ورشيد، ويسرني أنك وفقت في طريق الهداية إليه». واكتفى والده بذلك، وانتهى الموضوع بالنسبة إليه عند ذلك الحد.

ولما ناهز الأربعين اعتنق الإسلام في مارس ١٩٨٩، ونطق بالشهادة في سفارة المملكة العربية السعودية أمام عدد من الشهود، ويقول: ”نطقت

بالشهادة بلغة عربية ركيكة لكنها أتت من سويداء القلب". وبعد أن هنأه الحاضرون على هداية الله له، راح أحد الحاضرين يتحدث إليه عن عقيدته السابقة، معربا عن أمله في ألا يحمل أي غل للنصرانية، بعد أن اتخذ هذه الخطوة الحاسمة في حياته. فالمسلمون يوقرون عيسى نبيا ورسولا ويوقرون أمه مريم، ولا يعتقدون أن المسيح بشخصه قتل أو صلب، ويقول هوفمان: "الحق أن هذه الكلمات كانت عظيمة الأهمية لي، ملأتني سرورا وجعلتني في الحال أطمئن إلى أنني أستطيع أن أعيش حياتي الجديدة مسلما دون أن أتنكر لماضي حياتي ... ثم قبل أن أنصرف قال لي الرجل الذي حاورني: «أرجو ألا تنسى أبدا أننا منذ الآن إخوة». ولقد كانت كلمة لم أكن وقتها لأدرك مغزاها العميق".

❑ **وننقل هنا بعضا من أفكاره الرائعة عن كتابه «بين شتى الجبهات». بافاريا ١٩٩٧.**

❑ **الإسلام والتنوير:**

١ـ **الأساس الأول للخلاف بين المسلم والمواطن الأوربي يكمن في مفهوم مصطلح التنوير ذاته؛** فالمسلم يرى أن التنوير بالنسبة له قد تحقق بنزول القرآن وبتحرير المسلم من الجاهلية، بينما الأوربي الغربي يرى أن التنوير هو التحرير الكبير للإنسان وللعلوم وللسياسة من الوصاية الكنسية التي دامت ١٧٠٠ عاما، وكذلك التحرر من تعسف الحكم المستبد. وانطلاقا من هذين المفهومين، فإن الإحساس بالحياة لدى الغربي مصبوغ بالتفاؤل، لخلعه سلطان الكنيسة، أما المسلم فإن إحساسه بالحياة مصبوغ بالرضا والسعادة بدينه فإذا طولب المسلم بأن يشعر بالتنوير شعور الغربي به، فإنه يجد ذلك غير مفهوم إن لم تكن وقاحة وخروجا عن القصد.

٢ـ فإذا كان معنى التنوير الغربي:

ـ النهوض ضد الكنيسة والمؤسسات الدينية، فإن الإسلام لا يعرف هذه المؤسسات الدينية كما هو معروف في النصرانية.

ـ أو اكتشاف السماحة والتسامح، فإن السماحة والتسامح روح الإسلام وجوهره ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾.

ـ أو اكتشاف المساواة بين الناس كافة.

فإنها إحدى المسائل الجوهرية التي يحرص عليها الإسلام، فالناس كلهم عبيد سواء أمام الله.

ـ أو بسط سيادة القانون المدون الذي يمكن الناس من حكم الناس، أنفسهم بأنفسهم، فإن القرآن دستور جامع لأحكام الله التي تشمل الدنيا والآخرة، والنبي ﷺ أعظم قدوة يحتذى بها.

ـ أو إشاعة الإلحاد والتمكين له فإن الإسلام يرفض هذا لأنه جحود وخيانة لله.

٣ـ العلمانية:

من العسير على المسلم فهم المطالبة بفصل الدين عن الدولة إذ ليس في الإسلام تنصيب رجل دين منصبا مقدسا؛ لأن الله في عقيدة المسلم هو الخالق البارئ وأقرب إلى المسلم من حبل الوريد. ثم ما عواقب عزل الدين عن الحياة؟ يقول «فولفجانج شويلة» عن آثار العلمانية: «لماذا يقل اهتمام الكثيرين في بلادنا بالحياة الأسرية والرغبة في الإنجاب عما كان الشأن في الماضي؟ إنني أظن أن ذلك يرجع إلى نقص في الاطمئنان إلى الحياة وإلى المخاوف المتزايدة وفقدان الثقة الأساسية في المستقبل».

٤ـ تحرير العلم:

يزعم دعاة التنوير الغربي أن الازدهار العلمي الكبير إنما بدأ بتحرير العلم من أغلال الكنيسة، ولكن السؤال هو: هل كان تحريرا من قيود الكنيسة حقا، أم تحريرا من الموقف العدائي المتأصل في النصرانية من العلم؟

فقد علمنا القرآن أن اللَّه علم آدم الأسماء كلها ـ وذلك قبل المعصية ـ فضلا عن أن الإسلام يجعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، أما النصرانية فإنها هنا بالذات تلح على أن المعصية الأولى إنما حلت بسبب الأكل من شجرة المعرفة.

وكما يقول بولس إن الرغبة في العلم "جعل الإنسان يتردى في الخطيئة ..." لأن حكمة هذا العالم هي الجهالة ".

فليس صدفة أن مسلك الإسلام والنصرانية إزاء تطور العلوم مسلك متباين من الأساس. ونكرر أن النهضة الأوربية ما كانت لتتحقق لولا نقل أوروبا العلوم التي أنجزها المسلمون في الأندلس.

٥ـ بالاحتكام إلى واقع التاريخ:

نسأل هل استطاع التنوير أن يتلافى حروب الانفصال الأمريكية، والحربين العالميتين، وحرب فيتنام، وحرب البوسنة والهرسك، أم أن الحروب من منجزات التنوير؟

أليس التنوير الغربي خيالا أو حلما لم يتحقق، أو حسبانا نظريا لم يتيسر عمليا سوى تحقيق بعضه، أو ربما لن يتحقق سوى بعضه؟

لقد صار التنوير مرادفا للتقدم العلمي ـ التكنولوجي. ولكن الذي أُهمل

وتخلف عن الركب ـ وهو مطلب آخر للتنوير ـ هو تهذيب الإنسان ليصبح مخلوقا أخلاقيا بالتربية والتعليم، وتنمية أخلاقه ليتحقق له الإحساس الواعي بالحدود التي يضعها لنفسه. ولهذا فإن التدين اليوم بالنصرانية شرط لازم حتى لا يحطم التنوير نفسه بنفسه. وإذا كان السياسي الغربي اليوم يشعر أن دينه مقوم ومصحح لمسيرة التنوير، فكيف يسمح لنفسه بأن يوصي المسلمين بترك الإسلام، وانتهاج طريق الغرب الذي حكم عليه أبناؤه بالفشل الذريع؟ بينما الإسلام كان وما يزال الإطار الذي يتسع لكافة العلوم والبحوث.

ولنا أن نسأل الغرب: ما الذي أتى به صراع الفكر الأوروبي ـ حقا ـ منذ عهود الإغريق حتى اليوم مما لا يجده الفرد والمجتمع في 'الإسلام؟ بكل صراحة: لا شيء.

❑ الإسلام والفن والأوبرا والمسرح:

كثيرا ما سألت نفسي كيف يتيسر للمسلم الأوربي أن يتفهم أن الإسلام لم يطور كثيرا من الفنون؟ مع كونها عند الغرب لا غنى عنها، ولقد دُفِعْتُ على الإجابة أثناء إقامتي بمكة للحج. وفي صلاة الفجر، تحلقنا الكعبة الشريفة وقد غضضنا الأبصار خاشعين وراح الإمام يتلو القرآن في الصلاة، ويرتله ترتيلا.. لقد كان صوته الرزين العميق أحلى صوت من طبقة «باريتون» سمعته فِي حياتي .. وَمَا أجمله وَهُوَ ينساب حاملاً الى قلوبنا كلمات اللّٰه .. هنا نسيت أشهر الأوبرات العالمية ، ناهيك عَنْ نصوصها الَّتِي لا طائل وراءها.

❑ حرب الخليج والعراق:

نذكر كلمة مختصرة فنشير إِلَى حكاية رؤساء الأركان الأمريكان «ولعبة وضع الخطط». والموضوع المطروح للبحث كَانَ : مَا المفروض عمله لو أن

مصادر النفط وآبار البترول فِي الشرق الأوسط تعرضت للتهديد ؟ فندرك فجاة ضرورة تزويد صدام حسين بالأسلحة الَّتِي تخطت كل حدود المراقبة. وَفِي اغلب الظن فإننا لن نتمكن من معرفة الدافع الحقيقي المباشر لزحف صدام حسين عَلَى الكويت. ولكن مما لا شك فِيهِ أن هَذَا الزحف أعطى الإمكانية لمشروعية سحق قوى العراق ، وتدمير مَا لديه من الأسلحة .. لقد تم الخطيط للأمر بدقة فبالتذرع بوجوب ضمان الحدود بَيْنَ الدول، وحتمية الدفاع عَنْ القيم الغربية «الديمقراطية» و «حقوق الإنسان» . تم توجيه إنذارات معروف مقدماً بشكل مؤكد لواضعها أنها لن تقبل من جانب العراق .. ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ مما يعرفه كل إنسان .. وبعد الحرب القصيرة تُرك صدام حسين فِي منصبه حَتَّى لا يختل التوازن الحرج المتأزم فِي المنطقه . أما الأكراد والشيعة الذين أُوعز إليهم بالتمرد فقد كانوا كبش الفداء ...

ألم يكن صدام حسين بالأمس حليف الغرب يؤازره فِي حربه ضد إيران ؟

❏ الثورة الفرنسية وأثرها عَلَى كل من الغرب والشرق:

فِي صيف ١٩٨٩ احتفلت فرنسا كلها ومعها العالم الغربي كله بذكرى المائتين عَلَى قيام الثورة الفرنسية، كبداية للديمقراطية فِي العالم الغربي.

ففي القرن الثامن عشر فكر الغربيون حديثو العهد بالديمقراطية فِي كل شئ ممكن إلا فِي تصدير نظام الحكومة والدولة الديمقراطي عَلَى مستوى العالم كله. بل عَلَى العكس كَانَ الشعار المرفوع فِي ذلك الوقت هُوَ «الإستعمار». أما اليوم فإن الغرب يعمل عَلَى ادخال الديمقراطية فِي جميع دول العالم الأخرى. فلماذا الدهشة والتعجب، إِذَا رأى كثير من المسلمين فِي تصرف الغرب هَذَا مخططاً و شَرَكاً فكرياً إستعمارياً جديداً ـ إن لم يكن إمبريالياً ـ يُمَكِّن من إخضاع بلادهم

لسيطرة الغرب من جديد؟ بل إن خصوم الإسلام فِي الغرب يأخذون عَلَى الدول الإسلامية الَّتِي غالبيتها مسلمون ـ مأخذاً بعدم تطبيق الديمقراطية، ويتهمون الإسلام بأنه لم يعرف التنوير، وأنه يفتقد النضج اللازم ليكون ديمقراطياً، و يدللون عَلَى ذَلِكَ بوجود حكام مستبدين فِي العالم الإسلامي. وكَانَ الأولى مهاجمة هؤلاء الحكام لانتهاكهم حرمات الإسلام. لا مهاجمة الإسلام .

ولقد نسي هؤلاء أو تناسوا أن معظم تلك البلاد لم ينل استقلاله إلاَّ فِي الخمسينات أو الستينات ، و أن الغرب لم يبذل أي جهد يُذكر لإدخال نظام الديمقراطية فِي هَذِهِ البلاد، فضلاً عَنْ نهب ثرواتها و خيراتها، و إفساد أهلها. ثُمَّ هم يشنون حرباً إعلامية يومية عَلَى هَذِهِ الدول لهذا السبب .

وهنا نتساءل: ماذا لو أخذ المسلمون ـ و هم بصدد إدخال الديمقراطية ـ يطبقون عملياً حق تقرير المصير . كما حدث فِي الجزائر ؟

لقد قرأتُ وثيقة الحقوق الأمريكية «الحق فِي السعي وراء الرزق والتوفيق والسعادة»، وَذَلِكَ بغرض إلغاء اللعنة الإنجيلية التي تعرفها النصرانية «ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً ... » (سفر التكوين ٣ : ١٧ ـ ١٩). وهذه اللعنة غير موجودة في الإسلام أصلاً.

لقد كانت هذه اللعنة من أسباب إعراض النصارى عن النشاط الاقتصادي. ثم حدث أن طور البروتستانت الإنجيلية طريقة جديدة في التفكير مؤداها ـ في زعمهم ـ أن الله يحب الإنسان الناجح في الإقتصاد. ثم تلتها خطوة أخرى أكبر بعد ذلك بقرون. فزعم آدم سميث أن الشئ النافع لشخص، نافع للكل.

فهذان الاتجهان ـ مقترنين بالبحث العلمي، ومتحررين من وصايا الكنيسة ـ تحولا الى محرك أنتج ذلك النمو الاقتصادي الهائل ، ومكن من تطوير المجتمع الزراعي الى صناعي ثم الى المجتمع الأحدث.

وكان الأجدى بالغرب إغتنام الفرصة بتعميم التقدم في أنحاء الأرض للتخفيف من أعباء الحياة ومحاربة الفقر والجوع والمرض ... إلا أن الدول الصناعية انطلقت للتطبيق الفكري النصراني . كما فعل قبلهم فرسان الحروب الصليبية ـ والحروب في أمريكا اللاتينية التي انطلقت لتستعمر متوسلين بالآلات البخارية ومصانع الحديد والصلب . بهدف إيجاد أسواق جديدة، وتوفير المواد الخام اللازمة لصناعتهم ، وتأمين الحصول عليها.

❑ مؤتمر الاديان في السودان عام ١٩٩٣ :

لا تكاد دولة في العالم تقف عرضة لسعير النقد الدولي كالسودان. فضلاً عن إنعدام وجود تقرير موضوعي يكشف الحقائق وأسبابها. وإنما يُعرض الصراع بين الجنوب والشمال على أنه حرب دينية. تقول المجلة المصورة الألمانية «شتيرن» عدد ٢٣ لعام ١٩٩٣ : «إن الناس في جنوب السودان، والذين سامهم تجار الرقيق العرب الخسف قرونا طويلة يقاومون يائسين ما يريد الأصوليون الإسلاميون إجبارهم عليه من جديد من نير ، وذلك بتطبيق أحكام الشريعة الصارمة كما يفرض القرآن ... »

والقارئ الساذج لا يعرف أن الادارة الاستعمارية الانجليزية في العشرينات من القرن العشرين هى التى أعلنت «تحرير الجنوب من التأثير الإسلامي، وطرد المسلمين من الجنوب باستصدار قانون جوازات السفر عام ١٩٢٢ وحَرَمت كل من تبدو له علاقة بالإسلام مثل لبس الحجاب واللغة العربية، إذ أن

المسلمين في نظرهم معتدون ظالمون قساة. ولهذا شهدت هذه السنوات حرب إبادة المسلمين على يد نصارى الجنوب فيما يسمى بالتطهير العرقي. ونحن لا نرضى أن تتخذ هذه الحقبة التاريخية حجة تبرر مشروعية أعمال العنف اليوم ، وإنما نريد أن نوضح أن ذلك النزاع لم ينشأ اليوم طفرة وأن المسلمين يُتهمون اليوم باقتراف ما اقترفه نصارى الجنوب في العشرينات .

أتيحت لي زيارة السودان بدعوة من حكومته لحضور مؤتمر الأديان من ٢٦ الى ٣٠ ابريل ١٩٩٣ وقد ضم المؤتمر ٨٥ مشتركاً من ٣٠ دولة . وحفلت أيام المؤتمر الخمسة بمحاضرات تصل الى ١٢ محاضرة يومياً ، وبرنامج حاشد بالزيارات.

مواطنون سودانيون : إن السودان الذي يعلن أنه دولة إسلامية ـ لا ينظر إلى مواطنيه باعتبار الانتماء للإسلام، وانما باعتبارهم «مواطنين طبيعيين» يتمتعون بحقوقهم بناء على جنسيتهم السودانية كما ينص على ذلك الدستور والقانون. وهذه خصيصة مهمة تحدد المساواة التامة في معاملة غير المسلمين والمسلمين في المجتمعات الاسلامية المعاصرة.

وتقول المصادر السودانية الرسمية : «ان الشريعة والعرف السائد أو التقاليد هما مصدر التشريع. وبهذا فإن تقاليد غير المسلمين أصبحت جزءًا أساسيًا من مكونات التشريع ، بما يمكنهم من الحفاظ على هويتهم وملامح شخصيتهم» وهذا يعني بوضوح في الواقع القضائي اليومي أن الحدود الإسلامية لا تسرى على غير المسلمين.

التعايش السلمي : يوجد اليوم وزراء نصارى على مستوى الدولة أكثر مما مضى، كما أن محافظى المحافظات الثلاث في الجنوب نصارى. وفي برنامج

التليفزيون الرسمي ساعة كاملة مخصصة لنقل قداس أيام الأحد.

موقف الكنيسة الكاثوليكية: في بادئ الأمر لم تشارك في التحضير للمؤتمر ثم شاركت جزئياً. ثم في النهاية كفت عن المشاركة. كذلك أثناء زيارتنا إحدى الكنائس الكاثوليكية في الجنوب غاب قسيس الكنيسة الكاثوليكي . ولم يوقع ممثل الكنيسة الكاثوليكية الألمانية على البيان. برغم أنه تمت صياغته بالإتفاق معه. وهذا البيان كان عن زيارة الوفد لمدينة «واو» وبيان أن سبب المشكلة كان نقص المواد التموينية وليس النزاع الديني. وكان الجميع قد وقع على البيان بما فيهم ممثلان عن الكنائس البروتستاتينية.

❑ التاريخ والاسلام وحريق مكتبة الأسكندرية:

لدى الغرب ثلاثة معايير في كتابة التاريخ لتحديد صورة العالم العربي - الإسلامي في نظر الغرب .

ـ الأحكام الكاذبة المثقلة بالأحكام المسبقة الجائرة.

ـ أو السكوت التام بصفة عامة عن العرض الموضوعي للمنجزات الحقيقية للعرب .

ـ أو ذكر هذه المنجزات في حالات إستثنائية .

❑ ومثال للأخبار الكاذبة هو حريق مكتبة الاسكندرية الكبرى .

تقول الكاتبة الألمانية المستشرقة «زجريد هونكه» : «هذه الفرية المزيفة للتاريخ والتي لا يراد لها أن تختفي من الأذهان أبداً تنشرها عام ١٩٨٩ مرة أخرى جريدة ألمانية كبرى فتقول «عندما زحف جيش المقاتلين لنشر العقيدة الاسلامية في حملته الاحتلالية الغاصبة بقيادة عمرو بن العاص، احتل مصراً، واقتحم

الاسكندرية وأمر بحرق مكتبتها ـ مكتبة موسيون ـ وما بها من مخطوطات بلغت ٧٠٠ الف مخطوط، وبأن تستخدم المخطوطات كوقود للحمامات . فأفنى بذلك تراث الإنسانية العريق، الذي تركه لنا الإغريق».

وتعقب زجريد هونكه علي ذلك قائلة: إن القرن الثالث الميلادي كان بداية التدمير المنظم. فتري القيصر (كاركلا) يلغي الأكاديمية ويحلها ويسفك دماء علمائها في مذبحة وحشية فظيعة. ويواصل التدمير البطريك النصراني عام ٢٧٢م .

وتجهز على البقية الباقية عصابة نصرانية من الغلاة المراهقين انتشرت في الاسكندرية في القرن الخامس الميلادي .. كما اعترف بذلك بطريك القبط (سيفروس الأنطاكي).. وهكذا نرى أن المكتبات القديمة في مصر بأكملها لم يكن لها وجود أيام دخول عمرو بن العاص الإسكندرية القديمة عام ٦٤٢م. فقد أطارت الرياح رماد تلك الكتب في الصحراء قبل ذلك بستة قرون).

اختلاف الأجناس والألسنة: من صميم رسالة الإسلام ما يؤكده القرآن في مواضع متعددة عن آيات الله في خلقه ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة ٤٨].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات ١٣].

إنها دعوة الى التدبر والتفكير في هذا الموقف العقائدي لاتخاذه أساسًا صالحًا للتعايش السلمي. باعتبار أنه منذ البداية يستبعد كل عداوة وكل كراهية للآخرين.

إن الأرض وحدة واحدة متكاملة لا تتجزأ. فمتى يصبح هذا أساسًا لسياستنا ومعاملاتنا؟.

* * *

الفصل الثاني

إِسْلَامُ عُلَمَاءِ الدِّينِ المَسِيحِيِّ الأَجِلَّاءِ

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٨٣﴾

[المائدة: ٨٢ - ٨٣].

* * *

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝١٩٩﴾

[آل عمران: ١٩٩]

بيان هؤلاء العلماء الأجلاء

١- رئيس لجنة تنصير أفريقيا إبراهيم هلال (الأب إسحق سابقًا) (مصر).
٢- الاستاذ السابق بكلية اللاهوت الإنجيلية (إبراهيم خليل فلوبوس - إبراهيم خليل أحمد) (مصر).
٣- كبير أساقفة جوهانسبرج الذي هز إسلامه الأوساط الكنسية ودوائر التنصير في العالم (المونسنيور فردريك دولا مارك).
٤- عقيدة راسخة (إبراهيم نياس نواجي - نيوجي) (نيجيريا).
٥- قس ضليع في مجال التنصير في باكستان (بشير أحمد رشاد) (بلجيكا).
٦- أفلا يتدبرون القرآن؟ أم على قلوب أقفالها؟ (خالد بيلاسنتوس - أرتور بيلاسنتوس) (الفلبين).
٧- حضور موفق (إبراهيم أهونيمو - جان باتيسيت أهونيمو) (بنين).
٨- من التثليث إلى التوحيد (د. محمد مجدي مرجان) (مصر).
٩- عزلة صائبة (د. عبد الواحد داود - دافيد بنيامين كلداني) (إيران).
١٠- كفة راجحة (محمد فؤاد الهاشمي) (مصر).
١١- دعاء صادق (رحمة بورنومو) (إندونيسيا).
١٢- أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟ (محمد مونجونوزا) (زائير).
١٣- لا تناقض في القرآن (جمال زكريا) (مصر).
١٤- هدية آسرة (أحمد وليد) (مصر).
١٥- صداقة رائدة (عبد الرحيم المورتيني) (الفلبين).
١٦- مقارنة آتت ثمارها (عبد الله - أدلفو لويس) (البرازيل).
١٧- عقد سعيد (عيسى عبد الملك - توماس سلبتا) (الفلبين).
١٨- كتاب مرشد(ناجيمو راموني) (غانا).
١٩- توفيق وانتصار (أبو بكر موابوبو - البطريرك موابوبو) (تنزانيا).
٢٠- سفر سعيد (محمد شريف - ألدوس دمريس) (سيريلانكا).

[١]
رئيس لجنة تنصير أفريقيا

إبراهيم هلال (الأب إسحق سابقًا) (مصر)

❑ بيئة ناشز:

وُلدتُ في قرية نصرانية لا يوجد بها مسلم واحد، فلم أعرف في طفولتي الباكرة غير الكنيسة وطقوسها، ولم يقرع أذني إلا تلك الأجراس من أبراج الكنائس المتناثرة حولي في قريتنا وفي القرى المجاورة. إنني أعيش في كثافة سكانية نصرانية تربو على الستين ألفًا موزعة على قرىً أربع لا يوجد فيها مسلم واحد.

لذا نشأتُ لم أعرف شيئًا عن الإسلام، فلم يخاطبني سوى نصراني ولم أسمع عمن يسمُّونهم مسلمين .

❑ رحلة الإعداد والتأهيل:

بدأت دراستي كغيري في تلك القرية بمدارس الأحد، فلم أعرف مسلمًا واحدًا، حتى انتهيت من المرحلة الابتدائية، وجاء دور التحاقي بالمدرسة الإعدادية، فما كان لي من بُدٍّ إلا أن ألتحق بمدرسة إعدادية " متوسطة" قريبة بها خليط من المسلمين والنصارى، فلعلك تدرك وقع هذه البداية على نفسي، ولكن على كل حال كانت بداية لا تنسى ظلَّتْ آثارها في نفسي، إذ كانت هناك مادة الدين التي تدرس لنا، ونحن خليط مشترك مسلمين ومسيحيين، فكانوا يفصلوننا مسيحيين عن مسلمين، وهنا بدأ شيء غريب في داخلي حرّك في رأسي سؤالين هما: لماذا يتم فصل المسلمين عن النصارى في حصة الدين؟!

وهل النصرانية تعترف بالإسلام؟!

حاولت الإِجابة عن هذين السؤالين ولكن هيهات، حاولت أن أسأل غيري عن الإِجابة ولكن دون جدوى.

انتهت المرحلة الإِعدادية «المتوسطة» ثم المرحلة الثانوية، ثم دخلت كلية اللاهوت ببيروت، حصلت على الماجستير في «علم مقارنة الأديان» من الكلية الإِكليريكية في القاهرة.

❑ وثنيات وتحريفات سافرة:

لعلي أسوق لك بعضًا من التحريفات التي عرفتها:

فمنها تلك البذاءات التي كتبت عن أنبياء اللّٰه ورسله في «سفر التكوين، وسفر صمويل الثاني، وسفر حزقيال ١٦، ٣٢ قضية زنا المحارم، وسفر نشيد الأنشاد، وسفر الغراميات.. إلخ» أليس هذا تحريف سافر؟! وتهجم على أنبياء اللّٰه ورسله؟!

ومنها إطفاء الأنوار في ليلة رأس السنة الميلادية، أو ما يسمى عيد «الكريزمس»، وفي عيد القيامة، وما يحدث فيها من أشياء يا لها من دقائق خمس تطفأ فيها الأنوار فينهار كل شيء.

ومنها سجود النصارى لمجموعة التماثيل والمجسمات التي تصور المسيح على أنه مولود طفل أو مولود في مزود....إلخ.

أليست هذه وثنية سافرة؟.

ومنها الوساطة وصكوك الغفران وكرسي الاعتراف ومن يعترف لمن ؟! ومن يغفرُ لمن؟! أليست هذه سذاجة واضحة؟!

❑ **شك وحيرة:**

قلت لك لقد بدأت شكوكي وأنا في المرحلة الإعدادية، ولكنها كانت هادئة بعض الشيء، فأنا كنت مازلت صغيرًا، فلم يرتق شكي إلى الأصوليات في النصرانية، لكنها على كل حال بذرت الشك من يومها، وظلت الأيام والتجارب ترعاها، وتزيد الظمأ في داخلي للحقيقة، فكم من مرة حدثتُ نفسي بصدق.

«إن كانت اليهودية لتهوَّدتُ، وإن كانت الوثنية لعبدتُ الأصنام، وإن كانت الإسلامية لاتَّبعت رسول الله ﷺ، وإن لم أجد للحقيقة مقرًا لكفرت بالله»(١).

ومما زاد في شكي وحيرتي أنني لم أجد من يرد على تساؤلاتي واستفساراتي، فكأني في سجن داخل نفسي وداخل الكنيسة.

❑ **في هذا التيه . وفي هذا الضياع ثارت في نفسي أسئلة حائرة، لا بد لي أن أجد لها جوابًا شافيًا.**

❑ **هل المسيح إله؟!**

❑ **هل المسيح ابن الله؟!**

❑ **هل قضية الصلب حقيقة؟!**

❑ **هل وهل......؟!**

غير أنني كنت أميل إلى القراءة، شغوفًا بأستاذي الدكتور إبراهيم خليل(٢)،

---

(١) من محاضرة ألقاها ذلك القس بعد إسلامه عنوانها «قس نصراني يكشف بعد إسلامه تآمر الصليبية».

(٢) أحد الذين هداهم الله إلى الإسلام، وقصته ضمن هذا الكتاب.

أستاذ اللهوت فلجأت إلى كتبه ومقرراته.

ولكني فوجئت بالمنع والتحذير الذي قد يصل إلى حد العقوبة والجزاء.

فقد حذفوا كتبه ومقرراته ولم أكن أدري أنه أصبح ممنوعًا لإسلامه.

❑ سفر إلى الحق:

ذات يوم أرسل لي البابا يطلب مني الحضور من أسيوط حيث إقامتي، ومقر علمي، إلى الإسكندرية لعمل رياضة روحية، ثم محاورة بعض المسلمين هناك. سافرت إلى القاهرة، وعند وصولي لم أجد سيارة تنقلني للإسكندرية، ذهبت إلى " البطرخانة" القديمة، في قلب القاهرة بالقرب من ميدان العتبة.

سألت عن السيارة فقالوا جميع السيارات في جولات تنصيرية. ذهبت إلى موقف سيارات النقل في ميدان العتبة، ركبت الأتوبيس إلى العباسية ثم إلى «الكتدرائية»، صعد صبي يقوم بتوزيع كتيبات على الجالسين، كعادة الباعة المتجولين في القاهرة والمركبات العامة، قام بالتوزيع على الجالسين غيري.

بدأ في داخلي اشتياق عجيب إلى تلك الكتيبات، سألت ذلك الصبي .

لماذا لم تناولني هذه الكتيبات أيها الصبي؟!

رَدَّ قائلا في لهجة واضحة.

لأنك قسيس!!

بدأ في جمع الكتيبات أو ثمنها، ثم بالنزول في سرعة، نسيت مَنْ أنا، أسرعت بالنزول خلفه، ركض، فركضت خلفه، تعثر فوقع على الأرض، أمسكت به، أخذت كتيبين، أعطيته خمسة جنيهات ، هَاله ذلك المبلغ، قال خذ هذه الكتب فهي لك، لم أحفل به، تركته ومضيت.

عندما وصلت الكتدرائية، دخلتُ إلى الغُرفة المخصصة للمدعوين رسميًا من البابا، لم أتمالك نفسي، أريد أن أقرأ.

كنت عندما أريد النوم أو طرد الأفكار أقرأ في «الإنجيل». فلماذا لا أقرأ في الكتيبين؟ أمسكت يداي بأحد الكتيبين فإذا به «جزء عَمَّ» وكانت أول مرة أمسك فيها بكتاب إسلامي، فتحت الكتاب، وقرأت.. وقعت عيناي على قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص].

شعرت براحة في نفسي ، وحلاوة في فمي، لم أعرف طعمها من قبل، لقد ظللتُ أقرأ وأعيد، حتى حفظتها عن ظهر قلب.

طرق الباب أحد الأساقفة، ناداني بتلك العبارة «أبونا إسحاق»، لقد وَصلتْ السيارة هيا إلى الإسكندرية، جعلتُ أردد دون وعي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ....﴾ سألني الأسقف: ماذا تقول؟!

قاطعته بلا وعي لم أقل شيئًا ؟!

مضيت في طريقي إلى الإسكندرية ، جعلت أرددها طوال الرحلة ودون انقطاع.

إنها قضية التوحيد التي طالما بحثت عنها، لقد جعلتني أهدم «ألوهية المسيح وبنوته وصلبه من أجل الناس» ببحوث خاصة كنت أعددتها كاملة من داخل الكتاب المقدس لأبين الحق للناس ليس غير.

بدأتْ رحلتي الإيمانية تُضاعف من ثورتها وقوتها تلك القصص التالية:

ففي الإسكندرية هذه المرة، وفي كرسي الاعتراف، جاءت إحدى

السيدات، تعترف لي بأنها زنت من غير علم زوجها ثلاث مرات، وتطلب مني المغفرة، ناولتني مائة جنيه مصري، حدثتني بقولها: من أجل قداستك اغفر لي خطيئتي، رفعت الصليب في وجهها كالعادة، أمسكت شفتاي عن النطق وأمسك لساني عن الكلام.

ورأيت في كرسي الاعتراف على الستارة البنية اللون عجبًا وأي عجب!!

لقد رأيت مكتوبًا على الستارة بالنور الأخضر ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ....﴾.

بكيتُ بحرقةٍ شديدة، وبكت السيدة المعترفة كذلك.

وجدتني وأنا أبكي أردد.

كيف أغفر للناس خطاياهم؟! وأنا محتاج إلى من يغفر لي خطاياي؟!

لقد أخذتُ ما هو لله وأعطيتُه لنفسي.

انتهت مراسم الصلاة، خرجتُ للمطران «أحد المناصب الكنسية الدينية»، طلبت أن يسمع لي، قاطعني قائلاً: ... نحن مسرورون، وخاصة الشعب الذي صلى معك، سننقلك من أسيوط إلى الإسكندرية. قلت له:

«إن الشعب يعترف لي لأغفر له خطاياه، وأنا أعترف لك لتغفر لي خطاياي، وأنت تعترف للبابا ليغفر لك خطاياك، فمن الذي يعترف له البابا ليغفر له خطاياه؟!»

فقاطعني قائلاً:

ألم تعرف بأن البابا معصوم؟!

قُلْتُ (سبحان الله) البابا معصوم وأنبياء اللّه ورسله ليسوا معصومين كما

تقول أسفار الكتاب المقدس؟

على الفور اتصل بالبابا ونقل ما دار بيني وبينه. فصدر قرار اعتقالي الكنسي فورًا، ثم نقلتُ إلى الدير المخصص لهذا الاعتقال، وما أدراك ما الاعتقال الكنسي!!

في هذا الدير وجدت كبير الرهبان يصلي صلاة المسلمين ويقرأ القرآن، ناشدني الصبر والاحتساب قائلاً: لقد أسلمتُ منذ ثلاثة وعشرين عامًا، أنيس وحدتي القرآن وقرة عيني عبادة الرحمن وأمرني بالستر عليه.

يا إلهي!! ما هذا الذي أرى!!

أمرني أن أرجع عما أنا فيه ظاهريا لأنجو من التعذيب والضياع، حتى أرتب الأمور، لقد سماني «إبراهيم» بدلاً من «إسحاق» ثم اتصل بالبابا ليخبره برجوعي عما أنا فيه.

ثم صدر قرار بالعفو عني، فلا بد من إغراءٍ ومكافأة. لقد عُينت «رئيسًا للجان التنصير لأفريقيا وغرب آسيا»، وتم إرسالي إلى السودان ومنها إلى مدينة " واو " السودانية، لتنصير ٣٥ شخصًا هي حصيلة المنصرين، قمت بتنصيرهم حسب الاعتقاد الكنسي وتسليم كل شخص شيكًا بمبلغ خمسة وثلاثين ألفًا من الجنيهات المصرية، ثم أخذتهم معي إلى مصر لتنفيذ باقي الإجراءات. ركبنا الباخرة النيلية، حاولت المرور للاطمئنان عليهم في كبائنهم، وجدت المفاجأة الكبرى التي أذهلتني.

أحدهم يصلي صلاة المسلمين تركته يكمل الصلاة ثم طلبته في كبينتي وسألته عن ذلك رَدَّ قائلاً: لقد اشتريتم جسدي فقط أما قلبي وروحي فهما

لله، لقد بعثُ لكم جسدي لأطعم زوجتي وأولادي وأكسوهم، إنهم عراة. أما قلبي ولساني فكلاهما يلهجان بـ «لا إله إلا اللّه محمد رسول الله».

هل يبقى لي بعد ذلك شيء؟!

لا وألف لا.

كل هذه القصص جعلتني أشهر إسلامي ، لقد بدأت أتعلم الصلاة وأصلي على ظهر الباخرة، . لقد تأخرت كثيرًا والحمد لله.

لقد وَجَدتُ نفسي.

* * *

[٢]
الأستاذ السابق بكلية اللاهوت الإنجيلية

(د. إبراهيم خليل فلوبوس - إبراهيم خليل أحمد) (مصر)

❑ ولادته ونشأته:

ولدت في الإسكندرية من أبوين صعيديين يرجع أصلهما إلى محافظة أسيوط قلب الصعيد وعاصمته وقد وسع اللَّه عليهما في العيش، عندما شببت عن الطوق، دخلت المدارس الخاصة ذات المصروفات الباهظة نظرًا لعنايتهما بتربيتي، وكنتُ متفوقًا في دراستي الابتدائية ثم انتقلت إلى المرحلة الثانوية، والتحقت بالكشافة ثم الجوالة التي أتاحت لي الفرصة الطيبة للتعرف على البيئات والعقائد والأديان، فتعرفت على الأديان الثلاثة (اليهودية والنصرانية والإسلام).

وتصادف وصولي مرحلة «الثقافة» المدرسية مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، وتعرض مدينة الإسكندرية لأهوال قصف الطائرات.. فاضطررنا للهجرة إلى أسيوط حيث استأنفت في كليتها التعليم الداخلي وحصلت على الدبلوم عام ١٩٤٢/٤١. وسرعان ما تفتحت أمامي سبل العمل فالتحقت بالقوات الأمريكية من عام ٤٢ وحتى عام ١٩٤٤م.

لكن أخبار الحرب والنكبات دفعتني لأن أنظر إلى العالم نظرة أعمق قادتني للاتجاه إلى دعوة السلام وإلى الكنيسة .. التي كانت ترصد رغباتي وتؤجج توجهاتي.. فالتحقت بكلية اللاهوت سنة ١٩٤٥م وأمضيت فيها ثلاث سنين..

☐ كلية اللاهوت:

- في الثمانية أشهر الأولى كنا ندرس دراسات نظرية.. يقدّم الأستاذ المحاضرة على شكل نقاط رئيسية، ونحن علينا أن نكمل البحث من المكتبة. وكان علينا أن ندرس اللغات الثلاث: اليونانية والأرامية والعبرية إضافة إلى اللغة العربية كأساس والإنجليزية كلغة ثانية.. بعد ذلك درسنا مقدمات العهد القديم والجديد ، والتفاسير والشروحات وتاريخ الكنيسة، ثم تاريخ الحركة التبشيرية وعلاقتها بالمسلمين، وهنا نبدأ دراسة القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ونتجه للتركيز على الفِرَق التي خرجت عن الإسلام أمثال الإسماعيلية ، والعلوية، والقاديانية، والبهائية... وبالطبع كانت العناية بالطلاب شديدة ويكفي أن أذكر بأننا كنا حوالي ١٢ طالبًا يدرس لنا ١٢ أستاذًا أمريكيًا و٧ آخرين مصريين.

☐ طه حسين .. في كلية اللاهوت!

وفي الواقع كنا نؤسس على هذه الدراسات حواراتنا المستقبلية مع المسلمين ونستخدم معرفتنا لنحارب القرآن بالقرآن... والإسلام بالنقاط السوداء في تاريخ المسلمين! كنا نحاور الأزهريين وأبناء الإسلام بالقرآن ، فنستخدم الآيات مبتورة تبتعد عن سياق النص ونخدم بهذه الطريقة أهدافنا، وهناك كتب لدينا في هذا الموضوع أهمها كتاب « الهداية» من ٤ أجزاء، و« مصادر الإسلام» ، إضافة إلى كتابات عملاء الاستشراق أمثال « طه حسين[1]» الذي استفادت الكنيسة من كتابه« الشعر الجاهلي» مائة في المائة ، وكان طلاب كلية اللاهوت يعتبرونه من الكتب الأساسية لتدريس مادة الإسلام! وعلى هذا المنهج كانت رسالتي في الماجستير تحت عنوان « كيف ندمر الإسلام بالمسلمين» سنة ٥٢ .

(١) لا يزال بعض المثقفين من أمتنا يمجدون طه حسين، ويعتبرونه عميد الأدب العربي!!!

❑ رحلة العمل الكنسي:

نُصِّبتُ قسيسًا للكنيسة الإنجيلية بباقور محافظة أسيوط في حفل ذائع الصيت، حصلت على درجة الماجستير، زاد نشاطي بين أعضاء الإرسالية الأمريكية في مصر.. ولا سيما في مجال التنصير. انتدبت بسببها للتدريس بكلية اللاهوت بأسيوط لكنيسة نهضة القداسة التابعة للإرسالية الإنجليزية الكندية[1]. ثم عملت سكرتيرًا عامًا للإرسالية الألمانية السويسرية بأسوان. ولا أخفي ما قمت به في مجال التنصير والنشاط التنصيري.

❑ اتجاهي لاعتناق الإسلام

- كانت لي - مثلما ذكرت - صولات وجولات تحت لواء الحركة التبشيرية الأمريكية، ومن خلال ذلك تأكد لي أن المبشرين في مصر ما جاءوا لبثّ الدين وإنما لمساندة الاستعمار والتجسس على البلاد! بدأت أقرأ القرآن بصورة تختلف عما كنت أقرؤه سابقًا وفي شهر يونيو تقريبًا عام ١٩٥٥ استمعت إلى قول الله سبحانه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ هذه الآية الكريمة من الغريب أنها رسخت في القلب، ولما رجعت إلى البيت سارعت إلى المصحف وأمسكته وأنا في دهشة من هذه السورة، كيف؟ إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ فكأن عيني رفعت عنها غشاوة، وبصري صار حديدًا.. وأصبحت أرى ما لم أكن أرى وأحسست إشراقات الله تعالى نورًا يتلألأ بين السطور جعلتني أعكف على قراءة كتاب الله مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

(١) لاحظ ازدواجية أسماء الإرساليات لتدرك التعاون والترابط ضد الإسلام والمسلمين.

ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

وفي سورة الصف: قول عيسى عليه السلام ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]

إذًا فالقرآن الكريم يؤكد أن هناك تنبؤات في التوراة وفي الإنجيل عن النبي محمد ﷺ ومن هنا بدأت ولعدة سنوات دراسة هذه التنبؤات ووجدتها حقيقة لم يمسها التبديل والتغيير لأن بني إسرائيل ظنوا أن النبوة لن تخرج عن دائرتهم...

❑ وتسرب النبأ....

ـ بعد أن وصلت إلى اليقين ولمست الحقائق بيدي كان عليّ أن أتحدث مع أقرب الناس إليّ زوجتي، لكن الحديث تسرب عن طريقها إلى الإرسالية للأسف،.. ومن المفارقات العجيبة أن الإنجليز في هذه الآونة كانوا قد خلعوا الملك طلال من عرش الأردن بتهمة الجنون... فخشيت أن يحدث معي الأمر ذاته.. لذلك التزمت الهدوء والمصابرة حتى قدمت استقالتي من الخدمة الدينية واتجهت للعمل في شركة أمريكية للأدوات المكتبية.. وفي المقابل لم يكن المجتمع المسلم حينذاك ليقدر على مساعدتي... فحقبة الخمسينات والستينات كما تعلمون كانت تصفية للإخوان المسلمين، وكان الانتماء للإسلام والدفاع عنه حينذاك لا يعني إلَّا الضياع! ولذلك كان عليّ أن أكافح قدر استطاعتي، فبدأت العمل التجاري، وأنشأت مكتبًا تجاريًا، ورفضتْ جميع الشركات الأوروبية والأمريكية التعامل معي، وتعرضتُ للطرد من شقتي لأنني تأخرت شهرين أو ثلاثة عن دفع الإيجار ... وانقطعت أسباب تجارتي... لكني مضيت

على الحق الذي اعتنقته...، إلى أن قدَّر اللّٰه أن تبلغ أخباري وزير الأوقاف حينذاك، والذي استدعاني لمقابلته وطلب مني المساهمة في العمل الإِسلامي بوظيفة سكرتير لجنة الخبراء في المجلس الأعلى للشؤون الإِسلامية فكنت في منتهى السعادة في باديء الأمر، لكن الجو الذي انتقلت إليه كان ـ وللأسف ـ مسمومًا.

❑ أصول واضحة:

لا بد أن أقرر اعترافي للدين الخاتم بوضوح المسائل الهامة والتي لها علاقة وثيقة بالتدين والاعتقاد:

الأولى: الوحدانية: فالوحدانية في الإِسلام مثار فخر المسلم بعقيدته السليمة، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص]

نعم فهي وحدانية في الذات والصفات والأفعال. فهي ليست ذاتًا مركبة. وليس لغيرها ذوات تشبهها. فهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى، ١١].

زِدْ على ذلك أنه ليس له صفتان من جنس واحد كقدرتين وعلمين، وليس لغيره صفة كصفته .

والآيات القرآنية التي تدل على وحدانية اللّٰه كثيرة في مختلف السور «فاطر(٣)، والبقرة (١٦٣)، والأنبياء (٢٢)، والصافات (٤ ـ ٥)» وغيرها كثير، على خلاف الوحدانية في النصرانية ففيها خلاف وجدل مرير منذ فجر المسيحية حتى يومنا هذا، وكلما ظهر بين الآباء الكنسيين من ينشد الحق، ويسير على الطريق المستقيم هبّت في وجهه الكنيسة وكل القوى لتقاوم وتدفع

العقيدة إلى البطلان والشرك.

❑ الثانية: الغفران وصكوكه:

يكفي الإسلام فخرًا أن المغفرة بيد الله دون سواه وإنما تتوقف رحمته ومغفرته على توبة الإنسان توبة صادقة مع إيمانه بالله الواحد الأحد وبرسالة محمد ﷺ: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر:٥٣].

أما نظرية الغفران والفداء في المسيحية "حادثة الصلب"، فيكفي أن نطرح هذه الأسئلة:-

كيف يغفر عبد لعبد؟!

ومن المعصوم من الذنوب؟!

وكيف يغفر مذنب لمذنب مثله؟!

أسئلة حائرة تحتاج إلى جواب مقنع فهل تمنحنا النصرانية عنها فصل الخطاب؟!

لقد شاءت إرادة الله أن أكون مجاهدًا وداعيًا إلى الله، أدعو إلى الإسلام على علم وبصيرة، حيث تم تعييني خبيرًا دينيًا في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر. أحمد الله على هذا الاختيار راجيًا أن أؤدي الأمانة نحو ديني وعبادة ربي.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[سورة الممتحنة، آية: ٤].

❑ تنظيم الأسرة خطة تآمرية :

يروج لها جهاز تنظيم الأسرة بتوزيع أدوات منع الحمل فتحد من تزايد

المسلمين عدديًا، وتسهل ازدياد الفساد الأخلاقي والعلاقات الحرام بينهم.

❏ الفتنة الطائفية وذرائع العدوان!

أتذكر يوم أن أرادت انجلترا احتلال مصر كيف افتعلت معركة بين مالطي(من سكان مالطة) وحمّار في الأسكندرية انتهت ولأسباب واهية بقتل المالطي، فكانت ذريعة استند إليها الأسطول الإنجليزي لضرب الأسكندرية وكانت حجتهم حماية النصارى غير الآمنين؟

مرة في عام ١٩٧٥ طُلب مني تقديم محاضرة بكلية أسيوط، فتكلمت عن المسيح عليه السلام وعن الرسول، ﷺ، من خلال الأناجيل والتوارة، والقرآن الكريم، مبينًا نبوتهم وفضلهم كباقي الأنبياء ... وكان للمحاضرة صدى واسعًا انتهى بإعلان ١٧ من الشبان أبناء الجامعة إسلامهم فاعتبروني إنسانا أتاجر بالدين..

وقلت لرئيسي في الأوقاف : أنا ما دخلت الإسلام حتى أنال قرشين كل شهر؛ ولكنني دخلته حتى أشرب فأسقي. وقدمت استقالتي فورًا بين يديه.

هذه هي الفتنة الطائفية التي يتحدثون عنها ويخوّفون الناس بها.

* * *

[٣]
كبير أساقفة جوهانسبرج الذي هز إسلامه الأوساط الكنسية ودوائر التنصير في العالم

«المونسنيور فريدريك دولا مارك»

في سويسرا تلك الدولة المحايدة، وعلى ترابها إحدى المؤسسات المشهورة حاضرة المؤتمرات الدولية للسلام والأمن في العالم، وعلى أرضها تقوم صناعة الأجهزة الدقيقة، صناعة الساعات لتقيس الزمن، بل تقيس عمر الإنسان وحياته، فلعل ذلك الإنسان يدرك قيمة نفسه، ويدرك حكمة خلقه ووجوده في هذا الكون ، ويدرك معها حقيقة العمر الفاني، فينسجم مع فطرته وينسجم مع الكون من حوله.

في هذه الدولة التي تتمتع بذلك النظام الفريد، وهو بنوك ذات أرقام سرية، فلا يعرف الرصيد إلا صاحبه. فلعل الذين يفرحون بذلك ويتمتعون به، ويدركون ميزته لعلهم يدركون حقيقة الرصيد الإيماني الذي لا ينفع غيره إلا صاحبه في ميزان الثواب والعقاب، فيدخرون لأنفسهم رصيدًا من الإيمان الخالص والتوحيد الصادق.

في مدينة جنيف حدثت تلك المفاجأة، وهي ليست مفاجأة بقدر ما هي استقامة للفطرة وعودة إلى الحق.

إنه خبر اهتزت له كل الأوساط الكنسية ودوائر التنصير في العالم أجمع؛ إذ سيطرت الدهشة والذهول على أركان الكنيسة الكاثوليكية. لقد آب رجل

عظيم إلى الحق واستجاب لنداء الفطرة التي فطرها الله .

أجل!!

لقد أعلن كبير أساقفة جوهانسبرج إسلامه!

من هو كبير الأساقفة هذا؟! إنه المونسنيور (فرديريك دولا مارك) كبير أساقفة جوهانسبرج، الذي أعلن إسلامه في صحن المركز الإسلامي الكبير بجنيف، مؤكدًا استعداده للبدء فورًا في التعريف بحقيقة الإسلام والعمل على نشر تعاليمه في أنحاء تلك القارة الأفريقية[١].

❑ حقيقة ناصعة:

ونترك المجال لكبير الأساقفة السابق والمسلم عن قناعة وإيمان فليتحدث:

لقد درستُ الإسلام للوقوف على عدة أساسيات لابد منها لصحة عقيدتي وهي:

أولاً: الألوهية.

ثانيًا: الوحدانية.

ثالثًا: صورة عيسى عليه السلام في الإسلام وهل هو إنسان أم إله؟![٢].

لقد وصفني كل من عرفني برجاحة العقل والفكر. فهل أظل على حيرتي في هذه الأساسيات الثلاث التي لم أجد لها وضوحًا في النصرانية؟!

أضف إلى ذلك رابعة وهي: دعوة المساواة بين الناس.

---

(١)، مجلة التضامن الإسلامي ـ جمادى الأولى ١٤١٣هـ ص ٨٥.

(٢) نفس المجع السابق

لقد ذهبت إِلى الإِسلام لأجد عنده ما يشفي غلتي ويريح ضميري فوجدت عنده الجواب.

أما في الوحدانية والألوهية فقد وجدتُ بيانًا شافيًا:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص].

أضف إلى ذلك آيات كثيرة في القرآن منها.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة ١٦٣].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[البقرة ٢٥٥] إِلى آخر تلك الآيات.

أما صورة عيسى في الإِسلام فلقد وجدتها تختلف تمامًا عما رسمته الأناجيل المتباينة المتضاربة.

❑ خلاصتها:

إِنه عبد اللّٰه ورسوله خلقه بقدرته ومثله عند اللّٰه كمثل آدم.

كل هذا أحدث في نفسي أثرًا عميقًا من الشك والتردد فيما عرفته وتعلمته من دراسة اللاهوت، ومن هنا بدأت أنوار الإِيمان الصافية تغمر قلبي وتنير عقلي ولا أقول إِلا كما قال الحق:﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾

[آل عمران :٦٤]

❑ أما الرابعة:

فلعل ما تعيشه جنوب أفريقيا، وما يهز كياننا ويزلزل أركان دولتنا على

مشهد ومسمع من العالم، لهو خير دليل على هدم تلك المساواة المزعومة. وما تعيشه البلاد فيه أفضل رد.

❑ نداء وصراحة:

لعل إسلامي وإسلام غيري من القساوسة يجعل الاهتمام بقارة أفريقيا القارة العذراء التي تشتاق إلى الإسلام كثيرًا، رغم تلك الهجمة التي عاينتها بنفسي وعشتها بطبيعة عملي، تحتاج إلى أن نهتم بتلك القارة التي أعرف وأحِسّ أن مستقبل الإسلام فيها لتلك الأسباب ولغيرها:

أولاً: لأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه اللَّه للبشر.

ثانيًا: توافقه وانسجامه مع الفطرة.

ثالثًا: منطقه الواضح في أخص وأهم القضايا الاعتقادية.

فلعلي أجد من يجيب ويسمع.

* * *

[٤]
عقيدة راسخة

(إبراهيم نياس نواجي - نيوجي) (نيجيريا)

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾
[آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤]

❏ **بيئة وموقع:**

في بلد أفريقي هو نيجيريا يتكون من أربعة أقاليم يطلق عليها «نيجيريا الاتحادية»، حيث تقع في الركن الشرقي لساحل أفريقيا الغربية،مساحتها ٩٢٤ ألف كم٢، يعيش على أرضها ١٠٦ مليون نسمة، موزعة إلى ٣٥٠ مجموعة قبلية تقريبًا، وهي أكبر الدول الأفريقية سكانًا، تملك من الثروات، ما جعلها محط أنظار أصحاب المطامع ومرتعًا خصبًا لحملات التنصير والانقسامات، فهي منذ أن نفضت عن كاهلها الاستعمار الذي جثم على أرضها في عام ١٩٦٠، تتوالى عليها الهجمات لتقضي على الإسلام والمسلمين فيها، تتعاون في ذلك القوى التي لا تؤمن بالإسلام والمسلمين، ولا ترتاح لانتشاره، ويرصد لأعمال التنصير في تلك القارة كثير من الأموال والإمكانات. في تلك البيئة الغنية بثرواتها، المحاطة بكل ما يتهددها من أخطار وأحداث وانقسامات.

ولد «نيوجي» في شرق نيجيريا ، وعاش كغيره من النيجيريين يحمل بين جنبيه نفسًا معطاءة، تربى وترعرع على نصرانيته التي تخطط وترتب للقضاء على

الإسلام في تلك القارة، رغم ما تناقله أصحاب الرأي والعلم والمنطق عن مستقبل الإسلام في أفريقيا(١)، حيث إن سرعة إعتناق الإسلام في أفريقيا يفوق كل تصور.

أُعِدَّ ليكون أحد دعاة التنصير ، مُنِحَ كل عناية وتعليم، أصبح نيوجي مُنَصِّرًا يشرف على كنيسة في شرق أفريقيا، هذه الكنيسة قام بجمع الأموال والتبرعات لبنائها من سكان تلك القرية النصارى، أصبحت الكنيسة مركزًا مهمًّا للدعوة للنصرانية ومزاولة طقوسها وعباداتها، أصبح مدعوًا من كل الهيئات والمؤسسات الكنسية، قام بتنفيذ كل ما يوكل إليه ، تحولت تلك القرية على يديه إلى نصرانية كاملة، وبدأت نشاطاته تتجاوز القرية إلى ما حولها.

☐ هداية ورشاد:

أراد الله له الإسلام، فأسلم على يد أصحاب الطريقة التيجانية. وهي طريقة صوفية منتشرة في أفريقيا، وسمى نفسه « إبراهيم نياس نواجي» تيمُّنًا بصاحب الطريقة في السنغال، ظن في أول عهده بالإسلام أنه يقر الرهبانية. اعتزل الحياة العامة، ترك الدنيا للناس ، مضت فترة من الزمن على تلك الحالة، وأراد الله له الخروج والحركة.

التقى بتاجر مسلم في نيجيريا من أصل شامي، أيقظ في نفسه روح الجهاد. دعاه إلى أن يصبح داعيةً إلى دين الإسلام كما كان من قبل منصِّرًا يدعو للنصرانية، اشتكى من قلة المال، عرض عليه ذلك التاجر ماله قائلاً: « خذ من مالي ولا تعتبره عقبةً في طريقك».

بدأ يدعو إلى دين الله الذين تنصروا على يديه قبل ذلك؛ هاله الاندفاع

(١) انظر كتاب «المسلمون وصراع البقاء» د. عبد الحليم عويس، ص ٣٤.

الشديد من الأفارقة إلى الإسلام، تحوّل كل الذين تنصروا على يديه إلى مسلمين. وأسلم أضعافهم.

❑ **داعية ودعوة :**

أسلم على يديه ستة آلاف شخص كانوا يسكنون قريته التي كان يعمل فيها مُنَصِّرًا، أصبحت تلك القرية مسلمة، فكر في إنشاء مسجد للدعوة الإسلامية، التفت حوله فلم يجد إلاَّ تلك الكنيسة الخاوية التي هجرها سكان القرية بعد إسلامهم، حاول أن يحول هذه الكنيسة إلى مسجد. أراد أن يرفع مئذنة لهذا المسجد لم تتركه القوى المتربصة المعادية له، باءت محاولاته بالفشل، وكان عازمًا على بناء مسجد مهما تحمل من مصاعب، ولم يستسلم للضغط والمنع، حث أتباعه على هدمها فهدموها، ثارت ضجة هائلة، من الصحف النصرانية وإعلامها المنتشر، هوّلوا الأمر، تحركت الحكومة ضده، أوقف عن العمل هو وزوجته التي أسلمت معه وأصبحت له معاونة ومساندة، قُدِّم للمحاكمة، دافع عن نفسه بعقل وحكمة، ناقشهم في هدوء قائلاً: هذه الكنيسة قام ببنائها من ماله ومن أموال أهل القرية الذين أسلموا فهي ملكهم الخاص، ومن حرّ مالهم . والكنيسة لم يعد لوجودها قيمة في قرية جميع أهلها قد أسلموا .

تحيَّر القاضي، لم يعد قادرًا على إثبات تهمة أو جريمة، فما الحلّ إذن؟! حكم عليه القاضي بغرامة مالية، كان سبب الغرامة هدم الكنيسة دون إذن من البلدية بعد أن قضى في السجن بضع سنين، خرج من السجن قاد حملة لجمع التبرعات، انهالت عليه من المسلمين في القرية، بنى المسجد الذي ظل يحلم ببنائه.

اتسعت دائرة نشاطه وحركته، بدأ يرتب لإنشاء مركز إسلامي كبير إلى

جانب المسجد، قام بجولة في العالم الإسلامي لجمع التبرعات، زار الكويت وحصل على مبلغ «خمسة عشر ألف دينار كويتي». بعد أن أكمل جولته، عاد إلى «أفيكبو» التي تنتظره ومن فيها ، بنى المركز، ومن ثم قام بوضع حجر الأساس لمستشفى يخدم هذه الأعداد، بلغ عدد المسلمين الذين أسلموا على يديه نحو مئة وخمسين ألفًا كلهم من قبيلة " الإيبو"، تلك القبيلة النصرانية.

❑ **صفقة خادعة:**

تحركت كل القوى ضد هذا الداعية لتوقف هذا النشاط الإسلامي. أسرعت تحيك الحيل والمؤامرات.

هل تسكت الصهيوينية العالمية تؤازرها الصليبية العالمية؟

فلابد للسفارة الإسرائيلية في نيجيريا أن تفعل شيئًا. حاولت وقف هذا النشاط عن طريق الدس الماكر . فماذا فعلت؟!

أرسلت دسيسة رجل أفريقي يظهر إسلامه لهذا الداعية. يظهر أنه يخاف على هذا المجاهد، عرف حاجة هذا الداعية إلى المال، مدركًا أثر المال وتأثيره. فكر أن يشتري ضمير الداعية وروحه بالمال، قائلاً له: «إن السفارة الإسرائيلية على استعداد لمنحه خمسة وخمسين ألف دولار أمريكي شريطة أن يصبح قاديانيًا».

إنها صفقة مغرية في حساب المال والأرقام والأرصدة والبنكنوت، ولكنها في مقابل الإيمان والتوحيد لا تساوي شيئًا. لقد رفض «إبراهيم نياس» هذا العرض قائلاً: «إن معي ربي سيغنيني عنك وعن هذه الصفقة».

ثم تحركت القوى لتحطم اتحاد نيجيريا ذاته، لقد انفصلت «نيجيريا

الشرقية»، عن الاتحاد معلنة اسمها الجديد «بيافرا».

❑ حقد مدمر:

تحركت كل القوى لتحطم نيجيريا كخطة مستمرة لتفتيت القارة إلى دويلات ضعيفة، بلا جيوش وبلا اقتصاد، مما يساعد على ابتلاعها وذوبانها وتنصيرها كخطوة على طريق تحويل القارة الإفريقية إلى قارة نصرانية في عام ٢٠٠٠م. انفصلت نيجريا الشرقية، قامت الحرب لتهلك المسلمين في الدفاع عن «بيافرا» الدولة الجديدة، رفض المسلمون الدخول في الحرب وعلى رأسهم «إبراهيم نياس».. أصدرت حكومة بيافرا العسكرية أمرًا بمصادرة أملاكهم جميعًا، وفي مقدمتها المسجد والمركز الإسلامي، بدأت حملة الإبادة للمسلمين، فها هو يلملم بقايا البقايا، ويضمد الجراح الغائرة، ويعلن للجميع قول اللَّه تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]

فلعل المسلمين يدركون حقائق التاريخ ودروس الكوارث والنكبات.

* * *

[٥]
قس ضليع في مجال التنصير في باكستان

(بشير أحمد رشاد) (بلجيكا)

زمالة مؤثرة:

عمل هذا القس الضليع في مجال التنصير في باكستان مع بعثة تبشرية بلجيكية ، أدّت بعض دورها، ثم عادت إلى بلجيكا(١) لقضاء بعض الوقت في بلدها الأم. حاول هذا القس أن يعمل في مجال آخر لحين عودتهم ، التحق بعمل حكومي في مجال تطوير القرى، كان المدير المسؤول رجلاً مسلما يدعى «خان أنور خان»، أحب هذا المدير ذلك القس كثيرًا، كان هذا الحب هو حال جميع الموظفين المسلمين حوله، تعاملوا معه في بادئ الأمر على أنه مسلم، كانت معاملتهم طيبة، علموا أنه نصراني بعد ذلك، فلم تتغير معاملتهم له، زادت المعاملة على مر الأيام طيبة وحسنًا بعيدة عن روح التعصب ، تأثر القس بذلك ، بدأت شكوكه وأوهامه عن الإسلام تتلاشى، وبدأت ثورة تغزو فكره.

عادت البعثة البلجيكية مرة أخرى إلى باكستان ، دعوا القس إلى عمله في مجال التنصير ، رفض فأغضب والده وجده وزوجته، ألحوا عليه كثيرًا، رفض بشدة، انتهى برنامج التطوير القروي الذي كان يعمل فيه، طالبته الحياة بأعبائها ومسئولياتها بالعمل في أي عمل آخر، لكن فرص العمل في باكستان لم تكن متوافرة ، دفعته الحاجة وإلحاح البعثة التنصيرية بمكاسبها الكبيرة إلى العودة إلى

(١) لاحظ انتقال البعثات وانتشارها في كل مكان. وتكاتف الدول النصرانية وتعاونها على نشر النصرانية

العمل في مجال التنصير في مركز "شيخ بورا" بالقرب من لاهور. كان يدعى إلى لاهور مرتين كل أسبوع لحضور الاحتفالات الدينية، كان يعد الأحاديث بعناية فائقة ثم يلقيها بصوت مؤثر، جذب إليه الناس ، زادت شعبيته كثيرًا ، أحبه الناس وحرصوا على سماع أناشيده وتراتيله، ولكنه في هذه المرة قرر ألا يوجّه أي نقد للإسلام ، لماذا؟ لأنه كان متأثرًا بالإسلام إلى درجة جعلته يختار أفضل أصدقائه من المسلمين مما أغضب والده وزوجته، مضت الأيام وتولدت في نفسه رغبة للدراسة والوقوف على حقيقة الإسلام، واصل دراسته للإسلام، لكن المناصب سعت إليه إذ تم تعيينه بوظيفة حساسة على حد قوله تجر له المرتب والعلاوات الكثيرة فها هو يقول:

«ذهبت إلى لاهور لمقابلة والدي، وهناك لقيت أمين عام المجلس النصراني في باكستان الذي أعطاني خطاب توصية إلى مدير التعليم النصراني للكبار في باكستان، فعينني بوظيفة حساسة ومنحني أفضل مرتب مع علاوات كثيرة فقمت بعملي بكفاءة». ولكن كان تأثره بالإسلام يزداد يومًا بعد يوم.

❑ عشرة سنوات كاملة:

بدأت رحلة البحث الشاقة، من أجل الوصول إلى عقيدة صحيحة، ! عاش خلالها القس يبحث عن الحق، يناقش كل من حوله من العلماء ورجال الدين، تبلور هذا الصراع في داخله في سؤالين أصبحا يشكلان مادة تفكيره طيلة عشرة سنوات هما:

أولاً: إذا كان ديني "النصرانية" صحيحًا ويقود إلى النهوض ببني الإنسان، فلماذا ينحدر كل يوم ؟! هذا على الرغم من أنه كما يقال قائم على الحب والأخلاق الفاضلة.

ثانيًا: أننا نحن النصارى نزعم أن الإِسلام ليس صحيحًا وأنه يقوم على القسوة والفساد، وأنه انتشر بحد السيف، فقلت: فلماذا يقبل الناس على الإِسلام في كل العالم، دون إِكراه أو جبر من أي نوع؟!.

طالت الرحلة، تنوعت مصادر الحقيقة، حانت لحظة الوصول والخلاص، فلم يعد هناك مجال للإنتظار أو التأخير ، أعلن القس إِسلامه في مسجد مكي في منطقة «جوجرا نوالا» على يد الشيخ محمد منيف كشميري. لقد اصبح اسمه «بشير أحمد رشاد».

* * *

[٦]
أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟

(خالد بيلاسنتوس - أرتور بيلاسنتوس) (الفلبين)

❑ عشرون عامًا:

عشرون عامًا قضيتها في خدمة الكنيسة وعبادة الصليب مُتوجًا ذلك برسالة الدكتوراه في اللاهوت والكهنوت المسيحي. فقد كنت من خدام الكنيسة البارزين ، تدرجتُ في المناصب الكنسية حتى أصبحتُ المسؤول الأول عن نشاطات التنصير في قارة آسيا. فقد كنت الرجل الثالث في مجمع كنائس قارة آسيا أي من تلك الكوكبة الذين وصلوا بعلمهم وجهادهم إلى ذلك المنصب القيادي الخطير.

شرِبت عقيدة التثليث بسذاجة فلم أكن حاد التفكير في صغري، ولم أفتش عن شيء أو أُفكر بعقلي، كنت أنظر إلى كل مَنْ حولي فأجدهم بسطاء يقبلون كل شيء كأنهم أطفال يأخذون كل شيء إلى أفواههم كأنه طعام.. أو هو الطعام عينه. لقد وقعوا وأنا معهم تحت تأثير القسس والرهبان الذين صَوَّروا لهم أن كل ما يقولونه هو الحق والصدق لا يقبل الجدل ولا يجوز فيه النقاش. تربيت على السمع والطاعة، ولكن كيف يكون ذلك؟!

لا بد أن تأتي لحظات أو ومضات . فإذا عنَّ لي سؤال عن تلك القضية التي عجزت الأناجيل أن تجد لها جوابًا قاطعًا، وهي «الوحدانية» في مقابل «عقيدة التثليث» كانوا يسكتونني بقطع الحلوى، وكنت وقتها كغيري من الصبيان أقنع بتلك المتعة الرخيصة.

كبرتُ وترعرعتُ وهذه العقيدة «عقيدة التثليث» التي لا تناقش، هي موضع شكي وقلقي.

صِرت مسؤولاً عن التنصير ومسؤولاً عن بعثات التنصير في آسيا. كم كنت سعيدًا بثقة الفاتيكان والرؤساء فيما أقدمه للنصرانية .

لكن ذلك لم ينقذني من ذلك الصراع الذي يشتعل بداخلي.

حاولت أن أهرب ولكن دون جدوى.

❑ **مقارنة فاصلة:**

خلوت إلى نفسي مرةً ومراتٍ، طاف بذهني سؤال حائر.

أيهما دين الحق الإسلام أم المسيحية؟!

نقلني هذا السؤال إلى سؤال آخر كأنه المخرج: لماذا لا يكون هناك دين جديد يجمع بينهما؟!

أسلمني هذا السؤال إلى سؤال ثالث: لماذا لا أتعرّف على الإسلام إذن؟!

وما هو الطريق إلى معرفة الإسلام؟!

طريقان لا ثالث لهما:

أحدهما : عن طريق المسلمين أنفسهم.

والآخر: من خلال كتابات وأقوال كتاب المسيحية لكن الأول أفضل. توجهت إلى أحد معارفي من المسلمين سألته أن يعيرني «القرآن الكريم». لكنه رفض بشدة. لماذا؟! ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩]

وبعد محاورة طويلة. وَعدتُ ذلك الصديق ألا أمس هذا الكتاب بغير طهارة ، ولكن كيف أتطهر؟!

فما كان منه إلا أن علمني كيف أتطهر وأتوضأ.

❑ بداية الوصول:

حملتُ كنزي الثمين، وأنا أخفيه بين خوف وحذر، مخافة أن يراني واحدٌ من العيون المبثوثة من الكنيسة لمراقبتنا، فالجريمة كبيرة ، والعقاب أبشع. فليت الأمر يتوقف على الفصل والطرد، ولكنه قد يصل إلى القتل بغير رحمة.

لكني لم أصبر فقد قرأت على الفور في ذلك الكتاب الكريم «القرآن الكريم».

يا إلهي!!

تملكتني الدهشة، وأصابتني الرعشة التي هزتني بعنف، أحسست بالصراع يستيقظ في داخلي، ما هذا الذي أرى؟ ... إنه الحق!!

إنه ينظم العلاقة بين العبد وربه بلا واسطة، ولكن كيف أهجر ديني؟ ودين آبائي؟ وأترك المنصب والمزايا والعيش الرغيد الذي يَصعُبُ على كثيرين؟ إذن لا بد من الانتظار قليلاً!! وحتى تكون هناك فرصة أكبر لمعرفة هذا الدين، ولْتَكُن تلك الفترة للمقارنة الدقيقة.

فلنقرأ القرآن مرة ومرات لعل الأمور تصبح أكثر وضوحًا من ذي قبل.

❑ كيف دخل الإسلام الفلبين؟

ولكن كيف دخل الإسلام إلى بلدي الفلبين؟! هل دخل بحد السيف؟! كما علمتنا الإرسالية والكنيسة؟!

لا بد أن أقف على هذه الحقيقة بنفسي وأن أسأل كل من يرشدني إليها.

يا إلهي!!

لقد دخل الإسلام إلى الفلبين منذ ستة قرون على يد اثنين:

أحدهما : عربي يدعى «كريم المخدوم» يمارس التجارة والطب.

وثانيهما: أمير أندونيسي يدعى «الراجا باجونيدا» كان أميرًا لبلدة «مينا بخكاياو» في وسط جزيرة سومطرة، ومنهاجاءت تسمية المنطقة التي يقطنها مسلمو الفلبين اليوم وهي «مندناو».

ولكن سؤالاً وثب إلى خاطري:

هل تقاضى هذان الرجلان عمولة أو أجرًا نظير دعوتهما.. إلى الإسلام؟! كما نتقاضى نحن وغيرنا من المنصرين عمولة مالية مقابل كل شخص نقوم بتنصيره.

قادني هذا السؤال إلى استجلاء وضع المسلمين في الفلبين.

لقد سمعت عن زعيم مسلم يدعى «الداتو لابور لابو» تصدى لأول قافلة استعمارية إسبانية حاولت احتلال البلاد في معركة قتل فيها «فيرناندو دي ماجلان» أول مستعمر جاء إلى الفلبين.

يا إلهي !!

زعيم مسلم يتصدى للمحتل الغاشم ويرفض أن تستعمر الفلبين بينما الصليبيون يمارسون التنصير والتحويل الجماعي للمسلمين بالعنف لمن يرفض.

الفرق كبير والبون شاسع بين رجل يريد الحرية والاستقلال للوطن كله

مسلميه ونصرانيه، وآخرون يُحرمون على المسلمين حرية التدين والاعتقاد. وهي أبسط حقوق الإنسان في قرننا الذي نعيشه ويدفعونهم إلى التنصير دفعًا.

ثم هذا الدين الذي أراه بعيني رأسي!!

أي دين هذا الذي يستمسك به معتنقوه لدرجة قد تصل بهم إلى حد الموت دون أن يتركوه أو يرتدوا عنه؟! رغم كل الإغراءات والمؤثرات؟!

الآن قد تكشّفتْ لي جُلُّ الحقائق!!!

❑ ليلة مشرقة:

تملكني القلق، وسيطر علي الأرق، لم أنم... لابد لي أن أنام... وكيف ذلك ؟! ... لابد أن أقرأ أي شيء ؟ وفي أيِّ كتاب؟! ليس غير القرآن إذن؟! ولكن كيف أمسه دون طهارة؟! لابد أن أتطهر كما تعلمت قبل ذلك؟

تطهرت سريعًا ، بدأت القراءة على عجل جاءت هذه الآية﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

بدأت إشرقات الإيمان تتواثب على هذا القلب، وأنا أُقلب الصفحات في شوق شديد كي أقرأ.. كي أتأمل وأتدبر ، ساقت إرادة الله لي تلك الآية الكريمة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]

لقد غمر الإيمان كياني: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد٢٨].

لقد آن لتلك الروح الحيرى أن تهتدي!!

لا بد أن أذهب الآن وفورًا إلى صديقي المسلم لابد أن أعلن إسلامي.

فما أن وصلت حتى رددت الشهادتين وتوضأت وصليت ركعتين لله.

لقد أصبح اسمي الآن «خالد بيلاسنتوس» بدلاً من «آرثور بيلاسنتوس».

لقد بدأت بالدعوة لهذا الدين الحنيف الذي ارتضاه اللَّه لنا.

فعرضت الإسلام على زوجتي فأبت وامتنعت. فتركتها لعل اللَّه يهديها عن قناعة وعن فهم. وقد شاء اللَّه أن ترى القدوة في إسلامي فأصبحتْ بفضل اللَّه مسلمة مثلي بعد ثلاثة شهور فقط.

وكالعادة واجهتُ ضغوطًا رهيبة من الكنيسة، تلاشت بمرور الزمن وقد زادتني قوة.

لم أتقاعس عن الدعوة وَجَّهت كل قوتي نحو الدعوة للإسلام.

وبدأت هداية اللَّه تُسدد خطاي في هداية طلابي وغيرهم.

وقد أسلم منهم عدد كبير.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى * وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٥،٢٦].

* * *

[٧]
حضور موفق

(إبراهيم أهونيمو - جان باتيست أهونيمو) (بنين)

❑ رحلة مباركة:

جاء كغيره من القادمين إلى «غينيا كوناكري» مع تلك الموجات الزاحفة على تلك القارة لتصنع ذلك الحاجز الوهمي أمام الانتصارات الضخمة التي يحرزها الإسلام مع كل فجر جديد... جاء وتدفعه الرغبة الجامحة كغيره من المنصِّرين في أن يبذل قصارى جهده، في خدمة النصرانية، فقد عقد العزم منذ أن كان طالبًا في مدرسة اللاهوت على أن يعمل مخلصًا لنشرها في ربوع الدنيا.

حصل على «ليسانس» في علم اللاهوت، وأصبح قسًا مرموقًا، وترك ما يتمتع به كل صاحب منصب أو لقب من تلك الألقاب النصرانية الثمانية ورحل تاركًا خلفه بلاده «بنين» ، مهاجرًا إلى «غينيا كوناكري» ليؤدي مهمته المنوطة به حتى يرضى عنه القائمون على أمر الكنيسة الكاثوليكية والمسؤولون عن التنصير في أفريقيا.

وللقيام بأعباء تلك المسؤولية ، كان يميل كغيره من المهتمين بأمر التنصير إلى حضور المحاضرات والمناظرات، ليعرف أفكار رجال الدعوة الإسلامية، ومدى ثقافتهم وتوجهات الحركات والدعوة الإسلامية داخل القارة، ليعمل على الوقوف أمام مسالكها حتى تتم الغلبة للنصرانية.

لقد عمل قسًا لبضع سنوات بإحدى الكنائس في غينيا كوناكري، ولكن

سرعة انتشار الإسلام داخل هذه القارة التي تمثل المستقبل الإسلامي[١]، رغم تكاتف جميع الهيئات الصليبية والصهيونية وغيرها، أصبح الكابوس الذي يجثم على صدره والذي أقضّ مضجعه، وشغل باله ليل نهار.

❑ يوم لا ينسى:

ها هو ذا أحد المدعوين لتلك المناظرة الفريدة بين «مسلم ونصراني» في لقاء كبير، فلعلها تكون فرصة، يتعرف من خلالها على كل ما يدور في أذهان المسلمين، فقد كان كعادته توّاقًا لمثل هذه المناظرات.

جلس بين الجالسين متمنيًا الانتصار في هذه الليلية لهذا النصراني، والخسران لمن يقول إنه مسلم.

كان المسلم هادئ النفس، ثابت الجنان. وبدأ الحديث عن عيسى عليه السلام وعن أمه العذراء مريم البتول، جاءت الشواهد على صدق حجة المسلم من سورة مريم، قرأ آياتها على مسمع من الجميع في كلام مرتب دقيق، يحمل الإعجاز بقوة، واضح الدلالة ، لا لبس فيه ولا غموض.

إن هذا ليس من كلام البشر، إنه كلام ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

وتلا آيات أخرى من سور أخرى، جعلت صاحبنا يقتنع أن الإسلام هو دين الله الحق.

وهذه القناعة لم تأت من فراغ، ولم تظهر فجأة، إنما كانت تتويجًا لما بذله في أيامه الأخيرة من مقارنة بين الأديان. وها هو يقول: «إنني قُمتُ بمقارنة بين

(١) المسلمون في معركة البقاء، د. عبد الحليم عويس، ص ٣٤.

القرآن الكريم والإنجيل قبل إسلامي، فوجدت القرآن أهدى سبيلاً»[١].

❑ إيمان وإعلان:

كانت هذه المناظرة نهاية لبعده عن الحقيقة. فها هو الحق واضح كفلق الصبح. إذ يقول: «لقد اقتنعت أثناء هذه المناظرة بسورة مريم وسور أخرى بأن الإسلام هو دين الحق»[٢]، إنه ليوم مجيدٌ حقًّا، سيظل محفورًا في ذاكرته. ها هو يعلن كلمة التوحيد أمام كبار الشخصيات الإسلامية الحاضرة آنذاك على مرأى ومسمع من الجميع. لقد أصبح اسمه الآن " إبراهيم أهونيمو" بدلا من " جان باتيست أهونيمو"

❑ جهاد وسعي:

إنها أمانة الدين الجديد، ومسؤولية الإيمان تدفعه إلى الدعوة لدينه الإسلام، لقد أصبح الآن داعية في مكتب لجنة مسلمي أفريقيا «بغينيا كوناكري»[٣]. فلا بد أن يقوم بجولات أفريقية في دول القارة، يقوم بالدعوة للإسلام فيها.

حيث ذهب إلى ساحل العاج، وذهب إلى توجو وذهب إلى النيجر.

* * *

(١)، (٢)،(٣) مجلة الخيرية، العدد ٤٥، ص ٤٢.

[٨]
من التثليث إلى التوحيد

(د. محمد مجدي مرجان) (مصر)

نشأة خاطئة:

نشأ كغيره من النصارى في مصر بين عائلة تؤمن بإله ثالوثي على حد قوله، وتتعصب لنصرانيتها، وتنظر إلى الإسلام في مصر على أنه دخيل، ليست له جذور عميقة في هذا البلد صاحب الحضارة القديمة، تنتظر يوم الخلاص من كل ما هو إسلامي، أو يمت إلى الإسلام بصلة.

تدرج في دراسته، أرادت له الأسرة أن يكون من الذين يلبسون الثياب السوداء. حدادًا على ضياعها من النصرانية وانتقالها إلى دولة إسلامية يتربع على أرضها الأزهر الشريف، المنارة التي ساعدت على نشر الإسلام وتأصيل عقيدته وحفظ لغته.

التحق في مدرسة الثالوث شمّاسًا في إحدى الكاتدرائيات ليكون أحد دعاة هذه العقيدة، وها هو يقول: «تمَّ إلحاقي تلميذًا في مدرسة الثالوث شمَّاسًا في إحدى الكاتدرائيات، حيث تم إعدادي وتوجيهي، فأصبحت داعيًا لله «الثالوث» منافحًا لنشر طقوسه وتعاليمه»(١).

أتاحت له تلك النشأة فرصة للدراسة ، والبحث والاطلاع على كثير من المعارف الدينية والأسرار اللاهوتية، كان يبذل الكثير من الجهد والوقت لكي يصل إلى الحقائق التي لاغبار عليها ، ساعده على ذلك ميله الفطري إلى التأمل

(١) انظر كتابه « الله واحد أم ثالوث؟» ، ص ٦.

والتدقيق، والبحث والتحقيق ، لم يقتنع في قرارة نفسه بما ورثه من آبائه وأجداده من هذه العقيدة التي لم ترسخ في عقله وقلبه، ولكنها ظلت بين مدٍّ وجزر، وها هو يقول: «لا لا يكفي للإيمان الحقيقي وراثة العقيدة وتقْليد الآباء والأسلاف والعمّات والجدات، فلم يكن الدين في يوم من الأيام إقرارًا لوضع قائم ، وإنما كان الدين دعوة إلى الحق، وثورة على الباطل ، ولو كانت العقيدة إرثًا وانصياعًا لما انتقل الناس من باطل إلى حق، ولبقي العالم اليوم كما كان منذ آلاف السنين يَسبَحُ في الأباطيل والأوهام»[1].

ظل يبحث عن الحقيقة ، يقرأ ويتأمل، يناقش ويُفنِّد، يقيم حوارًا مع نفسه ومع من حوله من النصارى علَّه يجد الجواب لكل ما يضطرِم بداخله، فها هو يقول: «لقد قمت بنفسي بمناقشة كثير من الإِخوة المسيحيين في مدى فهمهم وتقبلهم لهذه العقيدة ، تارة حين كنت محسوبًا في الجماعة المسيحية، وتارة بعد انسلاخي عنها»[2].

لقد أضناه البحث عن الحقيقة، يريد الوصول إلى بر الأمان، ليحط ترحاله مؤمنًا صادق الإيمان، جاعلا هذا البحث منهاجه، وداعيًا غيره من النصارى وأصحاب الديانات للعودة إلى الإيمان الصادق، واليقين عن طريق البحث والتنقيب . فها هو يقول: «فَلْنَبْحَثْ عقائدنا، وأصول إيماننا وغذاء أرواحنا، لنصل إلى الحقيقة، التي تحجبها الأهواء والأغراض، والميول والنزعات، فلْننتزع عنا هذه، وتلك، ولنَسْتَقْبل الحقيقة، فترتاح العقول، وتسكن القلوب وتهدأ النفوس، وتستقر الأرواح»[3].

(١) نفس المرجع السابق، ص ٦.

(٢)، (٣) انظر كتابه «المسيح إله أم إنسان»، ص ١٦.

❑ رحلة شاقة:

سارت الأيام كما أراد اللَّه أن تسير، عاش خلالها بين تيارين عظيمين، يتجاذبانه بشدة وعنف.

التيار الأول : الإيمان باللَّه الثالوث بحكم الوراثة والتقليد.

التيار الثاني: الإيمان بالإسلام الداعي إلى إله واحد الذي فنَّد هذا الثالوث وأظهر بطلانه، وجعل من توحيد اللَّه أول أركانه[1].

فلتكن رحلة البحث عبر الحضارات والعقول والأفهام، ولْتكن مع أقدم الحضارات وأعرقها. مع حضارة مصر الفرعونية، فهل عرفت الوحدانية ووقفت على حقيقتها؟!

نعم فقد نادى بها أحد فراعنة مصر «إخناتون».

فلْنذهب إلى الحضارة اليونانية القديمة، ولْنتعرف على آراء فلاسفتها الكبار وما هو موقفهم من الوحدانية؟!

فإذا الجواب يأتي على لسان فلاسفتها الكبار. فهذا «سقراط» شيخ الحكماء يقول لتلاميذه: «يجب أن تعرفوا أن إلهكم واحد»، وهذا أفلاطون الذي أعلن على الجميع أن :«اللَّه واحد لا شريك له» ، ويأتي بعده أرسطو فيقرر هذه الوحدانية بقوله: «مما يدل على وحدانية اللَّه انتظام العالم وتناسق حركاته». وهذا الفيلسوف اليوناني مليسوس يقول: إن «اللامتناهي واحد فقط؛ إذ يمتنع أن يكون هناك شيء خارج اللامتناهي»... إلى آخر هذه الكوكبة التي أثبتت شهاداتها على مر العصور والتي نطقت بها الفطر من أعماقها تؤكد وحدانية

(١) نفس المرجع.

الخالق العظيم.

فإذا كان هذا هو موقف الفلاسفة فرسان الحكمة والمنطق، وأصحاب الرأي والفكر، فما هو موقف العلماء من هذه القضية؟ إنهم على اختلاف عصورهم، ولغاتهم ومعارفهم ، يُقِرُّون أن اللَّه واحد لا حد لقدرته، ولا راد لحكمته، عندما يتخلصون من نوازع الميل والهوى ، ولوثات المكابرة، والجحود، وجرائم إخفاء الحقائق، والكذب والبهتان . تعالى اللَّه الواحد الأحد.

وفي كــل شــيء لــه آيــة تــدل عــلى أنــه الــواحــد

فها هو العالم الإنجليزي هرشل يقول: «كلما اتسع نطاق العلم كلما زادت البراهين الدامغة على وجود خالق أزلي لا حد لقدرته ولا نهاية، فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة اللَّه وحده».

فإذا كان هذا هو موقف العقلاء والفلاسفة والعلماء، فما هو موقف الأنبياء الذين أرسلهم اللَّه لهداية البشر ، فإذا بهم يقررون الوحدانية وها هم الأنبياء في التوراة يقرون ويعترفون ويقررون وحدانية الله.

فهذا موسى عليه السلام يقول: « الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل . ليس سواه» (تثنية ٤/٣٩). وهذا داود جد عيسى عليهما السلام يقول: «لأنك عظيم أنت صانع عجائب، أنت اللَّه وحدك» (مزمور٨٦/ ١٠). وهذا نحميا النبي يخاطب ربه بقوله: « أنت هو الرب وحدك» (نحميا ٩/٦). ويقول اللَّه مخاطبًا البشر: « أنا هو الرب وليس غيري وليس دوني إله، ليعلم الذين هم من مشرق الشمس ومن مغربها أنه ليس غيري أنا الرب وليس آخر» (اشعباء ٤٥/٥-٦).

وها هي الأناجيل المختلفة تقرر وحدانية اللَّه رغم ما فيها من تحريف؛ يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية: « لأن اللَّه واحد» (رومية ٣/٢٠). ويقول في رسالته إلى أهل غلاطية أيضًا: « ولكن اللَّه واحد» (غلاطية ٣/٢٠).

ويورد إنجيل يوحنا قول السيد المسيح عليه السلام مُعَنِّفًا قومه اليهود على عدم إيمانهم باللَّه الواحد بقوله: «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدًا بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه» (٥/٤٤).

وفي إنجيل يوحنا يقرر المسيح عليه السلام في مناجاته لربه وحدانية الواحد الأحد، إذ يقول: « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك...» (٢/١٧). وفي إنجيل مرقص: بينما كان المسيح جالسًا مع تلاميذه وحوارييه يشرح لهم تعاليم اللَّه أ تاه أحد الناس يسأله: « أيَّة وصية هي أول الكل؟ فأجاب يسوع« عيسى»: إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد»: (١٢/٢٩-٣٠).

إلى آخر تلك التقريرات والاعترافات.

فما هو موقف آخر الأنبياء وآخر الكتب؟ !

فها هو يحسم القضية حسمًا دامغًا، إذ يقول القرآن الكريم في سورة من قصار سوره﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص].

فإذا كانت الإنسانية قد عرفت التوحيد منذ القدم، ونادى به الجميع ، من وصلتهم رسالات السماء ومن لم تصلهم على حدٍّ سواء، فلماذا عقيدة التثليث إذن ؟!

إن « التوحيد هو دين الكافة، كافة العقلاء والعلماء والفلاسفة والأنبياء وكل ذي بصيرة»(١).

وهنا سقطت عقيدة التثليث ، فلم يعد لها وجود في داخله، فأصبحت كل المعارف التي عرفها وقرأها في كتب النصارى وفي أفكارهم لا تقوم على دليل ثابت، ولا ترتكز على منطق معقول مقبول، وأصبحت لا تمثل له شيئًا.

فمنهم من يقول عنها: :«إن الذات والد للنطق فيقال له الأب. والنطق مولود من الذات فيقال له الابن. والحياة منبعثة من الذات فيقال له الروح القدس.

فالله الأب قائم بذاته، ناطق بخاصية الابن الذي هو النطق، حي بخاصية الحياة التي هي روح القدس.

والله الروح القدس قائم بخاصية الذات الذي هو الأب، ناطق بخاصية النطق الذي هو الابن، حي بخاصيته التي هي الحياة»(٢).

فأي منطق وأي عقل يستطيع أن يدرك هذا؟! وأي لسان ينطق بهذا؟!

وإذا كان الله الأب قائمًا بذاته، والله الابن قائما بخاصية الذات الذي هوالأب، فعلام هذا التشابك والتمزق أو التداخل والتفرق في آن واحد؟!

وكيف يقوم الثلاثة بخاصية الذات ، ثم ينطقون بخاصية الابن؟! وكيف يحيون جميعًا بخاصية الحياة التي هي روح القدس؟

أسئلة كثيرة تحتاج إلى جواب ، وهذا آخر يقول : « إن تسمية الثالوث باسم

(١) كتابه «الله واحد أم ثالوث؟». ص ١٢٦.

(٢) التثليث والتوحيد، للقمص إبراهيم إبراهيم (بتصرف).

الأب والابن والروح القدس تعد أعماقًا إلهية سماوية لا يجوز لنا أن نتفلسف في تفكيكها وتحليلها أو نلصق بها أفكارًا من عندياتنا»[١].

وثالث يقول: «إن الأقانيم ليست مجرد أسماء تطلق على الله أو مجرد صفات بها، بل ثلاث شخصيات متميزة غير منفصلة متساوية فائقة عن التصور»[٢].

ومنهم من مثل الله الثالوث «على حد زعمهم » بالشمس. فالشمس تتكون من ثلاثة عناصر وأجرام هي جرم الشمس، وشعاع الشمس، وحرارة الشمس، فالشعاع منبعث من الجرم، والحرارة منبعثة من الشعاع، والجرم والكل شمس واحدة.

وآخرون مثلوا الله بالشجرة لها أصل وساق وثمر ، والشجرة واحدة.

وآخرون مثلوه بينبوع أو فتيل الشمعة[٣] إلى آخر تلك التأويلات والتشبيهات، التي لا يقرها دين ، ولا يقتنع بها عقل أو منطق، علاوة على ما منحوه لكل أقنوم من الأقانيم الثلاثة من صفات وخصائص.[٣]

وكيف يكون عيسى إلها و«ابن الله». وقد أقر هو بعبوديته وشهد ببشريته، وقد جاءت الأدلة على تلك البشرية ، وحرص دائمًا في أحاديثه مع الناس على أن يصف نفسه وما فيها من قوة وضعف، وغضب وخوف، وحزن وبكاء وتعب، يأكل ويشرب. كما قررت الأناجيل ذلك، وينام ويخلد إلى الراحة،

(١) سر الأزل، للقس توفيق جيد، ص ٥٩.

(٢) عقيدة التثليث والتوحيد، ياسين منصور، ص ١٥٦.

(٣) الله واحد أم ثالوث، مرجع سابق.

ويصلي ويدعو... إلى آخر ما يقوم به بنو البشر. وقد حرص دائمًا في أحاديثه مع الناس على أن يصف نفسه بأنه « ابن الإنسان» امتلأت الأناجيل وازدحمتْ به، يردده ليوقظ أصحاب الفطر السليمة والعقول المستقيمة، هادمًا كل المراتب التي رفعوه إليها ، فقد رفعه بعضهم إلى مرتبة الآلهة، ثم اختلفوا حول طبيعته الإلهية، هل هو إله خالص، أم شخصية مزدوجة نصفها إله ونصفها إنسان؟!

وهل هو ذات اللّه أم بعض الله؟ واقترب به بعضهم إلى درجة أدنى من الملائكة، وساواه بعضهم بالملائكة، وارتفع به آخرون إلى مرتبة أعلى من الملائكة.

وقال البعض إنه إنسان، ثم دب بين هؤلاء البعض الخلاف، هل هو نبي أم إنسان عادي؟ وهل كان صالحًا أم فاسدًا؟

❑ **استجابة ووصول.**

بعد هذه الرحلة الشاقة الطويلة التي قطعها هذا العالم الجليل قبل إسلامه منقّبًا عن الحقيقة الساطعة، طالبًا الهداية والسداد، راجيًا أن يصل إلى ما ترتاح إليه نفسه، التي خلقها اللّه سوية مستقيمة، فوصل ظافرًا ، فأعلن إسلامه عن علم وقناعة ويقين، وها هو يقول.

«ولدتُ لأعبد المسيح، وأرفعه فوق الآلهة، فلمّا شببتُ شككت، فبحثتُ عن الحقيقة ونقّبتُ فعرفتُ، وناداني المسيح: يا عبد اللّه، أنا بشر مثلك، فلا تشرك بالخالق وتعبد المخلوق، ولكن اقتدِ بي واعبده معي ودعنا نبتهل له سويًّا.

(ربنا وإلهنا حمدك وسبحانك رب العالمين ، وإياك نعبد وإياك نستعين).

يا عبد اللّه أنا وأنت وباقي الناس عبيد الرحمن.

فآمنت باللّه وصدّقت المسيح وكفرتُ بالآلهة المصنوعة».

لقد تسمى بعد إسلامه باسم « محمد مجدي مرجان» تيمُّنًا باسم نبي الحب الذي رفع « قيمة الحب ومكانته في حياة الناس وبعد مماتهم ودلل على أهمية الحب في الدنيا والآخرة».

وصدق الحق إذ يقول:

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام:١٢٥].

وقد أهدي هذا المسلم الصادق للمكتبة الإسلامية عددًا رائعًا من الكتب وقد أشرنا إليها بالهامش.

* * *

[٩]
عزلة صائبة

(د. عبدالواحد داود ـ دافيد بنيامين كلداني) (إيران)

❑ بداية واعدة:

وُلِدَ « دافيد بنيامين كلداني» في قرية « ديجالا» التي تبعد ميلًا واحدًا عن مدينة «أورميا» في إيران، حيث الطبيعة الصافية الجميلة التي تساعد على التأمل وتبعث على التفكر والدراسة واستخلاص العبر والنتائج، وتعين على البحث والاستقصاء والتحليل.

ولد لأب كاثوليكي من طائفة الروم الكاثوليك لطائفة الكلدانيين الموحدة. تلقي تعليمه الابتدائي في صباه في مدينة « أورميا» ، كان من بين الطلاب المتقدمين، يسبق غيره في التحصيل والتفكير، واثقًا في قرارة نفسه التوافة إلى المعرفة، أن ما يطمح إليه يحتاج إلى زاد ثقافي جامع لكي يكون على مستوى ما يتطلع إليه في مستقبل أيامه حتى أصبح في عامه التاسع عشر ولمدة ثلاث سنوات أحد موظفي التعليم في إرسالية رئيس أساقفة «كانتروبوري» المبعوثة إلى النصاري الآشوريين النسطوريين في « أورميا». فها هو يتقدم الصفوف ليسبق غيره عن طريق الجدارة والاستحقاق، ثم أمضى ثلاث سنوات لاحقة، سلخها في العلم والتعلم، جعلته يقفز إلى مقدمة صفوف المعلمين النصارى، وخدام النصرانية، فأكسبته قدرة فائقة على الكتابة وعرض الأفكار في مجال التعليم النصراني، فأرسله الكاردينال « قوهان» إلى روما موطن الفاتيكان ، ليتلقى تدريبًا منتظمًا في الدراسات الفلسفية واللاهوتية في كلية «روبوغاندافيد».

أصبح صاحب حظوة لدى أساتذته وعارفيه، مما ساعده على وضع سلسلة من المقالات في مجلة «ذي تابليت» حول موضوع «الآشورية» و «روما» و«كانتروبوري». وكذلك في مجلة «ذي أيريس ريكورد» حول موضوع من أخطر الموضوعات، يهم اليهود والنصارى هو «صحة أسفار العهد القديم» ، ولم يكتف بهذا، بل نشر عدة ترجمات. بلغات مختلفة عن «السلام المريمي». وهو تحية جبريل للعذراء «مريم» عليها السلام نشرت في مجلة «الإرساليات الكاثوليكية المصورة».

أنهى دراساته في تلك الكلية وعاد إلى بلاده يحدوه الأمل في أن يقدم المزيد لخدمة النصرانية وتعليم أتباعها، ومرّ بمدينة« إستانبول» في تركيا ، لم ينتظر الوصول إلى مقر إقامته، كان توّاقًا إلى الكتابة ونشر المعرفة النصرانية في شتى بقاع الأرض، كتب مرة أخرى، أسهم في نشر سلسلة طويلة من المقالات باللغة الإنجليزية والفرنسية في الصحف اليومية حول موضوع الكنائس الشرقية وأوضاعها وما لها وما عليها. وصل إلى «أورميا» ، وتم تتويجه كاهنًا، ثم حصل على درجة الأستاذية في علم اللاهوت فصار قسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدانيين الموحدة[1].

❑ نشاط وحركة:

عاد من رحلته تلك، انضم إلى إرسالية «لازارست» الفرنسية في أورميا، بدأ نشاطه في الدعوة إلى النصرانية ، أصدر منشورات فصلية دورية باللغة العامة السريانية تدعى «كالا ـ تشرع» ومعناه «صوت الحق»، أصبحت هذه الظاهرة هي الفريدة من نوعها في تاريخ الإرسالية جعله هذا العمل محل ثقة رؤسائه

(١) انظر كتابه «محمد ﷺ في الكتاب المقدس»، ص ٢٥ـ ٢٦.

أساقفة الطائفة الكلدانية في «أورميا» و«سالماس» ، مما جعل اثنين من رؤساء الأساقفة يختارانه لتمثيل الكاثوليك الشرقيين في مؤتمر « القربان المقدس» الذي عقد في مدينة « باراي لو مونيال» في فرنسا تحت إشراف ورئاسة الكاردينال «بيرود». أصبح بعد ذلك كبير الكهنة الكلدانيين رسميًّا، والذي قدم ورقة عمل المؤتمر، استنكر الطريقة الكاثوليكية في التعليم بين النسطوريين، لم يغفل جانب التعليم من جهته وتربية النشء، قام بافتتاح مدرسة بالمجان لجذب الأطفال وتنشئتهم تنشئة كاثوليكية بحتة.

اختارته السلطات الكنسية ليذهب إلى «سالماس» لتولي المسؤولية هناك، رغم ما قابله من نزاعات بين رئيس الأساقفة وبين الآباء اللازاريين كانت تنذر بانقسام خطير، بذل محاولاته الجادة لرأب الصدع ولَمِّ الشمل، قام بإلقاء المواعظ، أخلص في النصائح، أقام الصلوات، جمّع حوله النصارى، صلى بحشد حافل من النصارى حضرها الكاثوليك وحضرها عدد كبير من الأرمن وغيرهم، كان اجتماعهم في كاتدرائية «سانت جورج» في خورتابا في «سالماس».

في «سالماس» ، وعظهم وأخلص في موعظتهم، كانت الموعظة رائعة في نظر الجميع، اختار لها عنوانًا فريدًا «عصر جديد ورجال جدد»، فكانت رائعة حقًّا؛ لأنها كانت الموعظة الأخيرة التي غيرت مسيرة حياته، لقد فجر حقيقة جديدة تستحق النظر والالتفات، قائلًا:« إن الإرساليات النسطورية قبل ظهور الإسلام، كانت تعظ الناس بالإنجيل في جميع أنحاء آسيا، وكانت لهم عدة مؤسسات في الهند (خصوصًا في ساحل مالابار) وفي بلاد التتار والصين ومنغوليا، وأنهم ترجموا الإنجيل إلى اللغة التركية (يوغورس) وإلى لغات أخرى، وأن

الإرساليات الكاثوليكية الأمريكية منها والإنجليزية لم تقدم من العمل الطيب للأمة الأشورية الكلدانية سوى القليل عن طريق التعليم الابتدائي. وعملت من جهة أخرى على تقسيم الأمة القليلة في عددها»[1].

أراد اللَّه أن تكون هذه الموعظة الجامعة آخر مواعظه النصرانية، وأن تكون مفتاح الخلاص له ، وأن تحمل في طياتها أبلغ موعظة لقومه، حتى يكونوا على بصيرة مما تفعله الإرساليات الأجنبية، وأن ما يقومون به من خدمات لاتخدم إلا أهدافها ومصالحها.

وكان لهذه الموعظة أثرها السيء على رؤساء الإرساليات، مما دفع بالمندوب البابوي المونسنيور« ليزيه» إلى الحضور من «أورميا» إلى «سالماس» ليدفع الخطر ويصحح الانحراف في حركة هذا القس الكبير، ولكن كانت هذه الحقائق في يوم ما أوضح من قرص الشمس في رائعة النهار.

❑ تساؤلات:

ثارت تساؤلات صادقة في رأس هذا القس الكبير ، الذي درس اللاهوت وحصل على أعلى الدرجات العلمية والدينية، وقد طوّف في شرق الأرض وغربها من أجل هذه الدراسة ، وهذه التساؤلات هي:

هل النصرانية على حق؟! هل كل ما جاء هو منزل من عند الله؟ ولكن الناس يختلفون فيما بينهم، أيهم يعرف كيف وبأية لغة نزلت التوراة والإنجيل في الأصل؟! هل كان ذلك باللغة الآرامية أو السريانية أو العبرانية؟! هل الذي تُرجِم من التوراة والإنجيل إلى اللاتينية والإغريقية، والرومانية، والفرنسية، والإنجليزية ، وأخيرًا إلى العربية يُفسّر ويُعَبِّر أو ينقل تمامًا الأصل الذي نزلت به

(١) انظر كتابه السابق، ص ٢٥.

التوراة والإنجيل؟!

لقد ضاعت الكتب القديمة، بل أُحرقت وأُفنيت ، وتبارى القديسون والأحبار والنساخ والكتّاب في التشدد والتمسك بأن كل ما كتبه أحدهم هو الصحيح. فأي الكتب الباقية التي كتبها هذا الحشد من القديسين والأحبار والنسّاخ والكتاب يمكن الاعتماد عليه والأخذ بما فيه؟!

تباينت الآراء، وعمت العداوةُ والبغضاءُ الطوائفَ والجماعاتِ ، حتى قذفت إحدى الطوائف النصرانية غيرها من الطوائف بأبشع التهم وأحقر المسميات. فمنهم من وصف طائفة البروتستانت بأنهم كلاب[1]، لقد انتقلت هذه العداوات من جيل إلى جيل، كُلٌّ يدعي أنه صاحب الحق، والآخرون يكذبون ويفترون ويحرفون ويزوّرون... وصارت عقائد مختلفة وطوائف متباينة.

❑ عزلة وقرار:

عزل القس نفسه عن الدنيا والناس، لجأ إلى قريته ومسقط رأسه، في منزله الصغير في قرية« ديجالا» ، في أحضان الطبيعة الخلابة، والسكون القروي الرائع، لكي يبحث عن أجوبة شافية لهذه الأسئلة الحائرة في داخله حتى أطل من أعماقه هذا السؤال الثائر:

هل الديانة النصرانية بأشكالها المتعددة ومع تضارب كتبها المتعددة، هل هي ديانة اللّٰه الصحيحة؟!

مكث شهرًا كاملًا في هذه العزلة، عاش خلالها حياة خاصة جدًّا. ظل يقرأ الكتب المقدسة مرة بعد مرة، يلجأ إلى الخالق العظيم أن يلهمه الصواب والحق، يدعوه بكل جوارحه وخلجات نفسه أن يرشده إلى طريق الهداية والرشاد، وأن

(١) محمد الرسالة والرسول، د. نظمي لوقا، مقدمة الكتاب.

يخرجه من هذه الأزمة ويرشده إلى الحقيقة التي غفل عنها بضعة وثلاثين عامًا كاملة.

وجاءت النهاية الصادقة، لقد قرر تقديم الاستقالة من كل مناصبه الكنسية، إلى رئيس أساقفة « أورميا» شارحًا بها الأسباب و إعلانه المدوي عن دخوله في دين اللَّه الخاتم.

لقد أشهر إسلامه وأصبح اسمه «عبد الأحد داود».

وقد عمل مفتشًا للبريد والجمارك، مهاجرًا إلى ربه بدينه الخاتم، مجاهدًا في سبيل إعلاء كلمة اللَّه بالدعوة والتعليم، فأهدى للمكتبة الإسلامية مؤلفات قيمة منها «الصليب والإنجيل» و« محمد ﷺ في الكتاب المقدس».

وها هو يقول: «لا أستطيع أن أعزو اعتناقي للإسلام إلا إلى الهدي الكريم من لدن رب العالمين، وبغير هدى اللَّه لاتفيد دراسة ولا بحث ولا أي جهد نبذله للوصول إلى الحق، بل قد تؤدي هذه بنا إلى الضلال، ومن اللحظة الأولى التي اهتديت فيها إلى الإيمان بوحدانية اللَّه أصبح رسوله محمد ﷺ قدوتي في خلقي وسلوكي».

وصدق الحق إذ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب: ٢١].

* * *

[١٠]
كفة راجحة

(محمد فؤاد الهاشمي)

❑ ولادة قاهرة:

قد ولد كما يولد أبناء جلدته، نصرانيًا لأبوين من النصارى في مصر، يغرسون حب النصرانية في نفوس أبنائهم كما فعل آباؤهم من قبل ، حتى يشبّوا وقد انغرست في نفوسهم تلك العقيدة وأنخرط مع غيره من النصارى في أداء طقوسهم وشعائرهم ، بدأ يتأمل ويناقش ، ساورته بعض الشكوك التي أوقدت في داخله نار القلق، فتولدت الشرارة الأولى.

وما أدراك ما الشرارة الأولى!!

«إنها الشرارة التي تنطلق فتولد الصراع الفكري الذي يعد بداية التحرر مما قد يسميه متناقضات، أو على الأقل ما يظنه متناقضات[1]».

ولكن الإنسان أيًا كان يميل بفطرته إلى القراءة والتعلم، وإلى الخلوة والتأمل ، فلن ينقطع عن كل من حوله من بشر ومخلوقات، وعوامل تثير في نفسه الأسئلة التي توقظ في داخله البحث عن مبدع هذا الكون وخالقه ومنظمه، وهل هو حقًا ما قالته النصرانية؟ إنها أسئلة حائرة تحتاج إلى جواب يرضي فضول الإنسان وتطلعه إلى الحقيقة.

شب عن الطوق، كبر عقله ، ونمتْ مداركه، وتعاقبت مراحل تعليمه ، واتته

---

(١) انظر كتابه «الأديان في كفة الميزان»، ص ١٧٨.

فرص الدراسة والاطلاع كما واتته فرص الصفاء والتأمل والنقاء، التي تفتح أمام الإنسان أبواب الأمل والرجاء، لتأخذ بيده إلى سبيل الرشاد.

وظلَّتْ تلك الشرارة تزداد قوّةً واشتعالًا مع مسيرة الأيام، تأمل فيما يدين به، ويدين به آباؤه وأجداده ، ناقش ما يلقي عليه من تعاليم، وُجِّه إلى تعلم أسرار دينه، أرادوا له أن يكون قسًّا مرموقًا، فانخرط في ذلك المضمار لكي يصبح قائدًا كبيرًا من قواده الذين ينالون حظًّا وافرًا من المال والجاه، ولكن الشرارة الأولى كانت مازالت تعمل عملها. ومن يطفئها؟!

❑ رغبة ملحة:

سار في طريقه المرسوم، أنهى دراساته ، لم ترتحْ نفسه، وظلت نيرانه مشتعلة بداخله، أيقظت في داخله رغبة ملحة تدعوه إلى دراسة دين آخر.

فها هو يقول: «قادتني الدراسة إلى إصاخة السمع إلى عدة نداءات، وصلت إلى سمعي نتيجة الثغرات التي أوجدتها الريبة والشك فيما لم يستطع العقل قبوله، ولم يطمئن إليه الضمير لحظة الطهر الوجداني، مما أدرسه أو أُعدُّ لتحمله من المهام، فكان لتلك النداءات حظ من الإنصات الذي أعقبه التفكير في الأديان السابقة على ديني فكنتُ كالمستجير من الرمضاء بالنار»[(١)]. ويا لها من مفاجأة!! فلم يجد ما تصبو إليه نفسه، وما يرتاح إليه ضميره، فها هو يقول: «وجدت بعد التمحيص أن أغلال ديني أخف وطأة من قيود ما سبقه من الأديان، من نواحي التكليف والإكراه والإرغام نتيجة الطغيان الكهنوتي والكنسي»[(٢)].

---

(١) كتابه السابق، ص ١٧٩.

(٢) كتابه السابق، ص ١٨٠.

لم يكن قد أصاب الهدف المنشود بعد، ولكن الرغبة كانت مازالت ملحة، وباب الدراسة مفتوح، فاستهوته الدراسة في الأديان مرة أخرى، فهل يقف به البحث عند الأديان السابقة وحدها اللهم لا !!

تحول إلى البحث في الدين الإسلامي، لكنه حانق، تلهبه الكراهية والمقت على هذا الدين، لم يكن يريد الدخول فيه، ولكنه يريد أن يستخرج العيوب ، ويلتمس الأخطاء، ويفتش عن المتناقضات لهدمه ويخلص الناس منه. ولكن .... إذا به يدخل إلى باب الهداية والإيمان حيث يقول: «ما كدتُ أطرق الباب، حتى دخلت في المقارنة بين ذلك الدين وما سبق من أديان، وخرجت من تلك المقارنة، وقد استولى عليّ سحر الحقيقة الناصعة والمبادئ الوضاءة والتعاليم الصريحة، لا اعوجاج فيها ولا سلطان لكاهن، ولا لكنيسة ولا لأحبار»[1].

يقول واصفًا ما رآه في هذا الدين العظيم: «وجدتُ لكل سؤال جوابًا شافيًا، لم يستطع أي دين سابق سواء كان وضعيًا أو منحدرًا من الأديان السماوية أو مبدأ من المبادئ الفلسفية ، (وقولي منحدرًا يرجع إلى انحدار الديانات على يد رجال الدين الذين خرجوا بها عما جاءت من أجله) وجدت أن مازعموه في الإسلام عيوبًا هي مزايا، وماظنوه متناقضات هي حكمًا أو أحكامًا وشرائع فُصِّلتْ لأولي الألباب، وأن ما عابوه على الإسلام كان علاجًا للبشرية التي طالما تردتْ في بيداء الظلمات حتى أخرجها الإسلام من الظلمات إلى النور، وهدي الناس بإذن ربهم إلى صراط مستقيم»[1].

(١) كتابه السابق، ص ١٨٠.

لقد وجد أن طبيعة الإسلام تدعو إلى التوحيد الخالص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾

[الإخلاص١-٤].

ولا تدعو إلى تأليه البشر ولانسبة بنوة النبي إلى الله.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾

[الكهف: ١١٠].

وأعطت الإنسان مركزه الحقيقي وحريته فيما يختار لنفسه من سعادة في الدنيا والآخرة أو من شقاوة يوم لاتغنيه دنياه عن آخرته. ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾[القيامة ١٤]. وأحاط الإنسان بالعلم ورسم له طريق الهداية بالرسول والكتاب. ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾

[البقرة١،٢].

إنه دين الحق الواضح، لقد شرح الله صدره للإسلام﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

[الزمر ٢٢].

☐ إيمانٌ ويقين:

لم يعد هناك ما يمنع من إعلان إسلامه ، فأعلن إسلامه عن قناعة ويقين، أصبح اسمه « محمد فؤاد الهاشمي» ، مُتَسَمِّيًا باسم هذا الرسول العظيم، يقول « وجدتُ الإسلامَ قد أخرج أسرابًا من شبه الجزيرة عاشوا في بيداء الشرك

والوثنية إلى التوحيد الخالص، دون اصطدام مع الفطرة بين واقع الحياة والطبيعة البشرية، مما جعل الإسلام يأخذ بلُبِّي ، ومن واضح أحكامه ونور تعاليمه وصدق رسالته حملني على الإيمان به والتصديق بما جاء به محمد ﷺ، فانْقَدْتُ إليه دون إكراه أو ضغط أو إغراء، وآمنتُ به عن تَعَقُّل وتفكر ودراسة وتمحيص وتطلع ومراجعة وبحث»[1] . وصدق الحق إذا يقول﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾

[آل عمران ، ١٩].

لقد أسلم هذا القس وحسن إسلامه وجهاده بعدما رجحت كفة الإسلام في ميزانه العادل الصادق بعد مقارنة وموازنة بين الأديان، وكان من ثمرات هذه الموازنة والمقارنة هذا الكتاب الرائع لهذا المسلم المجاهد « الأديان في كفة الميزان» إضافة إلى غيره من الكتب فضلًا عن الجهاد والمجاهدة في إعلاء كلمة الله ونصرة دينه ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

* * *

(١) كتابه السابق ص ١٨١.

[١١]
دعاء صادق

(رحمة بورنومو) [إندونيسيا]

❑ بيانات وتاريخ:

اسمي الآن « رحمة بورنومو»، هذا الاسم له تاريخ فما هو؟ ومن أطلقه عليّ ؟ ومتى؟

أَطلقَ عليّ هذا الاسم عمّ لي مسلم من قبيلة مسلمة في جزيرة جاوة تيمُّنًا برسول الإِسلام العظيم، الذي أرسله اللَّه رحمة للعالمين. الذي قال عن نفسه «إِنما أنا الرحمة المهداة». وتيمُّنًا برسالة الإِسلام التي حملت الرحمة والمحبة للجميع، فلعلك تعجب كما أعجب من أسرةٍ بعضها مسلم وبعضها نصراني، لتدرك مدى تأثير التنصير، ونشاطه داخل أندونيسيا وخارجها في تمزيق العلاقات والأواصر بين الناس.

لقد أطلق عمّي عليّ هذا الاسم يوم أن أعلنت إِسلامي، ولكن من هو أبي؟!

إِنه قس نصراني على مذهب «بانتي كوستا»، وهو من المذاهب النصرانية المعروفة في هذه المنطقة، يعمل في مجال التنصير، هو من اصل هولندي ينتمي إِلى فلول الغزاة الذين جاء بهم الغزو الهولندي إِلى أندونيسيا، وقد رحل الغزو إِلى غير رجعة تاركًا خلفه تلك الأُصول والعروق، والوشائج في تلك الدولة الحبيبة التي تتكون من مجموعة كبيرة من الجزر في قلب المحيط ، كأنها عقد من اللآلئ المتألقة.

فمن هو جدي لأبي؟! إِنه قسيس كذلك على مذهب البروتستانت، ورجل

من رجال التنصير الضالعين في مجاله.

ولكن من هي أمي ؟! إنها إندونسية من جزيرة «أمبون» الواقعة في أقصى الشرق من أندونيسيا، كانت تعمل « معلمة إنجيل» للنساء. لعلك تدرك أيها القارئ من أكون؟ ومن أنا عندما كنت نصرانيًا؟!

ولعلّي اختصر لك فأقول : لقد كنت قسًا ورئيس «التنصير» في كنيسة «بيتل إنجيل سبينوا» أحظى بالرفاهية والرخاء، وأنال التبجيل والاحترام.

❑ سؤال ورجل:

في يوم من الأيام أرسلتني قيادة الكنيسة إلى منطقة« دايري» للقيام بأعمال تنصيرية لمدة ثلاث أيام، و«دايري» تبعد عن عاصمة « ميدان» الواقعة في شمال جزيرة سومطرة بضع مئات من الكيلومترات. انتهيت من أعمال التنصير والدعوة، ذهبت إلى دار مسؤول الكنيسة منتظرًا السيارة لكي تقلني إلى مكان عملي، وأثناء ذلك طلع علينا رجل فجأة.

إنه معلم القرآن يطلق عليه «مطوع في الكتّاب»، نحيف الجسم، يرتدي كوفية بيضاء، بالية، خلقة، لباسه باهت اللون ، نعله مرتوق بأسلاك من شدة قِدَمه، بادلني التحية طارحًا هذا السؤال الغريب من نوعه، الفريد في قصده، قائلًا: لقد ذكرت في حديثك أن عيسى المسيح إله فأين دليلك على ألوهيّته؟! قلت له: سواء أكان هناك دليل أم لا فالأمر لا يهمك إن شئت فلتؤمن وإن شئت فلْتكفر!!

فماذا حدث بعد ذلك؟!

أدار الرجل ظهره لي وانصرف. فهل انتهى هذا السؤال عند ذلك الحد؟

عدتُ إلى بيتي وصوت الرجل مازال يجلجل في سمعي، لقد أيقظ في نفسي الرغبة في الوقوف على الرد، دفعني إلى الرجوع إلى كتب الإنجيل بحثًا عن الجواب، ولكن بأي إنجيل أبدأ، إن هناك أربعة أناجيل.. بدأت في دراسة الأناجيل الأربعة.

□ سألت ماذا يقول كل انجيل عن المسيح عيسى ؟

إنجيل متى [١:١] يقول: «إن عيسى المسيح ينتسب إلى إبراهيم وإلى داوود..إلخ». إذن عيسى من بني البشر فهو إنسان.

إنجيل لوقا [٣:١] يقول: «ويملك على بيت يعقوب. إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية».

إنجيل مرقس يقول: « هذه سلسلة من نسب عيسى المسيح ابن الله».

إنجيل يوحنا [١:١] يقول: « في البدء كانت الكلمة، وكانت الكلمة عند الله والمسيح هو الله».

مما سبق يظهر الخلاف والتضارب حول ذات المسيح أهو إنسان؟! أم ملك؟! أم ابن الله؟! أم هو الله؟! مِنْ هذا ظهر سؤال آخر يحتاج إلى نظر وإلى جواب: ماهو المبدأ الأساسي الذي كان يدعو إليه عيسى؟ ! جاء الاعتراف من عيسى بلسانه وعلى يد كتبة الإنجيل في أناجيلهم إنه الوحدانية. فمن هو عيسى؟

إنه بشر ورسول ينادي بوحدانية اللّٰه وتفرده بالألوهية واستحقاقه للعبادة معلنًا ذلك على الملأ: « فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه « أي المسيح» أجابهم حسنًا، سأله أية وصية هي الأولى فأجابه يسوع قائلًا: إن أولي الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل!! الرب إلهنا رب واحد» (مرقس

١٢: ٢٨-٢٩). وقد أُرسِل إِلى بني إِسرائيل خاصة، وليس إِلى الناس عامة: « لم أرسل إِلّا إِلى خراف بيت إِسرائيل الضالة» (متى ١٥: ٢٤).

فماذا يبقى بعد ذلك في داخلي؟!

لقد حدث تناقض صريح بين ما عرفتُ وما رسخ في نفسي منذ الصغر. فمن أصدق إِذن؟! بشرية عيسى[1]، وشهادته بالوحدانية أمْ عقيدة التثليث التي لا يقبلها عقل ولا يقرها دين ولا منطق . ومن هنا تهاوت النصرانية في داخلي، ووقفت «الوحدانية» في الإِسلام شامخة بكل قوة:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾

[الاخلاص].

وهناك نقطة ثالثة من النقاط التي زلزلت النصرانية في داخلي ، تقول : إِن ذنوب بني البشر لا تغفر حتى يصلب عيسى عليه السلام، إِنني فكرت كثيرًا في هذه النقطة ثم سألت نفسي هل هذا صحيح ؟ فكان الجواب الذي لا مفر منه هو: لا وألف لا . لقد بدأت الأباطيل تظهر أمامي باهتة هشّة متهاوية، وثوابت الصدق تنتصب أمامي قوية راسخة. فماذا أصنع؟!

لم يكن أمامي من سبيل سوى أن أضع الإِنجيل والقرآن على المنضدة، وأن أوجّه إِلى كل منهما سؤالًا عن محمد. سألت الإِنجيل أولًا بحكم نصرانيتي عن محمد مخاطبًا إِياه قائلًا: ماذا تعرف عن محمد؟!

فأجابت الأناجيل الأربعة إِن اسم محمد لم يذكر بلفظه، وإِنما ذكر

---

(١) عيسى في الإنجيل بشر، د. ممدوح جاد.

بمسميات أخرى مثل « المعزى، البارقليط..إلخ». وقد سمي به في التوراه صريحًا[١]. فهل يبقى الحق غائبًا عن جميع النصارى في العالم؟!

الجواب: لا. ولكن هناك الإنجيل الوحيد (إنجيل برنابة الإصحاح٧٢) الذي يتضمّن البشري بالاسم محمد، وتقل فيه التحريفات والإضافات، كما أنه يحتوي على بعض الحقائق التي تطابق ما جاء في القرآن الكريم. ويذكر البشارات التي تحمل اسم محمد ﷺ منها: وقتئذ اندرياس(التلميذ) يسأل المسيح: يا معلم. حين يأتي محمد، ما هي علاماته حتى نعرفه؟ فقال المسيح: محمد لا يأتي في عصرنا هذا. وإنما يأتي بعد مئات السنين حين يُحَرّف الإنجيل، والمؤمنون حينئذ لايبلغ عددهم ثلاثين نفرًا، فحينئذ يرسل اللّه سبحانه وتعالى خاتم الأنبياء والمرسلين محمدًا ﷺ. والأغرب من ذلك أن هذا الإنجيل به خمسة وأربعون آية تذكر محمدًا ﷺ أو أكثر من ذلك.

ثم وجهت السؤال إلى القرآن الكريمُ إلى عيسى عليه السلام قائلًا: يا عيسى بن مريم ماذا تعرف عن محمد؟ وقد جاء في القرآن على لسانك؟! فقال : لقد ذكر القرآن بما لا يدع مجالًا للشك أن رسولًا لابد أن يأتي من بعدي أسمه أحمد: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف:٦].

لقد عشت خلال رحلتي من الشك إلى اليقين، تتقاذفني أمواج الشك دون الوصول إلى شاطئ الإيمان الصادق، الدعوات مختلفة. فمرة يدعوني صديقي إلى الكاثوليكية، ويعدد لي مزاياها التي لم أجد مثلها في المذهب البروتستانتي ،

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ص ٨٧.

ولكنني أصطدمت كما اصطدم هذا المذهب بصكوك الغفران وحجرة الغفران ومغفرة البشر للبشر، ويا لها من أكذوبة!؟

ومرة أتعرف على المذهب الذي يسمى «شهود يهوه»، فأسأل رئيسهم عن تعاليم مذهبه قائلًا: من تعبدون؟! قال: الله!! قلت: من هو عيسى المسيح؟ قال: عيسى هو رسول الله. صادف هذا موافقة مني، لما كنت أومن به وأميل إليه. دخلت كنيستهم، فلم أجد فيها صليبًا واحدًا، سألته عن سرّ ذلك فردّ قائلًا: الصليب علامة الكفر. لذلك لم نعلقه في كنائسنا .. أمضيت ثلاثة شهور كاملة أتعلم هذا المذهب، وأتعرف على كل مافيه. وفي نهاية المدة سألت رئيس الكنيسة وكان هولنديًا قائلًا له: إذا مِتُّ على هذا المذهب فأين أذهب؟! أين يكون مصيري؟! فرد قائلًا: تكون كالدخان يذوب في الهواء.. فقلتُ متعجِّبًا: أنا لستُ سيجارة بل أنا إنسان ذو عقل وضمير وقلب. واستمرت الأسئلة والردود.. كانت خزعبلات وأباطيل.

ثم جرّبتُ الديانة البوذية فترة من الزمن وسرعان ما تركتها، ثم انتقلت إلى الهندوسية ومكثت مع أصحابها فترة تعلمت فيها الكثير والكثير، لقد وجدت شبهًا كثيرًا بين رموزها وبين عقيدة التثليت في النصرانية، فهجرتها.

ظللتُ حائرًا أنتقل من مذهب إلى مذهب، ومن ديانة إلى ديانة، رغم اهتزاز النصرانية وتلاشيها رويدًا رويدًا.

قررت في النهاية أن أترك كل الديانات ولم يبق أمامي إلا الإسلام الذي لم أكن أريد اعتناقه لما غُرس في نفسي منذ طفولتي من نفور وبغض وكراهية لهذا الدين الذي لم أكن أعرف عنه إلا الشبهات.

❑ خلوة وتضرع:

وصلتُ إلى حد الضياع والقلق، لم أعد أعرف دينًا ولا مصيرًا، لقد رأيتُ كل شيء هو الكذب وأقرب إلى الكذب، ولكني رأيت حقائق القرآن ناصعةً، تقاوم ما رسب في داخلي منذ طفولتي من شبهات وأباطيل غرسها النصارى من حولي فإلى أي يكون القرار؟

ذات يوم قلت لزوجتي اعتبارًا من هذه الليلة سأخلو إلى نفسي في غرفتي لا أريد أن يزعجني أحد ، إنني عانيتُ طويلًا، ... أريد أن أصِلَ إلى مأمني... أريد أن أصل إلى غايتي... أريد أن أُصلّي... أريد أن أتضرع إلى الله. دخلْت غرفتي رفعتُ يديّ في خضوع وإلحاح ... قائلًا: « يا رب.. إذا كنت موجودًا حقًا فخذْ بناصيتي إلى الهدى والنور، واهدني إلى دينك الحق الذي ارتضيته للناس». لقد داومت على هذا الدعاء طيلة ثمانية شهور تقريبًا، وفي ليلة من شهر رمضان المبارك دعوت اللّٰه دعائي المعتاد، فرغت من الدعاء، ورُحْتُ في نوم عميق فماذا حدث؟!

❑ رؤيا وبرهان:

إنها رؤيا خير فماذا رأيت؟! «رأيت العالم حولي في ظلام دامس، ولم يكن بوسعي أن أرى شيئًا، وإذا بشخص يظهر أمامي، فأمعنتُ النظر فيه، فإذا بنور حبيب يشع منه، يبدّد الظلمة من حولي، تقدم الرجل المبارك نحوي فرأيته يلبس ثوبًا أبيض وعمامة بيضاء، له لحية جعدة الشعر ووجهه باسم لم أرَ قط مثله جمالًا وإشراقًا، لقد خاطبني بصوت حبيب قائلًا: ردّدْ الشهادتين. وما كنت حينئذ أعلم شيئًا عن الشهادتين؟! فقال: قل أشهد أن لا إله إلاّ اللّٰه وأشهد أن محمدًا رسول الله. فكرّرتهما وراءه ثلاث مرات، ثم انصرف عني.

استيقظت من نومي، فوجدتُ جسدي مبللًا بالعرق، سألت أول مسلم قابلته قائلًا: ما هما الشهادتان، وما قيمتهما في الإسلام؟!

فقال : هما الركن الأول في الإسلام، ما أن ينطقهما الرجل حتى يصبح مسلمًا.

سألت عن معناهما، فشرحه لي، سألته عن هذا الرجل الذي رأيته في منامي وكانت ملامحه واضحة، لا تغيب عن ذهني ، وصفتها له، فهتف على الفور قائلًا: لقد رأيت الرسول محمدًا!!

ثم جاءت ليلة عيد الفطر المبارك في هذا العام، سمعت صيحات التكبير والتهليل يردّدها المسلمون في المساجد القريبة من دارنا، يمتلئ بها المكان وتهتز بها جنباته في مشهد إيماني مهيب، اهتز كياني، دمعتْ عيناي شكرًا لله على الهداية والتوفيق.

لقد أعلنت إسلامي لله رب العالمين، مصدقًا بهذا النبي العظيم الذي اختاره اللّٰه ليقوّم به الملة العوجاء، تصديقًا لما جاء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن عبد اللّٰه بن عمر أنه قال: في صفة رسول اللّٰه ﷺ في التوراه «محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر. ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء وأفتح به أعينًا عميا وآذانًا صُمًا وقلوبًا غلفًا حتى يقولوا لا إله إلّا الله»[١].

وقد خيّرت زوجتي بين الإسلام والمسيحية فاختارت الإسلام[٢] فلعلك

(١) «جلاء الأفهام» ابن القيم الجوزية، ص ٩٤.

(٢) «رجال ونساء أسلموا» عرفات كامل العشي ، الحلقة ٨، ص ٨٦.

تعرف عن حكايتها مع الإسلام بعض الشيء حتى تأسف معي. لقد كانت زوجتي في طفولتها مسلمة من عائلة مسلمة، وقعت كغيرها من أبناء جيلها ووطنها في حبائل التنصير وحيله مستجيبة لتلك الإغراءات والألاعيب التي أتقنها المنصرون فتنصرت وهي صغيرة. ثم عادت بفضل الله ومنته والعود أحمد، ثم تبعنا أبناؤنا فاعتنقوا الإسلام وصدق الحقُّ إذ يقول: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾

[لقمان: ٢٢، ٢٣].

* * *

[١٢]
أفريقيا والنصرانية

﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾

[يوسف: ٣٦]

(محمد مونجوزا) (زائير)

اسمي (محمد مونجوزا)(١) أفريقي المولد، ولدت في زائير بأفريقيا، تلقفتني الكنيسة الكاثوليكية منذ صغري ، لتربيتي وإعدادي إِعدادًا خاصًا يتمشى مع أهدافها حول مستقبل القارة وتديّنها، جعلتني أُصنعَ لأتحمل عبء الدعوة إِلى النصرانية كغيري من الدعاة والمنصرين الذين يتوافدون على القارة الأفريقية صباح مساء، بهدف الوصول إِلى غاية المخطط المرسوم لها كي تصبح القارة نصرانية تماما في عام ٢٠٠٠م، فلم يبق في حساب الزمن غير بضع سنوات، فهل تكفي هذه السنوات لتحويلها إِلى قارة نصرانية عن بكرة أبيها؟ وهل تستطيع النصرانية بكل ما تملك من وسائل مادية أن تجتث في طريقها كل العقائد والديانات؟! وعلى رأسها جميعًا أشد الأعداء المناهضين لها والواقفين أمامها وهو الإِسلام؟!

بدأت الأيام في التسارع لتجعلني يومًا بعد يوم أقترب من أهداف الكنيسة وأمانيها، أصبحت قسًا أباشر أعمال التنصير .

❑ منصب وكنيسة:

أصبحت قسيسًا بالكنيسة الكاثوليكية بزائير، كنت مؤثرًا فيمن حولي ،

---

(١) «لا إكراه في الدين»، محمد ناصر الطويل، ص ٦٤.

وكنت قوي الحجة ، دائم الحركة ، أعمل جاهدًا لتحويل الأفارقة، مخاطبًا فيهم طبيعتهم، البسيطة في أفكارها وسجاياها، كما أصبحت ذا باعٍ طويل في العمل التنصيري لا أكلّ ولا أملّ ، أُحوِّل القرى بأكلمها إلى نصرانية، ثم أنتقل إلى غيرها، ذاع صيتي، وأطبقت شهرتي على الآفاق، انهالت الإغراءات والحوافز من كل صوب ، تدفعني إلى مزيد من الحركة والنشاط، فوجدتني أسارع وأسارع في عمل المزيد.

❑ **الأحلام والمؤهلات والدراسة:**

بدأت الأحلام تكبر في رأسي شيئًا فشيئًا، حتى رأيتني أتطلع إلى مزيد من المؤهلات والدراسات ولكن أين تكون ؟! وفي أي بلد؟! تمنيت أن تكون في فرنسا، فأنا أحبها كثيرًا دون غيرها ، أحسست بدافع يدفعني إلى البحث العلمي، ولكن في أي المجالات يكون؟! وعلى أي شيء تنصبُّ الدراسة؟! إنه المقارنة بين النصرانية والإسلام!! لماذا ؟!

لأنه موضوع الساعة وكل ساعة، فالحلبة في أفريقيا يتنافس على الفوز بها كل منهما، وسنة الكون وفطرته أن البقاء للأصلح والأقوى، ولكن من هو الأقوى؟! الإسلام أم النصرانية؟!

سؤال يحتاج إلى إجابة بدقة ووضوح، لا مكان فيه للتحيز أو الهوى، إنه يحتاج إلى تجرد وموضوعية صادقة، وإن كنت لا أُبرئ نفسي من الميل إلى النصرانية ولكن كان لا بد لي من وقفة حاسمة.

❑ **صداقة مؤثرة:**

أنا إنسان أميل بطبعي إلى التعارف والصداقة، أحب الناس ومعاشرة الأصدقاء، كما أحب التزاور وتبادل الأحاديث وطرح المناقشات فهل كل

أصدقائي كانوا من النصارى؟!

بل لقد كان بينهم مسلمون يتحدثون عن الإسلام بما يثير انتباهي، مثل وحدانية الله مدللين على ذلك من القرآن الكريم بآيات عديدة منها ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الاخلاص]

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة١٦٣]

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد ١٦]

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢]

وغيرها.

ولقد أوضحوا أن القرآن الكريم لم يقف عند هذا الحد، ولكنه رد على كل من يقول بغير الوحدانية بحكمة وبلاغة وإقناع في آيات كثيرة منها:

﴿يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف ٣٩،٤٠]

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[النساء: ١٧١] ثم يعلن كفر الذين قالوا بعقيدة التثليث ونادوا بها قائلًا: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا

يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة ٧٣].

هذا إلى جانب حديثهم عن سماحة الإسلام، وما رسمه منهاجًا وخلقًا للمسلم ينبعث عن عقيدته ومنهجه، علاوة عما يملكه الإسلام من تراحم بين الناس وعطف ومودة مستشهدين بتلك الآية ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء ١٠٧]

بالإضافة إلى البسملة التي يُفتتح بها القرآن في كل سورة وما تتضمنه من صفات الرحمة، كل ذلك وغيره جعلني أميل إلى قراءة القرآن والاطلاع عليه، ولكن من أين لي به؟!

❑ الحصول على المصحف:

بدأت أفكر في الحصول على القرآن لكي اصطحبه معي في تلك الرحلة حتى أتمكن من الاطلاع عليه بهدوء وتدبر وتركيز من أجل ما فيه.

قبل الرحيل إلى فرنسا بفترة وجيزة رأيت القرآن في يد أحد المسلمين، طلبته منه فأعطانيه بكل ودّ وطيب خاطر، فكأنه بفراسة المؤمن استشرف هدايتي وإسلامي.

سافرت إلى فرنسا وأنا أحمل معي ذلك الكنز الثمين. بدأت رحلتي مع البحث والتنقيب، فكلما ازددت بحثًا ازدادت أنوار الهداية في داخلي، لقد أصبحت على بعد خطوات من أعظم قرار في حياتي، وها أنا ذا أتقدم إلى منظمة الدعوة الإسلامية في فرنسا لتسجيل إسلامي رسميًا :

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا

يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون ١١٦-١١٨].

❑ انتظار في شوق ولهفة:

يا إِلهي لقد كانت الكنيسة في زائير تنتظرني في شوق ولهفة، وكانت هيئات التنصير تعد العدة لاستقبالي والاحتفاء بي كفارس من فرسانها المعدودين، ولكن خاب ظن الجميع. غضب بابا الفاتيكان واشتد غيظه ، وهاجت كل الأوساط الكنسية لذلك، وكان الرد عنيفًا فقد أخذوا مني كل ما منحوه لي من منزل وسيارة ومال ومتاع وأشياء ، وبدأت سلسلة المضايقات والمتاعب، ولكن كان إِيماني بالله قويًا وصبري كان أعظم من كل ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾﴾ [محمد:٧:٨].

* * *

[١٣]
لا تناقض في القرآن

جمال زكريا (مصر)

❑ بلد ونشأة:

نشأت في رحاب القاهرة.. مدينة الأضواء والمآذن .. مدينة التاريخ والضجيج.. أحمل بين جوانحي تلك الطبيعة المصرية الطيبة، أحب مصر وأحب الناس، أرتبط بالأرض التي نشأت على ثراها، أحس بالنيل كأنه يجري في شرايين دمائي، كأنني ابن مصر وحدي، وكأن مصر معشوقتي وحدي دون غيري. تلك هي الطبيعة التي تسيطر على المصريين جميعًا ، كنت أسأل نفسي دائمًا: لماذا هذا الحب الدافق والارتباط بالأرض والناس؟!

فعرفت عجبًا. لقد كانت أقدم حرفة نشأت في مصر هي الزراعة. وهي في معناها الواسع الارتباط بالأرض والماء، وقد كان ذلك نتيجة حتمية لوجود هذا النهر العظيم، فالتف الناس حول الماء على ضفاف النهر، مصدر الخير والنماء، فأصبح هذا النهر كأنه الرباط القوي الذي يربط بين أبناء هذا الوادي ويضمهم في حنان ورفق، فمهما شرّق المصريون أو غرّبوا فلن ينقطع حنينهم إِلى التراب والأرض والنهر والتاريخ والناس، لذلك كان ارتباطهم بالوطن الأم قويّا وعميقًا في نفوسهم .

❑ حنيني الخاص:

ولكنني كنت كغيري من النصارى أحن أن تعود مصر إِلى النصرانية كما كانت قبل الفتح الإِسلامي حسب تلك المقولة التي يتناقلها أبناء ديني : « لقد

دخل الإسلام إلى مصر غازيًا ولم يدخلها فاتحًا مخلِّصًا المصريين القبط من نير الرومان وقهرهم. كما يزعم المسلمون» وبرغم أن شواهد التاريخ والأحداث والناس تؤكد عكس ذلك ، فكم تمنيت أن تعود مصر إلى النصرانية، وكم عشت أحلم بذلك وأتمناه.

❑ وظيفة ونجاح ومهمة:

تقدمت بي الأيام إلى حيث يريد اللَّه لي، أحببت الوظائف الكنسية، عُيِّنتُ مساعد شماس، تفانيت في العمل، عن حب وطيب خاطر، استعجلت الأيام في التقدم والرقي، تمت ترقيتي إلى شماس. هل أقنع بذلك أو أركن إليه؟!

بل جاهدتُ من أجل التقدم مرة أخرى.

حتى أصبحت مسؤولًا عن لجنة الشباب بكبرى الكنائس في مصر كلها ، ومن ثم في أفريقيا والعالم، فما سبب هذه الترقية وما الهدف من ورائها؟!

إنها دفعة قوية إلى الأمام لخدمة الكنيسة وأهدافها، بل دفعة لخدمة النصرانية العالمية ومالها من هيئات وأهداف، وتحقيق ما يهمها في مصر وفي غيرها من القارة الأفريقية، علاوة على أنها دفعة قوية للبحث والتقصي. ولكن في أي مجال يكون البحث وما الفائدة من ورائه؟!

❑ سائق ومهمة

لم يكن عملي قاصرًا على تلك الوظيفة الكنسية، ولكن كان لا بد من وظيفة أخرى وعمل آخر، يساعد على الحركة والانتشار، كما يساعد على صقل المعارف والأفكار، إلى جانب مد خيوط الصداقة وبث أحابيل الخدع وشوارد الأخبار والأفكار، كما يساعد على الوقوف على ما يدور داخل المجتمع وخارجه، فمجال العمل داخل الكنيسة فقط تقوقع مرفوض، ولكن

طبيعة هذا العمل تحتاج إلى مزيد من الحركة ومزيد من المعرفة لكل ما يدور داخل المجتمع وبين أفراده، مع مسايرة العصر في الدعوة إلى النصرانية رغم ما تلاقيه من رفض في المجتمع المسلم، رغم ما ينفق في سبيلها من أموال بالمليارات، وما يحاك لها من خدع وحيل ومؤامرات .

فما هو العمل الآخر الذي يتناسب معي وأناسبه إذن؟

إنه عمل سائق فهو يتناسب مع استعدادي وقدراتي ويتلاءم مع ظروف الحركة والنشاط، اذ عملت سائقًا في جريدة «الجمهورية والمساء» بحي التوفيقية بالقاهرة، قريبًا من الشارع المصري الذي يموج بالحركة والزحام والنشاط، أعيش في جوّ الخبر والتحقيق والحدث والصورة، أقترب من الأحداث والتطورات، أحضر المناسبات والاحتفالات، أعايش المجتمع بكل ماله وما عليه.

كنت أتنقل من مكان إلى مكان، أجوب الأحياء والشوارع، أسعى إلى الخبر، أحمل معي الصحفيين الذين يرتبطون بالخبر والصورة ، والتحقيق والحدث، فهل نسيت مهمتي الكنسية التي كلّفتُ بها؟!...

البحث في سور القرآن: كلّفت بالبحث في القرآن عن السور التي يمكن بشيء من الحيلة إساءة فهمها بحيث تبدو متعارضة، يا إلهي !! فبأي السور أبدأ كي أحقق رغبتي ورغبة من حولي؟!

إنها سورة «مريم» بكل ما فيها من حقائق ومعلومات التى تهدم أخطر القضايا في النصرانية، وهي قضية إدعاء ألوهية عيسى وبنوته لله، جاءت في القرآن على لسان عيسى عندما أنطقه اللّٰه في المهد، شاهدًا على عبوديته لله ونبوّته، وعبادته لله الواحد الأحد مصوّرًا ذلك في أصدق صورة وأبلغ برهانٍ

﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم ٣٠-٣٣] ثم يعقب القرآن بعد ذلك قائلًا ودامغًا ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [مريم ٣٤-٣٧].

لم أضيع لحظة واحدة من أجل هذا البحث حتى في ساعات عملي الرسمي. وكنت أثناء القيام بعملي كسائق أدير الشريط الذي يحمل تسجيل سورة «مريم». وكان يركب معي في السيارة بعض المصورين والصحفيين المسلمين المكلفين ببعض المهام الصحفية. فيا للعجب!! هم يظنون أنها مجاملة رقيقة مني لهم!!، وأنا أضمر في داخلي الغرض من وراء سماع الشريط ألا وهو كشف التناقضات مهما كان الثمن!!

فما هي التناقضات التي حصلتُ عليها بعد عام كامل من البحث والتقصي؟! وأين حصيلة هذا البحث؟!

لقد أمضيت سنة كاملة دون أن أكتشف شيئًا متناقضًا في القرآن، خابت ظنوني، في الوصول إلى مطلبي، ثار في نفسي سؤال ؟ إذا كان القرآن لا يوجد به تناقض فأين التناقض إذن؟ وما هو الحل إذن؟

الحل هو أن اعلنتُ في أحد الاجتماعات في الكنيسة عن ذلك قائلًا: لم

أجد في سور القرآن متناقضات، خاب ظنهم فيّ جميعًا، عمّ الاجتماع عدم الرضا، بدأ الشك يتسرب في نفوسهم تجاهي، كما تسرب الشك إلى نفسي قبلهم، طلبوا مني أن أكف عن البحث والتقصي.

❑ الشك ونتائجه:

ولكن هذا الشك الذي تسرب إلى نفسي متى بدأ؟

لقد بدأ الشك في نفسي مواكبًا تلك الثقة الكبيرة التي منحني إياها القساوسة والرهبان، وزاد اهتمامهم بي وبأخباري. لكن الشك بدأ ينمو بسرعة فائقة، كأنه النار تسري في الهشيم، فهل غاب ذلك عن زوجتي التي عاشت بالقرب مني، تعرف أكثر من غيرها عني؟ يالها من مفاجأة للجميع، لقد أرسلت زوجتي إلى القسس والرهبان تستصرخ بهم، وتطلب منهم عمل الكثير والكثير من أجل إنقاذي قائلة لهم : انقذوا زوجي!! «جمال زكريا».

❑ رحلة ووصول:

كبر الشك في داخلي، ازداد قلق الناس من حولي، حاولت أن أجد لذلك حلًا وتفسيرًا، بدأت رحلة القراءة والبحث عن الحقيقة ولكن لمن أقرأ؟!

قرأت لأحمد ديدات، والدكتور إبراهيم خليل أحمد[1]، والدكتور عبد الجليل شلبي، استمرت القراءة في طريق المعرفة والوصول إلى الحقيقة، حتى حانت ساعة الخلاص والوصول إلى دين التوحيد الخالص والرسالة الخاتمة، كان ذلك في أمسية من الأمسيات المباركة، التي توّجتها بإسلامي لله رب العالمين.

فماذا حدث في تلك الأمسية؟! ذهبت مع أحد الصحفيين وأحد المصورين إلى

(١) قصــة هدايته في هذا الكتاب.

المساجد في القاهرة لتغطية تلك المناسبة الطيبة التي تدل على التعاون والعطف والتكافل والبر داخل المجتمع المسلم، فما هي تلك المناسبة الفاصلة في حياتي؟!

إنها توزيع اللحوم على الفقراء والمحتاجين، بدأ المحرر والمصور كلاهما في مزاولة عمله، ظللت جالسًا مكاني في السيارة، منتظرًا انتهاء المناسبة، تاقت نفسي إلى «المصحف الشريف» الموجود أمامي في السيارة، امتدت يدي نحوه في خشوع ورهبة، قمتُ بفتحه على الفور. يا إلهي!! لقد وقعت عيناي على تلك الآية الكريمة: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص:٥٦] اهتزت يداي، انتابتني رعشة، تحركت صفحات « المصحف الشريف» مرة أخرى ، مضت برهة، وضعت عيناي على المصحف مرة أخرى، فإذا بالآية نفسها، فانطلقتْ من داخلي كلمة «الحمد لله» ، نطق بها جسدي كله، سيطرت على نفسي إشراقات النور والإيمان، وفي نفس اللحظة اقتربت مني عجوز مسنة، طرقت زجاج السيارة التي أجلس بها.. قائلة لي : أنتم الصحافة وسيسمعون كلامكم أليس كذلك؟.. لم أنبس ببنت شفة، واصلتْ كلامها، قائلة: قلْ لهم يعطوني أوّلًا فأنا أستحق أكثر من كل هؤلاء!!

سألتها مستغربًا عن سبب هذا التميز والاستحقاق فجاءني الرد حاسمًا، انتفض قلبي عندما قالت: «كنت نصرانية وهداني ربي للإسلام فقاطعني أهلي جميعًا»!!

«نزلت من السيارة مسرعًا ودخلت المسجد فاستحممتُ وتوضأت وصليت المغرب لأول مرة في حياتي»[1]

(١) جريدة «المسلمون» العدد ٣٥٤.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ
ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

[الإسراء الآيتان ٨١،٨٢]

* * *

[١٤]
هدية آسرة

(أحمد وليد) (مصر)

❑ نابغة وعقل :

نعم اللَّه لا تحصى ، وفضله لا ينسى، ومدده لا ينقطع ولا ينفد، فقد يولد الإنسان وهو يحمل بين جوانحه نبوغًا ألمعيًّا وذكاءً حادًّا ربما يكون ذلك خيرًا له أو شرًا عليه.

كنت نابغة في صغري ومن القلائل المعدودين بين أقراني ، يُنظر إِليَّ بعين الحسد على ما أنا فيه من نبوغ وتقدم.

شببت أزداد فهمًا للنصرانية وعمقًا فيها، اختارني من حولي لكي أكون قسيسًا، فقد توقعوا لي الرفعة والتقدم، أحسست في داخلي ميلًا لدراسة الرياضيات وشغفًا بها، فقد كنت توّاقًا إِلى إِشباع نهمي العقلي والرياضي، أنهيت مراحل تعليمي الواحدة تلو الأخرى.

كانت دراسة الهندسة الكهربائية تستهوينى، حصلت على شهادة عالية في الهندسة الكهربائية، لكنني صرت قسيسًا أعيش داخل الكنيسة بعد ذلك.

❑ ابتعاد ظاهر:

غمرتني موجة من الكراهية والبغض للكنيسة، أرغمتني على تركها بلا سبب واضح، تألم كل من حولي بسبب هذا الترك ، اشتعلت نار الخوف والقلق في أسرتي، سألوني بإِلحاح شديد وقلق شديد .. لماذا تترك الكنيسة وأنت قس مشهور، مشهود لك بالبراعة؟ تعلّلت بميلي للعمل كمهندس وعدم

تفرغي للعمل بالكنيسة..

نقموا عليّ ذلك وأسرفوا في إقناعي وردي عن ذلك بكل الحجج والإغراءات، ولكنها إرادة الله ، فكلما زادوا في الإلحاح زدْتُ إصرارًا واستمساكًا بالرفض، أدركتني عناية الله ورحمته، فسهّل لي التعاقد مع شركة كهرباء في السعودية، سارعت بالقبول والموافقة.

❑ رغبة صادفت هوى:

حضرت إلى العمل في شركة كهرباء القصيم كمهندس كهربائي، أحمل بين جوانحي رغبة في معرفة كل شيء عن الإسلام والمسلمين، لفتت نظري بعض القيم الإسلامية الأصيلة في هذا المجتمع المسلم، بدأت رحلتي مع النقاش والتساؤل، أمطرتُ بعض الأصدقاء بالإسئلة والاستفسارات فزادوني علمًا ومعرفة، فتحوا أمامي أبواب الفهم والمقارنة، زوّدوني بكل ما أحتاج إليه من كتب ونشرات، أحسست براحة وجدانية غامرة، بدأت أتردد على مركز الجاليات في «بريدة» لأزداد معرفة وعلمًا بالإسلام . وكان قد رسخ في نفسي كثير من معاني السمو والعطف والرحمة بسبب «قصة حدثت معي ملأت داخلي إيماءات وإشراقات».

❑ الأخوة في الأنسانية:

ذات يوم من أيام الشتاء القارس ، كنت أتلوّى من شدة البرد ، لم يكن عليّ من الثياب ما يحميني ، كما لم يكن معي ما يساعدني على أن أقي جسدي . رآني مسلم أعرفه ولا يعرفني، أتألم من شدة البرد تحركت في داخله كوامن العطف والرحمة، وفيوض الشفقة والمحبة لبني البشر، لم يمنعه ما بيننا من اختلاف في الدين من العطف والشفقة فأحضر لي «جاكيتا» جديدًا، في أدب

جم، وابتسامة صادقة، سألته متعجبًا أهذا لي؟

أجاب قائلًا: هو هدية لك من أخيك!!

ثارت في نفسي علامات استفهام وتعجّب عن تلك الرحمة الغامرة، والتسامح النبيل، والأخوة الصادقة، جعلتني أدرك أن الإسلام الذي ربى هذا المسلم هو دين اللَّه الخالد، وصدق الحق إذ يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء : ١٠٧].

❑ إعلان إسلامي:

سارعت بإعلان إسلامي في مركز الجاليات في «بريدة» وقد منّ اللَّه عليّ بتلك الحياة الهادئة الآمنة المستقرة فأصبح اسمي الآن «أحمد وليد» تيمنًا باسم الرسول الكريم الذي بشر به عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف : ٦].

* * *

[١٥]
صداقة رائدة

عبد الرحيم المورتيني (الفلبين)

❑ كيف دخل الإسلام الفلبين؟

دخل الإسلام إلى الفلبين منذ ستة قرون على يد رجلين أحدهما عربي«كريم المخدوم» يمارس التجارة والطب، والآخر أمير أندونيسي يدعي« الراجابا جونيدا». كان أميرًا لبلدة «ميتا بخكاياو» في وسط جزيرة سومطرة، فلم يدخلها الإسلام على يد حملات مكثفة ومنظمة، أو تحت دعاوى وشعارات مغلفة وملفقة، ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف الآية ١٩].

وعلى الرغم من ذلك ظل الإسلام ثابتًا وصامدًا في وجه كل باطل ، ولكن هل يبقى هذا الواقع ساكنًا وكل في طريقه؟!

لا إنها حرب بين الجبهة الإسلامية التي لا تملك غير دينها وصمودها ورقعة أرضها التي تعيش عليها ويحاول المعسكر الآخر إخراجها منها بكل قوة وعنف . وبين معسكر النصرانية المدّعم بالحكم والسلطة والسلاح والقوة والتأييد من قبل النصرانية العالمية..إلخ

ولكن: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف ٨،٩].

هذا هو واقع وطني؟!

❑ فما حقيقة أمري؟

اسمي الآن «عبد الرحيم موريتني» فليبيني المولد والوطن، كنت أعمل مساعد قسيس في بلدي ، نعم إنها وظيفة مغرية ، تحاط بعناية ورعاية، كما تحاط بنظرات ثاقبة من قبل من هم أعلى مني. وبنظرات المراقبة ممن هم دوني. فالحصار محكم وممتد، والرعاية شديدة وضافية فكلاهما حجاب كثيف يمنع عن العين الرؤية وعن الأذن السمع وعن العقل التدبر والتفكر.

❑ الشك والأسئلة

ورغم تلك الظروف التي عشتها، إلّا أنني لم أكن على قناعة ذاتية بهذا العمل... لماذا؟!

بسبب هذا الشك الذي تولد في داخلي حول الأسس التي تقوم عليها النصرانية؟!

إن هذا الشك كان يهاجمني دائمًا عندما أخلو إلى نفسي ، طارحًا في وجهي هذه الأسئلة التي تحتاج إلى جواب مقنع.

كيف يكون الإله ثلاثة في واحد؟ أو واحد في ثلاثة؟!

فأي تصور يمكن أن يفسر لنا هذا التداخل وأن يميزه؟!

وأي منطق يستطيع أن يحدد معالم كل واحد من هذه الثلاثة حيث إنه قائم بذاته غير منفصل عمن سواه؟! وما هي هذه الأقانيم الثلاثة؟!

ومن يضمن الانسجام والتوافق بينهم وعدم التضارب والتضاد في الذوات والصفات بين الأب وبين الابن وبين الروح القدس؟!

ومن الذي يستطيع أن يحصر وظيفة كل واحد من هذه الثلاثة، ويحدد معالمه وصفاته، من تلك الشروح والتحليلات والتأويلات والتفسيرات وأن يوفّق بينها ؟

فبعضهم يُصرُّ على أنها أعماق إلهية وأسرار سماوية لا يجوز الخوض فيها وتفكيكها وتحليلها[1]، بينما يُصِرُّ غيرهم على أنهم ثلاث شخصيات متميزة غير منفصلة فائقة التصور.[2] أي أنهم ثلاث شخصيات متميزة متشابكة متساوية؟ ثم بعد ذلك هي فائقة التصور، فأي تصور هذا؟! وأي تميز لتلك الشخصيات المتشابكة وأي اتصال بينها؟! وكيف نفصل بين هذه الثلاثة؟!

.... سيل جارف من هذه الأسئلة حول هذا الموضوع ، وهناك سؤال آخر هو : كيف نصدق أن عيسى بن مريم قد صُلب فداءً لخطايا البشرية منذ أن صُلب وحتى تقوم الساعة؟!

وهل يعقل ذلك وبينهم العصاة المجرمون، وغير النصارى، ومن لا دين لهم، ومن لا يعترفون بدين؟!

وهل يجوز عقلًا أن يفتدي عيسى من لا يؤمن به ولا برسالته ولا بأي دين؟ وكيف يكون ذلك؟ وكيف يستساغ عقلًا ونقلًا؟! وكيف يمكن لإله أن يصلب وأن يقع عليه الصلب وتصبح ألوهيته عاجزة عن الدفاع عن نفسها؟ بل عاجزة عن حماية قداستها واحترامها وكرامتها؟! مع العلم بأن الإله يملك العفو والصفح والمغفرة دون اللجوء لمثل هذا وغيره؟! وكيف يكون إلها وقد صُلب ولم يملك الدفاع عن نفسه؟! وكيف يمكن لي ولأمثالي أن نعبد هذا الإله كما

(١) كتاب «سر الأزل»، للقس توفيق جيد، ص ٥٩.

(٢) كتاب «عقيدة التثليث»، ياسين منصور، ص ١٥٦.

علمنا القساوسة رغم كل ذلك ؟

وهناك سؤال آخر أثار دهشتي كما شدني إلى الإسلام شدًّا وهو:

كيف يضفي القرآن الكريم هذا التكريم على عيسى بن مريم وعلى أمّه مريم البتول رغم تلك الادعاءات والمفتريات التي يروجها النصارى على نبي الإسلام وعلى الإسلام؟!

وهل هذه بتلك؟! وهل هذا موقف أهل دين تجاه دين آخر ونبي دين آخر ؟! وهل هذه هي حرية التدين والاعتقاد؟ وهل هذا يليق بأنصار دين تجاه دين وكتاب وأنصار دين يكرِّمون نبيهم ويبجلُّونه ويحترمونه؟

هذه الأسئلة وما تجمع حولها من أسئلة واستفسارات جعلتني أصل قانعًا إلى وقفة مع النصرانية.

❑ وقفة عمل:

طالت رحلة الشك، وتدفقت الأسئلة والاستفسارات على عقلي حتى شاء اللّه لي أن أحضر إلى السعودية موظفًا في الخطوط الجوية السعودية ، بدأت معاملتي مع الناس من حولي، تعرفت على بعض الناس، كما هي طبيعة البشر وعاداتهم، كان من بين من عرفتهم شاب سعودي مسلم، أظهر لي جانبًا هامًا من جوانب الإسلام، كان نعم الصديق، ساعدني أكبر مساعدة كنت أتمناها للوصول إلى الحقيقة والخروج من الشك الذي عشت فيه ردحًا طويلًا من الزمن، لقد فاتحته عن كل شكوكي التي كانت تراودني حول النصرانية، وقد أهداني كتابين باللغة الإنجليزية يشرحان الإسلام كعقيدة ومنهاج حياة، لقد قرأتهما مرارًا وتكرارًا، وقد أحسست أنني وجدت ضالتي التي أبحث عنها منذ أمد طويل.

لقد وجدت كل شيء واضحًا تمام الوضوح، فتهاوت النصرانية في داخلي، فأعلنت إسلامي لله رب العالمين مصدقًا برسوله الكريم الذي أعلن وحدانية الله مُقِرًّا ببشريته ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

* * *

(كتاب سر إسلام)

[١٦]
مقارنة آتت ثمارها!!

(عبدالله ـ أدولفو لويس) (البرازيل)

□ نداء الفطرة:

الإنسان بطبيعته يميل إلى العلم والمعرفة، يسعى إليهما في كل مكان، يحاول الحصول عليهما بأي وسيلة، ناهيك عن رجل يحب الاطلاع، ويهوى القراءة والمراجعة، يبحث عن المعرفة أنّى وجدها، ويستخدم كل الوسائل التي تصله بالعلم من حوله، وتجعله يعيش عصره مع الأحياء والناس، مستخدما كل حواسه، المهم أن يعرف وأن يفكر، وأن يتعلم ويتدبر، حتى يصل إلى ضالته المنشودة، ناهيك عن رجل يهوى الاستماع إلى المذياع، ذلك الوسيط الناجح في نقل المعارف والعلوم، وتنمية الأفكار والاتجاهات.

ذات يوم دفعته الرغبة إلى سماع المذياع، حرك مؤشره ليبحث عن الأفضل، جاءه المؤشر بذلك البرنامج العجيب «صوت الإسلام» ـ ماذا؟! برنامج اسمه «صوت الإسلام»؟ وفي أي بلد؟! إنه في البرازيل؟!

ولكن كيف يمكنه الاستماع لهذا البرنامج؟! وهو نصراني قُح تدرج في عمله الكنسي حتى وصل إلى رتبة مساعد قسيس على مستوى المحافظة.

ولكن ما الذي يمنع؟

ومن هو مقدم هذا البرنامج؟! إنه مسلم يدعى «ممتاز».

ولكن ما حقيقة هذا البرنامج وما هي مادته؟!

فليكن الاستماع لهذا البرنامج للوقوف على حقيقته وهدفه، بدأ الاستماع في إنصاف وانتباه. يا لها من مفاجأة إن هذا البرنامج يعقد «مقارنة بين الإسلام والنصرانية». يدلل فيها بأرقام السور والآيات من القرآن، مع ما يقابلها من إصحاحات وآيات من الإنجيل، في براعة ودقة، تتسم بالصدق والموضوعية.

تحركت في نفسه دوافع البحث والتدقيق، تغذى في داخله حب الاستطلاع والمعرفة، وتحرك في نفسه كوامن التقصي والوقوف على الحقائق، رجع إلى القرآن والإنجيل، درسهما بنفسه ليتبين وجه الصدق فيما قاله هذا المذيع.

حرص على أن يستمع لهذا البرنامج دائما بعد أن تأكد من صدق مقارنته ودقتها ووضوحها. بدأت تتحرك في داخله خيوط الصلة بين المذيع وبينه. اتصل هاتفيًا عن طريق الرقم المقدم من خلال البرنامج، جاء اللقاء بينهما وقام النقاش واتصل، ولكن سرعان ما انقطعت الصلة بينهما!! لكن بذور الشك بدأت تنمو بسرعة في داخله، ساعدتها بعض الأوضاع والأمور التي كانت تجري داخل الكنيسة، وقد زلزلت قناعته وعقيدته النصرانية، وتحرك الدافع الفطري بقوة، واتصل مرة أخرى بالمذيع «ممتاز»، لقد أحسّ بشيء في داخله يدفعه للإسلام، وقد وجهه الأخ ممتاز إلى مركز الدعوة الإسلامية في أمريكا اللاتينية.

ولنترك هذا المسلم ليحدثنا عن قصة إسلامه بلسانه قائلًا:

«قصتي مع الإسلام طويلة أوجزها بما يلي: أنا إنسان أحب الإطلاع، أحب المعرفة، لهذا كنت أسمع المذياع كثيرًا، وفي أحد الأيام بينما كنت أبحث في المذياع عن محطة سمعتُ برنامجًا اسمه «صوت الإسلام» في البرازيل، وكان مقدم البرنامج السيد «ممتاز» يعقد مقارنة بين الإسلام والمسيحية، ويدلل في

ذلك بأرقام الآيات سواء من الإنجيل أو القرآن. فبدأت رحلة البحث عن الحقيقة بنفسي، ووجدت أن ما قاله المذيع كان صحيحًا.

فبدأت بعدها أستمع باستمرار للبرنامج ثم اتصلت بالأخ «ممتاز» عن طريق الهاتف المقدم من خلال البرنامج والتقيت به وتناقشنا في الموضوع ثم انقطعت العلاقة بيننا حتى أواخر عام ١٩٩٣م. وخلال هذه المدة صرت مساعد القسيس على مستوى المحافظة.

لكنني لم أكن أقبل بالأمور التي تجري داخل الكنيسة لأنني غير مقتنع بها. وفجأة عدت ثانية واتصلت بالأخ ممتاز بعد أن أحسست بشيء بداخلي يدفعني إلى الإسلام»[1].

❏ لحظة الخلاص

حانت لحظة الخلاص، انطلق الإسلام من داخله، توجه إلى مركز الدعوة الإسلامية في أمريكا اللاتينية، مكث ثمانية أيام انتظارًا للحظة الحاسمة، انطلقت من داخله «أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا رسول اللّٰه، أصبح اسمه الجديد «عبدالله». ودّع النصرانية، خلع عنه الاسم القديم «أودلفو لويس»، لقد صار عبداللّٰه الواحد الأحد، يدين له بالعبودية، ويقر له بالألوهية والربوبية.

❏ ثمرة خبرة:

من خلال الخبرة والممارسة للعمل الكنسي التي عاشها ذلك الرجل، فانه صار يرسم طريق دعوة الرهبان والقسس إلى الإسلام محددًا أفضل الوسائل وأنجح السبل قائلًا: «رسالة الإسلام رسالة عالمية لكل بني البشر، وأما بالنسبة للقساوسة والرهبان عامة، فإن علينا أن نوصل هذه الرسالة إليهم. وأنا بنفسي

(١) مجلة الخيرية، العدد: ٥٢، ص ٥٠.

بدأت هذا حيث نشرت مقالًا في جريدة مكة باللغة البرتغالية، وبعثت به لكثير من الرهبان ممن أعرفهم وبرأيي. ويجب التركيز على المقارنة بين الإنجيل والقرآن، ولكن الأهم هو تبليغ الرسالة إليهم.

ومن الضروري نشر ترجمة معاني القرآن بالبرتغالية. وهذه مهمة جدًا ونعاني من نقص نسخها، والترجمة موجودة وموثوق بها هي ترجمة «سمير الحايك». وهناك دعوة لإعادة طباعتها مع إضافة بعض الحواشي»(١).

❑ أماني وأحلام:

فلنتعرف على الأماني التي يرغبها هذا المسلم ويصرّح بها:

أولًا: أتمنى أن أتعلم اللغة العربية حتى أتعرف على الإسلام بلغته الأصلية وأخدم بذلك مجال عملي بالدعوة.

ثانيًا: الإسلام هو الطريق السوي للانسان في هذه الدنيا. وهو دين التوحيد والرحمة والمودة. والمسلمون يحتاجون لأن يكونوا مسلمين قولًا وعملًا وسلوكًا وحركة.

ثالثًا: الإسلام يحتاج إلى الدعوة إليه في كل مكان واغتنام الفرص في ذلك. فأنا «أينما ذهبت أدعو إليه. في السوق. في البنك. في الزيارات. في كل مكان». فأينما أجد رجلًا متعلمًا أتكلم معه، وأهديه بعض الكتب عن الإسلام ورسالته. فهل لنا جميعًا أن نفعل ذلك ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل١٢٥].

* * *

(١) نفس المرجع ص ٥٠- ٥١.

[١٧]
عقد سعيد

«عيسى عبدالملك ـ توماس سلبتا» (الفلبين)

غاية وأمل

تتولد أحلام الإنسان في داخله منذ طفولته الحالمة، ويظل بريق الحلم يخلب أنظار البشر حتى يصلوا إلى تحقيق أحلامهم وأمانيهم، ومن ثم تكون عمارة الكون واستمرارية الحياة. وقد تكبر هذه الأحلام حتى تصل إلى درجة الخيال المستحيل. وقد تتواضع حتى تصل إلى مطلب هافت صغير. ولكن الطموح والرغبة قد يصلا بالحلم والأمنية إلى نوع من العزم والإصرار والتحدي تهون من أجله كل المتاعب والعقبات.

فربما يتأخر الحلم والأمل في التحقيق، أو يضيق في الوصول إليه الطريق. فهل يضيع الحلم أو يتلاشى مع الأيام؟! الجواب لا.

دعني أفصح لك عن الحلم والأمل، اسمي «توماس سلبتا» فلبيني المولد، نصراني التدين والاعتقاد، ولدت لأبوين يحبان النصرانية كحبهم أنفسهم أو أكثر. لذلك نشأتُ وأنا أحمل بين جوانحي حب النصرانية، والالتزام بها قلبًا وقالبًا، حتى سيطر على خيالي أن أكون قسًا أحظى بكل هالات الاحترام والتقدير، وأكون موضع عناية وتعظيم من كل هؤلاء السذج البسطاء الذين لا يرون إلا احترام القسس وتقبيل أيديهم لينالوا البركات والتشريفات.

لكن الأيام سارت في تعليمي وتأهيلي إلى غير ما أريد، فقد حصلت على شهادة فوق الجامعية تفتح أمامي أبواب العمل. فقد حصلت على الماجستير في

إدارة الأعمال من إحدى جامعات الفلبين، ولكن هل تحقق حلمي المرغوب؟!

لا.. لم يتحقق حلمي الذي ظللت أحلم به في طفولتي، وأسعى إليه في شبابي وفتوتي. فلماذا أتوانى في تحقيق حلمي وحلم كل من حولي وحلم أبواي كذلك؟!

❑ سفر إلى غاية:

ظل حلمي القديم يراودني ويكبر معي فأردت أن أحقق رغبتي العارمة في أن أكون قسيسًا، كما تمنيت من قديم. ورحلت إلى بلجيكا لإعداد دراسات متخصصة حول النصرانية في إحدى المعاهد التي تؤهل دارسيها للعمل في وظيفة قسيس في إحدى الكنائس. أتممت دراستي بجد واجتهاد، لأنها وافقت رغبة وهوى في نفسي، فكانت مدتها كالبرق الخاطف، كنت متعجلًا الأيام والليالي، ولكن هل تظل الأمور على ما يرام؟! الجواب لا!!

بعد عامين فقط من إنهاء دراستي في هذا المعهد المسؤول عن إعدادي وتأهيلي، ومع حصولي على المنصب المرموق، والإغراءات الخلابة التي تحجب عن كثير من أمثالي الحقيقة الماثلة أمام الجميع، وتجعلهم يبيعون الآجل بالعاجل بثمن بخس، وبعد رحلة طويلة في دراسة الأناجيل، تسرب داخلي الشك العميق حول أخطر قضايا النصرانية، رأيتني أُصاب بالإحباط والضجر، وكنت أخلو إلى نفسي مفكرًا في تلك القضايا.

❑ قضية التثليث وما السر وراء ذلك؟!

لجأتُ كثيرًا إلى كل القساوسة الذين أعرفهم أو لا أعرفهم محاولًا حل هذا اللغز، وظل السؤال يلح عليّ من داخلي. كيف يكون عيسى إلها وابن إله؟! وإذا كان كذلك فلماذا أكدت الأناجيل في نصوصها ومن جهة كُتَّابها على

بشريته؟! وإذا كان عيسى إلها وابن إله فلماذا يصلي في جبل الزيتون؟! ولمن يصلي وهو إله وابن إله؟! أيُصلي لنفسه أو لغيره؟! وكيف يكون ذلك إذن؟! وإذا كان عيسى إلهًا وابن إله، فلماذا كانت أمه من البشر؟! ولماذا يتبع عيسى ألوهية أبيه ولم يتبع بشرية أمه؟! وهل يوجد تساوٍ بين ألوهية الأب وألوهية الابن؟! وإذا اجتمعت في عروقه ووشائجه ألوهية الأب وبشرية الأم كانت الألوهية ناقصة! تعالى اللَّه عما يقولون علوًّا كبيرًا.

❑ قضية الذنب الموروث:

وقضية أخرى أرقتني كثيرًا هي قضية الذنب الموروث أو حادثة الصلب والفداء، فلم أجد سببًا واحدًا مقنعًا يبرر ذلك أو يجعل العقل يقره أو يستسيغه بأقل تفكير أو بقليل نظر، حاولت الوصول إلى جواب شافٍ في ذلك فلم أظفر أو استطع أن أظفر.

❑ انسحاب منذر:

كبُر الشك في داخلي، ولم يعد للكنيسة بريق في نظري كما كانت من قبل فقد عافت نفسي الذهاب إليها، وانعكس ذلك على قراءة الإنجيل، فلعلك تسأل لماذا؟!

لكي أريح نفسي من عناء التفكير، وثورة الشك التي اشتعلت في داخلي، واستمرت حوالي عامين، ولكن هل يظل قاربي يضرب في عباب البحر دون أن يصل إلى شاطئ الأمان؟! الجواب لا!!

لماذا؟! لأن لكل بحر شاطئ، ولكل ليل فجر، شاء اللَّه أن أحضر للعمل في المملكة العربية السعودية، ولكن هل يظل الشك القاتل كامنًا في داخلي مع وجود الكثير والكثير في هذا البلد يلفت النظر، ويبعث على الفكر والتدبر،

منها الصلوات المفروضة والالتزام بها.. خمس مرات في اليوم والليلة.. نظام دقيق.. حضور شاخص.. روعة آخذة.. انسجام تام.. إقتناع قوي.. نموذج فريد للوقوف أمام الخالق العظيم.. تبدأ بتلك العبارة القوية، والحجة الدامغة.. اللَّه أكبر.. وتنتهي بالسلام.. نعم تنتهي بالسلام الذي تسعى إليه البشرية المعذبة ولا تناله.

اندفعتُ لقراءة القرآن، وزاد حرصي على القراءة لهذا الكتاب العزيز.. شعرت بعظمة هذا الدين وقوته.. استراحت نفسي من هذا الشك القاتل حيث جاءت الإجابات سهلة صادقة، واضحة قوية، تمسح عن نفسي الشك والريبة، وتقذف في داخلي الإيمان والإذعان حانت لحظة الخلاص والانتظار.

❑ **إعلان صادق:**

أعلنتُ إسلامي لله رب العالمين، وتخلصتُ من هذا الدين الذي تصادم مع فطرتي، لقد أصبح اسمي الآن «عيسى عبدالملك»[1] ولا أقول إلا كما قال القرآن الكريم:

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية ٣٦- ٣٧].

* * *

(١) جريدة الأمة الإسلامية.

[١٨]
كتاب مرشد

(ناجيمو راموني) (غانا)

❑ قارة ودين:

في أفريقيا العذراء، بين طبيعتها الفاتنة الخلابة بكل ما فيها من أحراش وغابات وأدغال، وما يوجد على أرضها من خضم متلاطم من ديانات، ونحل وعقائد، يقف الإسلام شامخًا معلنًا أنه دين الفطرة المنتصر بإذن الله، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران١٩] رغم تلك الهجمات الشرسة والأفاعيل الماكرة الملتوية.

ولعل من الأفضل أن نسوق تلك الحادثة الطريفة التي كان مسرحها أدغال أفريقيا: «حيث يعيش الأفارقة في الغابات لا يعرفون ربًا ولا يؤمنون بأي دين، وتأتيهم قوافل المبشرين بطائراتها ومستشفياتها المتنقلة ومدارسها ومساعداتها الهائلة والمال والمؤن والرجال وآلاف من الحيل والدسائس والخدع والكتب والمطبوعات، وبعد جهد جهيد، وبعد سنوات كثيرة من التعب يخرج لهم رجل أشعث أغبر، ممزق الثياب، حافي القدمين، يحمل نسخة قديمة من القرآن الكريم، فيلتقي بهؤلاء القوم، ويخاطبهم بلغتهم ببضع كلمات يفهمونها، هي كلمات بسيطة، ولكنها الحقيقة الناصعة والحجة الدامغة، فما يكون من أمر هؤلاء الأقوام إلا أن يسلموا ويتركوا كل ما بأيديهم من متاع، ويتوجهون إلى خالق السموات والأرض الذي عرفوه بفطرتهم، وما كان دور هذا الداعية المجهول إلا أن أيقظ تلك الفطرة، وحركها، ناداها بالنداء الرباني الذي أحياها

وما أكثر هؤلاء الجنود المجهولين، الذين يظهرون في كل مكان، والذين لا تقف وراءهم دول ولا تنفق عليهم مؤسسات، إنما هو الله سبحانه الذي تكفل بحفظ هذا الدين وبقائه(١).

فلعل هؤلاء الذين يعارضون منهج الله وفطرته أن يفيئوا إلى منهج الله وإلى دين الله. وصدق الحقُّ إذ يقول:

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان٢٣]

فهل من مسترشد؟!

❑ رجل وديانة

بدأت رحلتي في هذه الحياة ولدًا لأبوين نصرانيين، في دولة من دول القارة الأفريقية وهي دولة غانا التي تقع في غرب القارة حيث يمثل المسلمون حوالي ٣٠٪ من سكانها.

❑ اسمي «ناجيمو رامولي».

عندما بلغت السابعة من عمري التحقت بكنيسة البعثة المعمدانية في غانا حيث كان والداي عضوين فيها، وأثناء دراستي كنت أتمتع بفهم وافر، وميل دافع، جعلاني أنقطع عن العالم الخارجي وأقضي كل وقتي في غرفة الكنيسة منكبًّا على الدراسة حتى في أوقات فراغي وترفيهي.

ولما بلغتُ العشرين عامًا، أصبحتُ مؤَسسًا تأسيسًا قويًا في النصرانية، عن طريق القراءة المستمرة لكل ما كان تقع عليه عيني عن هذه الديانة، زادت قوة إيماني وثباتي.

---

(١) كتاب «رجال ونساء أسلموا» عرفات كامل العشي - الحلقة ٩ ص ٥٨- ٥٩ (بتصرف).

❑ التبشير بالإنجيل:

أحسست من داخلي بواجب يفرض نفسه عليّ مثيرًا هذا السؤال داخلي بقوة: لماذا لا أبشر بالإنجيل جميع الأشقياء الذين حرموا من التعليم الكافي؟!

بدأتُ ذلك في نشاط وإصرار، وتهلل والديّ بالفرح لذلك، فزادت همتي أكثر وأكثر حتى أُطلق عليّ لقب «يوحنا المعمدان»(١).

❑ حدث غريب:

«الصديق من صَدَقَك.. لا من صدَّقَك». مقولة صادقة لا ريب فيها. لقد كان لي مع تلك العبارة رحلة رائدة، وأي رحلة كانت!! إذ كان لي صديق مسلم، يحرص على النصيحة ويحسنها، يظهر الحب والود بغير تكلف، منحه اللَّه خلقًا وعلمًا، يحب الخير لبني البشر. أهداني نسخة من كتاب «دين الإسلام» تأليف الدكتور أحمد غلوش، تلكأت في أخذه في بداية الأمر، قائلًا في نفسي: ما الفائدة من وراء ذلك، إنه كتاب إسلامي لا يعنيني في قليل ولا كثير، حاول صديقي المسلم إقناعي بقبوله، موضحًا أن أخذي للكتاب وقراءته لا يعني تحوّلي عن النصرانية واعتناقي للإسلام طارحًا بعض الأسئلة:

ـ ألستَ من هواة القراءة وحب الاطلاع؟! بلى!!

ـ ألستَ داعية من دعاة النصرانية والمحاربين للإسلام وانتشاره في تلك القارة الأفريقية؟! بلى!!

ـ ألا تحب أن تعرف حقيقة الإسلام وواقعه حتى يمكن أن تنجح في حربه والحد من انتشاره؟! بلى!!

(١) نفس المرجع السابق.

ـ ولكن كيف يمكنك ذلك وأنت بعيد كل البعد عن معرفته ودراسته والوقوف على نقاط ضعفه وقوته؟! تناولتُ الكتاب، وأنا أضمر في نفسي قراءته، ولكن متى أبدأ القراءة؟!

ذات يوم تناولت طعام العشاء، وخطر لي أن أبدأ القراءة في هذا الكتاب، شرعت في قراءته بتركيز شديد. فالعبرة ليست بالقراءة فقط، ولكن في جمع الحقائق والمعلومات، واستخراج النقائص والمتناقضات. انتهيت من قراءة الفصل الأول، وكان عنوانه «توحيد الله». فما أن فرغتُ من ذلك الفصل إلا وقد أُصبت في الصميم حيث اشتعلت الاستفسارات وعلامات الاستفهام في داخلي. حاولت الوقوف عند هذه القضية مع التأمل والتفكير فيها، يا إلهي!!

وحدانية في الإسلام ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص] يقابلها في النصرانية عقيدة التثليث والتجسد الإلهي «إن الإلوهية ثلاثة أقانيم حائزة على صفات مخصوصة إلهية»(١) ولكن دعنا نعرف ما الثالوث؟!

ومن هو في النصرانية؟!

إنه [الأب والإبن والروح القدس].

فالآب: هو الأقنوم الأول من الذوات الإلهية، مع كونه والد الأقنوم الثاني فهو مكون الكائنات.

والابن: هو الأقنوم الثاني مع كونه ولد الأقنوم الأول وابنه الوحيد فإنه قد

(١) كتاب «الإنجيل والصليب» د. عبد الأحد داود، ص ٦.

خلص العالم من الخطيئة.

أما الروح القدس وهو الأقنوم الثالث: فإنه يصدر عن ركني التثليث الآخرين بصورة دائمة وأبدية، ومهمته، إعطاء الحياة[١]. علاوة على تلك المتناقضات التي تقول إن الأقانيم الثلاثة ليست ثلاثة آلهة بل هي إله واحد باعتبار أن الواحد من الثلاثة، وأن الثلاثة من الواحد.

برغم ما تدعيه الكنيسة من «أن الثالوث الشريف لا يتشكل من ثلاثة آلهة، ولكنها ما دامت تعترف بوجود نسبة بين الأقانيم، وأن لكل منهم صفات وأفعال ليست للآخرين، فالأقانيم الثلاثة لا يمكن أن تكون إلها تامًا على الانفراد ولا على الاجتماع. أي أن (الأب) لا يمكن أن يكون هو الابن، ولا أن يكون الروح القدس، وبناء على ذلك لا يمكن أن يكون «الله» إلهًا تامًا لأنه مقيد بالانضمام إلى الركنين الآخرين، وهكذا الأقنوم الثاني والثالث»[١]. عدتُ أقرأ هذا الفصل مرة تلو المرة حتى وضحت الحقائق وضوح النهار. فلم يعد هناك شك بأن التوحيد في التصور القرآني والمفهوم الإسلامي يوافق الحق والعقل والمنطق. جذبني هذا الكتاب، وصار ما به من حقائق ينفذ من العين إلى القلب والعقل معًا. فهل وقف الأمر عند قراءة الفصل الأول فقط؟! لقد انتقلتُ إلى فصل آخر عنوانه «محمد في الإنجيل»، لقد استدعت قراءتي لهذا الفصل أن أطالع معه جنبًا إلى جنب «الإنجيل» يا إلهي!! لقد هالني الأمر فماذا أرى؟ لقد بدأت أشعر بالاحترام العميق لنبي الإسلام الكريم الذي تُصوره المبادئ النصرانية على أنه مدعي النبوة!! سألت نفسي كيف يعترف الإسلام بجميع الأنبياء والرسل، وعلى الأخص موسى وعيسى رغم أن اليهود والنصارى

(١) مقدمة الكتاب السابق.

يزعمون أن محمدًا ﷺ ليس نبيًا مرسلًا؟!

فها هو القرآن يقول: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[البقرة١٣٦]
ويقول أيضًا: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران ٨٣-٨٥].

ثم جاءت التهمة الثانية لنبي الإسلام تصفه بأنه كان محاربًا متعطشًا للدماء، راغبًا في الشهرة الدنيوية فسألت نفسي:

كيف يكون نبي الإسلام محاربًا متعطشًا للدماء وهو لم يصرح ولو مرة واحدة بذلك، ولم يحاربْ بادئًا بالحرب مُشهرًا السيف في تحدٍّ وغلظة بينما نجد المسيح يقول: «لا تحسب أنني جئت بالسلام وإنما أتيت بسيف» ونصح تلاميذه بقوله: « من لم يكن لديه سيف فلْيبع لباسه ويشتري سيفًا». بينما يأمر القرآن نبي الإسلام في معاملة الباغين المعتدين عند جنوحهم للسلم يقول: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ الأنفال٦١.

نعم لقد دفعني هذا الكتاب بصدق إلى الاعتراف بأن الإسلام هو دين الحق

ولكنني لم أسلم بعد.

لقد طلبت نسخة من القرآن مع الترجمة الإنجليزية لمعانيها من هذا الصديق. فأعطاني النسخة مع الترجمة الإنجليزية بقلم العلامة الهندي «عبدالله يوسف علي». فماذا فعلت بعد ذلك؟ لقد قمت بإجراء مزيد من الدراسة والبحث عن الحقيقة، فكلما قرأت القرآن زاد حبي له. قمت بجمع بعض النقاط من القرآن، واتصلت بالقس الذي يرأسني، وعرضت عليه تلك النقاط التي جمعتها من القرآن لأجد لها تفسيرًا شافيًا، فجاءتني تفسيراته بدائية مبتورة غير شافية، زادتني تعلقًا بالقرآن وبالإسلام، صارحتُ والديّ بذلك، فأخذا مني موقفًا معاديًا لم يصل إلى نتيجة إزاء يقيني وصلابتي في الحق.

❑ وقفة حاسمة:

حانت لحظة الإعلان، لقد عقدتُ العزم على أن أشهر إسلامي، فأعلنت ذلك في قوة وإصرار. وصدق الحق إذ يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران٨٥].

* * *

[١٩]
توفيق وانتصار

(أبو بكر موابوبو ـ البطريك موابوبو) (تنزانيا)

❑ إعلان ونصر:

يسعد المسلم إذا رأي كلمة التوحيد ينطق بها غير المسلم ليدخل في دين الله ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝﴾ [النصر٢،٣] «لقد أعلن ٤٨٩٠شخصًا إسلامهم في تنزانيا منهم ٢٣قسيسًا كاثوليكيًا وست راهبات، وذلك في عام واحد»(١).

❑ البطريرك موابوبو:

ولنبدأ مع أحد هؤلاء القساوسة الذين تم إسلامهم في هذه الكوكبة الكريمة، أو في هذا الفوج العظيم، في رحلة من أعظم الرحلات في حياة الفرد والأمة، رحلة الانتقال إلى الإسلام.

إنه البطريرك الكبير موابوبو الذي أعلن إسلامه ضمن هذه الكوكبة، وأصبح اسمه «أبو بكر موابوبو». وقد قام بأداء فريضة الحج امتثالًا لأمر الله في كتابه العزيز ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ [آل عمران٩٧].

❑ فاتحة لا بد منها:

يقول: أنا المسلم «أبو بكر موابوبو» من تنزانيا أحد المسلمين الجدد الذين

---

(١) مجلة الدعوة الصادرة في ١٤١٣/٤/٥هـ .

هداهم اللَّه وشرح صدورهم لدينه الحنيف، الذي ارتضاه للناس أجمعين ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر٢٢].

لقد أسلمتُ وحسن إسلامي وقد وفقني ربي للهداية ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام١٢٥]

فقد كنت أعمل قبل إسلامي بطريركًا في الكنيسة الكاثوليكية. وهو أحد المناصب الكنسية الهامة، وَصَلْتُ إليه خلال عملي قسيسًا لمدة اثنين وعشرين عامًا في خدمة الكنيسة الكاثولوكية، والدعوة إليها، والعمل في مجال التنصير. فقد كنت مخلصًا للنصرانية والدعوة إليها، منفِّذا لكل ما هو مرسوم وممهد له تجاه ملاحقة الإسلام، وبسط النصرانية في ربوع القارة، ولكنها إرادة اللَّه التي أنقذتني... دعني أطرح سؤالًا أتولى الإجابة عليه بنفسي.

كي أقوم بالإجابة لابد أن أذكر باديً ذي بدء، أنني قمت بدراسة متأنية ومركزة للإنجيل، وقد قمت بسؤال الإنجيل عن الدلائل على مجيء النبي محمد ﷺ، ومن ثم طرحت هذا السؤال على نفسي: هل الإسلام دين صحيح؟

❑ الدلائل :

ولنبدأ مع السؤال عن الدلائل على مجيء «محمد ﷺ». ولكن أيُّ الأناجيل يجيبني عن هذه الدلائل أو يذكر مجيء محمد، إنه إنجيل «برنابا» وهو الإنجيل الذي حرّم رجال الدين النصراني على أتباعهم الاطلاع عليه

وقراءته.

فلعّلك تسأل كما أسأل .. لماذا؟!

لانه يتضمن بشرى بسيدنا محمد، وتقل فيه التحريفات والإضافات، مع ما فيه من حقائق تتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم. ولعلّي أسوق دليلين فقط ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ على بشارة عيسى بمجيء محمد من هذا الإنجيل الذي يمتلئ بذكر اسم محمد ﷺ. فقد جاء في هذا الإنجيل (الاصحاح٧٢): قوله: «وقتئذ أندرياس (التلميذ) يسأل المسيح يا معلم حين يأتي محمد، ما هي علاماته حتى نعرفه؟! فقال المسيح: محمد لا يأتي في عصرنا هذا، وإنما يأتي بعد مئات السنين حين يُحرّف الإنجيل، والمؤمنين حينئذ لا يبلغ عددهم ثلاثين نفرًا. فحينئذ يرسل اللّه سبحانه وتعالى خاتم الأنبياء والمرسلين محمدًا ﷺ». ويقول كذلك (الاصحاح ٦٣): «يسأل التلاميذ يا معلم من يأتي بعدك؟ فقال المسيح بكل سرور وفرح: محمد رسول اللّه سوف يأتي من بعدي كالسحاب الأبيض يُظِلُّ المؤمنين جميعًا». إضافة إلى دليل آخر من إنجيل يوحنا (الإصحاح ١٣): « وأنا أطلب من الأب فيعطكم معزّيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد». والمعزي يقصد به محمد ﷺ وإذا كان غير ذلك فمن المقصود؟

❑ هل الإسلام دين صحيح؟

ننتقل بعد ذلك إلى السؤال الثاني: هل الإسلام دين صحيح؟! وإجابة هذا السؤال لا تحتاج إلى جهد وعمق. فيكفي أن نثبت صحة القرآن الكريم، وأنه الوحي المنزل على محمد ﷺ. فصحّة الكتاب هي صحة الدين وصدقه. ويكفي أن أسوق ما قاله قس سابق كان يعمل أستاذًا في كلية اللاهوت وهداه اللّه قبلي إلى الإسلام. إذ يقول «لا يوجد أدنى شك حول القرآن الكريم أنه لا

يحتوي إلا على الوحي الذي نزل على محمد ﷺ. لقد تنزل الوحي عليه منجمًا من وقت لآخر. وفي لحظات تنزيل الوحي عليه سرعان ما كان يبلغه لصحابته ويكلفهم لا أن يحفظوه عن ظهر قلب فحسب بل أن يكتبوه بإملائه. وفي كل مرة وكل مناسبة يعيّن موضع التنزيل الجديد في مكانه المناسب من سور القرآن. وهكذا فالقرآن بتمامه عهد بكتابته وحفظه في الصدور إلى صحابة رسول اللَّه الذين بلغوا المئات في عهده»[1].

□ ثم أنتقل إلى سؤال آخر وهو:هل عيسى ابن اللَّه كما يقول النصارى؟!

إنه لأمر عجيب حقًا أن أرى الأناجيل تنص ثمانية وثمانين مرة على أن عيسى من نسل آدم، ولعلّي أسوق بعض النصوص على ذلك من إنجيل يوحنا المتهم ظلمًا بلاهوت المسيح وها هو يقول: (١٣:١٦) «الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله». ويقول: (١٣/ ٢١-٢٣) «فلما خرج قال يسوع الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد اللَّه فيه. إن كان قد تمجد فيه فإن اللَّه سيمجده سريعًا». وفي إنجيل متى (٩:٦) «ولكن لكي تعلموا أنَّ لابن الإنسان سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا.. فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا اللَّه الذي أعطى للناس سلطانًا مثل هذا». وفي إنجيل مرقس (١٠:١٧-١٨).. «وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد جثا له وسأله أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية فقال له يسوع لماذا تدعونني صالحا. ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله». وفي إنجيل لوقا(١٢-٨) «وأقول لكم كل من اعترف بي قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله. ومن أنكرني قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله. وكل من قال كلمة على

(١) كتاب «الغفران بين الإسلام والمسيحية»، د. خليل إبراهيم أحمد، ص ٢٢.

ابن الإنسان يغفر له. وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له».

❑ هل فكرة التثليث صحيحة؟

❑ ومن ثمَّ جاء سؤال آخر وهو: هل فكرة التثليث صحيحة أم فكرة وثنية؟!

لقد وجدت كغيري أن فكرة التثليث فكرة وثنية. لأن دعوة التوحيد هي دعوة أنبياء اللَّه ورسله جميعًا من لدن آدم حتى محمد ﷺ. وكان التوافق[1] بين الرسالات الثلاث التوراة والإنجيل والقرآن رغم ما اعترى كلا من التوراة والإنجيل من تحريف وتغيير وتبديل.

ففي التوراة (التثنية ٥:٦-٧): «أنا الرب إلهك.. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي» (الخروج ٢٠:٢-٣): « اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد». وكذلك (التثنية ٦:٤): «أنا اللَّه وليس آخر. الإله وليس مثلي».

وفي الإنجيل (أشعياء ٦:٤): «فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد». (متى ١٩:١٧): «فقال له لماذا تدعونني صالحًا: ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله» . (يوحنا ١٧:٣): «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته».

وهذا هو القرآن خاتم الكتب يقول: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٨]

---

(١) الكتاب السابق: ص ٤٨- ٤٩.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾ [فصلت٦]

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف١١٠]

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى١١].

ومن هنا تتهاوى دعوة التثليث مع ما تقوله النصرانية «أن في الألوهية أبوة وبنوة، بيد أنه لا يمكن أن يكون اللَّه أبًا وابنًا معًا في وقت واحد، ويلزم من كونه واحدًا ألّا يكون أبًا لنفسه، ولا أن يكون بابن نفسه إذن فلا ريب في أن العقيدة المذكورة قائلة بوجودين مطلقين (أو مستقلين) في الألوهية، وكذلك الروح القدس الصادر والمنبثق على الدوام من هذين الوجودين المطلقين أو المستقلين (الأب والأبن). لما كان ليس أبا ولا ابنا وجب أن يكون له وجود مطلق ثالث مستقل. والحق يقال أن الفرق شاسع بين معبود النصرانية وبين معبود المسلمين الذي يسبحونه جل جلاله»[1].

فهل يبقى بعد ذلك شيء من النصرانية عالق في كياني؟! اللهم لا!

لقد أعلنتُ إسلامي كغيري من هؤلاء الكوكبة الذين هداهم اللَّه مثلي وآمنوا عن قناعة ويقين. وصدق الحق إذ يقول: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٤٨ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠﴾ [سبأ: ٤٨-٥٠].

(١) كتاب «الإنجيل والصليب» د. عبدالأحد داود، المقدمة.

[٢٠]
سفر سعيد

(محمد شريف ـ ألدو دمريس) (سريلانكا)

❑ رحلة ميمونة:

«ألدو دمريس» شاب سريلانكي طموح، يحب العمل والتفاني فيه، أحب النصرانية، وأخلص لها حتى أصبح من دعائها النشطين، حمل مسؤولية التنصير منذ صغره، فقد مارس التنصير عمليًا في صباه في استراليا مع إحدى عماته التي كانت تعمل مُنصِّرة هي الأخرى هناك، دفعه لذلك إرادة الأسرة في أن يكون قسًا مشهورًا.

اهتم بالنشء، زرع عقيدة التثليث في نفوسهم منذ الصغر، حتى يشبوا متعلقين بالنصرانية لا يعرفون غيرها، في بلد متعدد الديانات والجنسيات والجماعات. ساعده في ذلك حصوله على درجة البكالوريوس في علم مقارنة الأديان، رغم أنه اقتصادي مؤهل، وحاصل على درجة البكالوريوس في الاقتصاد والتجارة.

لم يكتف بهذا القدر من العلم والمعرفة، لقد انكب على دراسة الأديان والعقائد[1].

تحركت في نفسه دوافع السعي والترحال من أجل العمل في الظاهر، وربما لأسباب أخرى في نفسه لم يعلن عنها، وهي دراسة القرآن الكريم ليس بهدف الاقتناع به أو الاطلاع على ما فيه ولكن بهدف اكتشاف النقاط التي يمكن أن

(١) مجلة الفيصل ، العدد ١٨٣- ص ٥٦.

يطعن بواسطتها في أهلية وصحة العقيدة الإسلامية[1]

حضر إلى المملكة العربية السعودية للعمل، وربما كراعي دين يرعى جماعة من بني جلدته ومن أهل ديانته. حمل في ذهنه بعض المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين. دفعه إلى ذلك أشياء منها البيئة التي نشأ فيها والمعلومات المشوشة المقلوبة التي تلقاها عن الإسلام والمسلمين.

إذ غلب على ظنه أن المسلمين متخلفون حضاريًا وفكريًا يعبدون القمر لأنهم يتحرون ظهوره في مطلع كل شهر عربي كما يعبد غيرهم الشمس والنار والبقر إلى آخر تلك الوثنيات.

❑ واقع مشهود:

حضر للمملكة ملئ بالأفكار الخاطئة عن الإسلام والمسلمين، كما قلنا يحمل بين جوانحه حقدا دفينًا، وصدرًا يضيق بالكراهية والبغض لهذا الدين الحنيف.

بدأ منذ وصوله يبحث عن نسخة مترجمة لمعاني القرآن الكريم، سأل عنها من عرفهم دون جدوى.

ظهرت عليه علامات الضجر والقلق، ساعد على ذلك عدم الانسجام بينه وبين هذا المجتمع المسلم الذي يعيش فيه، فكر في العودة إلى بلاده، تمت له العودة، فكر في الزواج وتمت له الخطبة من فتاة من أسرة ثرية، ولكنها لم تدم طويلًا، إذ دب الشقاق بين العائلتين فتم فسخ الخطبة، تملّكه القلق مرة أخرى وأحس بالضياع.

---

(١) مجلة الفيصل، العدد ١٧٥، ص ٧٢.

عاد مرة أخرى للملكة، استيقظ في نفسه أمله القديم في الحصول على نسخة مترجمة لمعاني القرآن الكريم، ولكن كيف يتم لك؟!

ساقت مشيئة اللَّه ما أراد في سهولة ويسر، فقد دعاه نظيره في العمل لتناول العشاء في بيته، وهنا وقعت عيناه على نسخة مترجمة لمعاني القرآن الكريم، تناولها في سرعة مدهشة، مستأذنًا صاحبها أن يعيره إياها.

اغتاظ صاحبه وقال: دعها في مكانها ثم تطهر حتى تمسها. سأله أن يعلمه ذلك، فكان له ما أراد واستعارها من صاحبها.

❑ إشراقة الإيمان:

وصل إلى بيته مسرعًا، وبفطرته قام فاغتسل. ثم أمسك الترجمة، وما أن وقعت عيناه على الآية الرابعة من سورة البقرة وهي قوله تعالى:- ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾. حتى انهمرت الدموع من عينيه، واقشعر بدنه، فها هو الإسلام واضح كفلق الصبح لكل ذي عينين.

لا ينكر الإسلام الديانات الصحيحة السابقة عليه فرسالة محمد هي آخر الرسالات وأكملها.

وهنا تدافعت إلى ذهنه البشارات التي وردت في الأناجيل، ولم يفهمها، ولم يستوعبها قبل ذلك، لقد أصبحت الآن واضحة جلية. نام هادئًا مطمئنًا فقد عقد النية على أن يشهر إسلامه في المحكمة الشرعية، وقد اختار أن يكون اسمه «محمد شريف».

وليكن سعيه الآن إلى أن يزداد في فهم هذا الدين أكثر وأكثر.

❑ دعوة إلى الحق.

هل آن لهذا المسلم أن يدعو لدينه الإسلام؟!

نعم! لقد تمرس في الحقل التنصيري، ومارس التنصير منذ الصغر، وعرف لغات ثمان، وأتقن أسلوب الدعوة، وعايش الحوار الهادئ، مع دراسة عميقة للنصرانية، ووقف على حقيقة التضارب بين الأناجيل حول طبيعة عيسى، بينما القرآن الكريم يتخذ موقفًا محددًا واضحًا يتمشى مع الحق والعقل والمنطق.

لقد استطاع أن يقنع أهله والكثير من أقاربه بأن الإسلام هو دين الحق، بعد أن مهد بذلك لإيمانهم فآمنوا ومعهم قسيس من أصدقائه ـ صار بعد إسلامه من أخلص المؤمنين لدين الله، كما نجح في اقناع بعض تلاميذه السابقين فأسلم معظمهم(١).

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص٥٦].

❑ رجل وأمل:

من واقع التجربة آمل كغيري من المسلمين في تحقيق ذلك:

أولًا: توفير كل الوسائل المتاحة للدعوة وصقل الدعوة بكل ما يلزم من علوم ومعارف في عصر سمته الانفجار المعرفي.

ثانيًا: التغلغل داخل الأوساط الشعبية في مختلف البلاد والشرح الوافي لهم عن حقيقة الإسلام ومزاياه الفريدة.

ثالثًا: طبع ترجمات القرآن الكريم والكتب الإسلامية التي تتناول جوهر

(١) نفس المرجع السابق

العقيدة، وكل الكتب التي تصلح للدعوة، وتوضح الإسلام إلى جميع اللغات في العالم وتكون تلك الترجمات أمينة وافية. فالعالم كله يعيش الآن جوعة شديدة لهذا الدين الحنيف ولكن حواجز اللغات وفقر بعض المجتمعات هي المشكلة.

رابعًا: التدرج في الدعوة مع الوقوف على حقيقة عقيدة الذي ندعوه إلى الإسلام وإلى ثقافته.

* * *

الفصل الثالث

بشارات من التوارة والإنجيل(١)
بنبوة ورسالة
محمد بن عبدالله ﷺ

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى
يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾

[الأعراف: ١٥٧]

- ١- نور من جبال مكة.
- ٢- نبي من بني إسرائيل
- ٣- الكتاب والنبي الأميّ.
- ٤- وحيٌ من بلاد العرب.
- ٥- محمود روح الحق.
- ٦- المنتظر المختوم والمملكة الأبدية.

* * *

(١) البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب - د. صلاح صالح الراشد.

١ـ نور من جبال مكة

جاء في العهد القديم (التثنية ٣٣:٢): (**جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى معه عشرة آلاف من القديسين وعن يمينه نار شريعة لهم**)(١).

ـ قال الإمام ابن القيّم عن هذا السفر: (وهذه متضمنة للنبوات الثلاث: نبوّة موسى، ونبوّة عيسى، ونبوّة محمد صلوات اللّه وسلامه عليهم. فمجيئه من «سيناء» وهو الجبل الذي كلّم اللّه عليه موسى إخبارًا عن نبوّته، وتجلّيه من «ساعير» هو مظهر المسيح من بيت المقدس، وهذه بشارة بنبوّة المسيح، وفاران هي مكّة. وشبَّه سبحانه نبوّة موسى بمجيء الصبح، ونبوّة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه، ونبوّة خاتم الأنبياء بعدها باستعلاء الشمس وظهور ضوئها في الآفاق، ووقع الأمر كما أخبر. وذُكرت هذه النبوّات الثلاث في أوّل سورة التين: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ١-٣]، فذكر أرضهم التي خرجوا منها. ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾، والمراد بهما منبتهما وهي الأرض المقدّسة التي هي مظهر المسيح، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الجبل الذي كلّم اللّه عليه موسى ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ مكة التي هي مظهر نبوّة محمد صلوات اللّه وسلامه عليهم، فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة)(٢).

وفاران هي جبال مكّة، لما جاء في سفر التكوين (٢١: ٢٠ ـ ٢١) عن

---

(١) من الكتاب المقدس King james Version ـ توماس للنشر، نيويورك، ولا يوجد في الترجمة العربية «عشرة آلاف من القديسين» وإنما بدل منها «من ربوات القدس». ونسخة الملك جيمس معتمدة لدى البروتستانت.

(٢) هداية الحيارى ، مكتبة الحياة للطباعة والنشر (بيروت).

(كتاب سر إسلام)

إسماعيل: (وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران).

فإذا ما عُرف ذلك، فإنّه لا بدّ من خروج نبي من فاران، جاء في صحيفة حبقوق: (واللّه جاء من تيماء والقدوس من جبال فاران). والمراد بالقدوس أي الطهور، وهي إحدى صفات هذا النبيّ المنتظر.

جاء في إنجيل يوحنا (١:١٩- ٢١): **(وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقرّ إني لست أنا المسيح، فسألوه: إذًا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا، النبيُّ أنت؟ فأجاب: لا).**

فاليهود والنصارى كانوا ينتظرون خروج ثلاثة بعد موسى: المسيح، وإيليا، والنبيّ. وإجابة يوحنا صريحة بأنه ليس واحدًا من هؤلاء. أمّا المسيح فقد خرج في زمن يوحنا المعمداني هذا، وأما إيليا فقد خرج قبلهما، وبقي النبيّ الموعود هذا! وحتى يهود المدينة كانوا يهدّدون الأوس والخزرج بقرب خروج نبيّ يقتلهم قتل إرم وعاد[١]، فلا بدّ ـ عند اليهود والنصارى ـ من خروج نبيّ بعد موسى عليه السلام.

أما لفظ: (وأتى معه عشرة آلاف من القديسين)، فهذا من أكبر الحجج على أهل الكتاب، والمقصود هنا دخول مكّة، يقول الشيخ المباركفوري: (ولعشر خلون من شهر رمضان المبارك سنة ٨هـ غادر رسول اللّه ﷺ المدينة متّجهًا إلى مكّة، في عشر آلاف من الصحابة رضي اللّه عنهم، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري)[٢].

(١) التفاصيل في كتب السيرة ـ انظر: «البداية»، جـ١، ص ١٤٦.

(٢) هداية الحيارى، ص ٧٨.

ولفظ: (وعن يمينه نار شريعة لهم)، جليّ بأن هذا النبيّ القادم معه شريعة جديدة أو ناسخة مطهّرة مشرقة كالنار لهؤلاء القوم ومن بعدهم.

* * *

٢- نبيٌّ من بني إسماعيل

وقد جاء في التوراة (التثنية: ١٨:١٨) عن موسى قوله: **(قال لي الربُّ: قد أحسنوا في ما تكلموا. أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أن أطالبه)**.

وهنا فوائد كثيرة وهي: أن اللَّه سيأتي بنبيٍّ من إخوة بني إسرائيل. قال الإمام ابن القيّم ـ رحمه اللَّه ـ: «واخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولا يعقل في لغة أمة من الأمم أن بني إسرائيل هم إخوة بني إسرائيل، كما أن إخوة زيد لا يدخل فيهم زيد نفسه».

وهذا ردّ على زعم اليهود بأن هذا النبيّ هو هارون. وقال آخرون: شمويل أو يوشع، وقد زعم النصارى أنه عيسى عليه السلام، فهؤلاء أنبياء اليهود ومن بني إسرائيل لا ينكر ذلك أحد. وقد شاع في التوراة استعمال لفظ الإخوّة في بني الأعمام كما في سفر العدد ٢٠/٣، وسفر التثنية٢/٤.

ـ لفظ (من وسط إخوتهم)، دليل على الوسطية في هذا النسب، ولا شكّ أنه ﷺ من أوسط العرب نسبًا وشرفًا باعتراف عدوّه وصديقه[1]. وفي القصة المشهورة عن هرقل زعيم النصارى أنه سأل عن نسبه وهل هو وسط في القوم؟ فلمّا تأكّد من هذه الصفة أقرّ بنبوّته.

ـ لفظ (مثلك) في التوراة يدلّ على أنه محمد ﷺ. فأمّا اليهود الذين قالوا

(١) بشرية المسيح ونبوة محمد، ص ٢٠٣. الجواب الصحيح لابن تيمية، ٩٣/١ ـ ١٠٠. مقامع الصلبان للخزرجي، ص ١١٩.

إنه هارون فقد جانبوا الصواب؛ فهارون عليه السلام مات في زمن موسى عليه السلام وكذلك يوشح، ولفظ التوراة: (سأقيم لبني إسرائيل) ـ كما في التراجم الأخرى ـ يدلّ على المستقبل.

وأمّا الذين قالوا: شمويل فقد افتقروا إلى الدليل، ليس من إخوة بني إسرائيل بل هو من بني إسرائيل. وأمّا النصارى الذين قالوا إنه عيسى عليه السلام فيوجّه إليهم هذا السؤال: أين الشبه بين موسى وعيسى.

وقد رسمت جدولًا يُبيّن بعض الفروقات والشبه بين موسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه.

	موسى	عيسى	محمد
الولادة	طبيعية	غير طبيعية	طبيعية
الوفاة	طبيعية	غير طبيعية	طبيعية
سيعود حيًا مرة أخرى؟	لا	نعم	لا
الحالة العائلية	طبيعية	والدة فقط	طبيعية
الحالة الاجتماعية	متزوج	غير متزوج	متزوج
خلّف ذرّية؟	نعم	لا	نعم
أتى بشريعة جديدة	نعم	لا	نعم
كان قائدا لدولة؟	نعم	لا	نعم
قَبِلَهُ قومُهُ في النهاية؟	نعم	لا	نعم
كم كان أتباعه؟	آلاف	١١ من الحواريين	آلاف
قاتل الأعداء بالسيف؟	نعم	لا	نعم
دفن بالأرض؟	نعم	لا	نعم

ويؤكد القرآن الكريم الشبه بين موسى عليه السلام ومحمد ﷺ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [المزمل: ١٥].

ـ لفظ: (وأجعل كلامي في فمه فيكلّمهم بكل ما أُوصيه به)، يدلّ على أنه لا يتكلّم إلّا بما يخبره به ربّه؛ كما أخبر القرآن عنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم٣-٤]، فهو ليس بمتعلّم، ولكن علّمه شديد القوى. كما يدلّ على أن الكتاب لا ينزل مكتوبًا بل من فمه تلقّاه الصحابة وعنهم تلقّاه الألوف. لا يصحّ هذا مع غيره من الأنبياء أو من ادّعى النبوّة؛ إذ هم كانوا متعلّمين جميعًا.

ـ لفظ (ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلّم به باسمي أن أطالبه)، وفي التراجم القديمة: (أنا أنتقم منه)، يفيد أن هذا الرسول يتكلّم باسم اللّه، فانظر أيّ الكتب في الأرض تملك في بداية كل سفر من أسفارها لفظ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾! وانظر أيّ الأمم التي تبدأ كل شيء بقول «بسم الله»، غير أمة الإسلام.

ـ فمن لا يسمع له (أنا أنتقم منه)، أي الربّ ينتقم منه.

وهذا يثبته قول النبيّ ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمّة، يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلّا كان من أصحاب النار»[1].

* * *

(١) رواه مسلم.

٣ـ الكتاب والنبيّ الأميّ

جاء في سفر إشعياء: (**يُدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا فيقول: لا أعرف الكتابة**).

وفي التراجم غير العربية: (**ويدفع الكتاب إلى الأمي (غير المتعلم)، فيقول اقرأ هذا، فيقول: لست بمتعلم**)(١).

وهذا السفر جاء قبله وبعده غضب الرب على أمّة يهود، ونتيجة لذلك فقد حرمهم من الرسالة والنبوّة التي كانت بين ظهرانيهم. (فقال السيد لأن هذا الشعب قد اقترب إليّ بفمه وأكرمني بشفتيه. وأما قلبه فأبعده عنّي، وصارت مخافتهم مني وصية الناس معلمة، لذلك هأنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجبًا فتبيد حكمة حكمائه ويختفي فهم فهمائه، ويل للذين يتعمّقون ليكتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم في الظلمة ويقولون من يبصرنا ومن يعرفنا، يا لتحريفكم! هل يحسب الجابل كالطين حتى يقول المصنوع عن صانعه لم يصنعني أو تقول الجبلة عن جابلها لم يفهم). وهذا يصدقه قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة٧٩]، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران٧٨].

وعودة إلى ما عرضناه من أن الكتاب هذا يُدفع لمن لا يقرأ أو يكتب ـ على

---

(١) انظر التراجم الانجليزية ولفظها (I'm not Learned)

اختلاف التراجم ـ أي أميّ بمعنى أعمّ.

وهذه قصة مشهورة لم تنسب إلّا لمحمد ﷺ. روى الإمام البخاري عن عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ في باب (بدء الوحي) من حديث طويل فيه: «فجاءه الملّك، فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق ١-٣].

ولأنهم علموا أن هذه الآية لو تُرجمت بنصّها فسوف يُعلم أن المقصود سيكون محمدًا ﷺ، فلذلك غيّروا الترجمة العربية، وترجموها (لا أعرف الكتابة) مع أن النص (لا أعرف القراءة)، أو (ما أنا بقارئ)! ولا يدري المرء من أين جاءوا بهذه الترجمة فهي ليست بالأصل(١).

ـ وفائدة أخرى هي لفظ (الكتاب)، فالمسلمون يسمّون القرآن الكتاب. الناس تقول: الكتاب والسنّة، لكن لا يصح ذلك مع أهل الكتاب إلّا في الآونة الأخيرة. وأقرب ما وصلوا إليه تسميتهم: الكتاب المقدّس، ولا يوجد لهذه التسمية دليل لا من التوراة ولا من الإنجيل.

ـ ومع ذلك، فالكتاب المقدّس دفع إلى متعلّم سـواء كان عيسى أو

---

(١) في التراجم الانجليزية:

(And the book is delivered to him that is not learned, saying: Read this, "I pray thee" and saith: "I'm not learned")

وفي النسخة المصححة الحديثة: (Revised version) :

(He will answer: "I don't know how to read")

موسى فقد أُرسلا في حضارة، إما الحضارة الفرعونية أو الحضارة الرومانية، وهكذا سائر الأنبياء والعظماء. وهذا هو السبب الذي جعل الكاتب الأمريكي مايكل هارت Michael Hart صاحب الكتاب المشهور (المئة الخالدون) (The 100 Most Influential Persons in History)

يُصدِّر كتابه بمحمد ﷺ كالشخصية الأولى الأكثر تأثيرًا على التاريخ. يقول في كتابه هذا: معظم الشخصيات في هذا الكتاب امتازوا بأنهم ولدوا في وسط حضارات أو في مجتمعات راقية ثقافيًا، أو في أمّة متوعية سياسيًا، بينما ولد محمد ﷺ في سنة ٥٧٠م في مكّة، في هذا الوقت كانت الجزيرة متخلفة[1] فمن أين لأمي يتيم من أمة أمية متخلّفة ليس لها من الثقافة أو الحضارة أو السياسة أو القيادة أو العلم نصيب، من أين له هذا التأثير والحضارة التي كانت يومًا من الأيام قيادة وما زالت نظامًا وفكرًا يناهض الأفكار المطروحة، بل يتعدّاها موضوعية؟ من أين له كل هذا من أمة لا تملك شيئًا إلّا لغتها. فتحدّاهم القرآن بما أتقنوا! فما استطاعوا مواجهة هذا التحدي.

من أين له كل هذا إلّا أن يكون من عند ملك السموات والأرض عالم الغيب والشهادة؟ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾ [الأحقاف: ٨].

* * *

(١) من كتابه ص ٣٣ ـ ٣٤ الشخصية رقم (١).
(نيويورك) Hart Publishing

٤ـ وحي من بلاد العرب

يقول النبيّ إشعياء: (٢١ /٦-١٧) **(لأنه هكذا قال لي السيد: اذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى. فرأى ركابًا أزواج فرسان، ركّاب حمير، ركّاب جمال... وهو ذا ركّاب من الرجال، أزواج من الفرسان. فأجاب: وقال: سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض... وحي من بلاد العرب. في الوعر في بلاد تبيتين يا قوافل الدّدانيين. هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه فإنهم من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدّة الحرب. فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفني كل مجد قيدار وبقية عدد قسى إبطال بني قيدار تقل لأن الرب إله إسرائيل قد تكلّم).**

هذه رؤيا النبي إشعياء التي يخبر بها عن خروج نبيّين عظيمين: وهما عيسى ومحمد عليهما الصّلاة والسّلام.

ـ لفظ (ركابًا أزواج فرسان، ركاب حمير، ركاب جمال)، جاءت في رواية: (رأى راكِبَيْنِ: أحدهما راكب حمار، والآخر راكب جمل)[١]. أمّا راكب الحمار فصريح أنه عيسى عليه السلام. جاء في الإنجيل: (يوحنا ١٢/ ١٤، مرقس ١١/٧) **(وجد يسوع جحشًا فجلس عليه)**. وأما راكب الجمل فعلامة على أنه عربي.

ولقد قدم النبيّ ﷺ مهاجراً على ناقة حتى رآه عبدالله بن سلام ـ حبر اليهود

(١) هذه رواية الفولجيت (Vulgate Bible).

ـ فأسلم وأسلم أهله معه.

ـ لفظ (فأجاب وقال: سقطت سقطت بابل، وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسّرها إلى الأرض)، دليل على أن المقصود هو محمّد ﷺ؛ إذ لم يفعل ذلك إلّا الجيوش الإسلامية التي تربّت على يديه فسقطت بابل ـ العراق ـ وكُسِّرت التماثيل والأصنام، ودخل الناس الإسلام.

ـ لفظ (وحي من بلاد العرب) دليل لا يحتاج إلى تأويل، فلقد جاء الوحي إلى محمّد ﷺ وهو من بلاد العرب.

ـ لفظ (هاتوا ماءً لملاقات العطشان يا سكان أرض تيماء، وافوا الهارب بخبزه)، يحكي قصة الأنصار؛ إذ أن تيما هو أحد أبناء إسماعيل عليه السلام. ففي سفر التكوين: (وهذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم: نبايوت، بِكْرُ إسماعيل، وقيدار، وأدبئيل، ومبسام، ومشماع، ودومة، وحسّا، وحدار، وتيما، ويطور، ونافيش، وقدمة. هؤلاء هم بنو إسماعيل، وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم، اثنى عشر رئيسًا حسب قبائلهم). وقد سكن تيما في شمال الحجاز أي في المدينة. وهذا نداء لأهل المدينة أن يأتوا لملاقاة العطشان الهارب من الظلم، وأن يُطعموه. أي: يا أهل تيما انصروا المهاجرين المظلومين؛ ولذلك سُمّوا بالأنصار.

ولقد خرج لملاقاة الرسول ﷺ أصحابه وهم ينشدون: «طلع البدر علينا». في القصة المشهورة، وأطعموهم وسقوهم وقاسموهم أرزاقهم، وكان الرجل يُورِّث أخاه المهاجر[1].

(١) انظر البداية جزء ٣، ص ١٩٥، أما النشيد فقد قال عنه ابن تيمية: حديث صحيح.

ـ لفظ (فإنهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب) يحكي سبب هجرة الرسول وأصحابه. وشدة الحرب كانت من مشركي قريش. ولقد لاقى المسلمون من التعذيب والأذى والشدّة حتى فرّوا بدينهم وعرضهم إلى أهل تيما (يثرب).

ـ لفظ (في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار) دليل على أنه بعد هذا الفرار ونصرة أهل تيما لهم، فإنهم في قرابة سنة سيغلبون مجد قيدار، أي قريش؛ إذ أنه ما إن أتى رمضان الثاني حتى هُزمت قريش في معركة بدر الكبرى، فكانت الشوكة للمسلمين بعد ذلك. وما هي إلّا سنوات قليلة حتى فَنى مجد قيدار ـ أي قريش ـ تمامًا.

* * *

٥- محمود روح الحق

جاء في العهد الجديد من الكتاب المقدّس: (يوحنا ٤/١٥-١٨) **(إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي. وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم)**. وفيه: **(وأما المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويُذكّركم بكل ما قلته لكم... لا أتكلم أيضًا معكم كثيرًا لأن رئيس هذا العالم يأتي...)**، وفيه أيضًا: **(وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يُرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلّم به ويُخبركم بأمور آتية. ذاك يُمجّدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم)**.

هذه الآيات في الإنجيل يتحدّث فيها المسيح - عليه السلام - إلى حوارييه.

- من هذه البشارة نعرف أن النصارى ينتظرون رجلًا بعد عيسى - عليه السلام - لا كما يقول بعضهم أن المعزّي هو عيسى إذ سيعود؛ وذلك أن الآية نصت على أنه (آخر)، أي ليس أنا. وقد ذكر يوحنا أنه ليس المسيح ولا إيليا ولا النبيّ المنتظر فهم يرتقبون نبيًّا منتظرًا. ويجب أن يكون آخر كذلك كي يُثبت حق عيسى في المسيحية، وكذا حتى يشهد له ويُمجّده كما سيأتي.

- لفظ (ذلك يمجّدني لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم)، وكذلك (فهو يشهد لي)، دليل على أن القادم يتكلّم عن عيسى ويشهد له ويُمجّده. وهذا الكلام ثابت في النبيّ ﷺ؛ إذ شهد للمسيح - عليه السلام - بالنبوّة ومجّده، كما وبرّأه من زعم الألوهية. كما شهد له بأنه لم يُصلب ولم يُقتل، بل حفظه الله ورفعه.

ـ ومن صفات هذا الآخر أنه مسمّى بالمعزي. وفي التراجم القديمة (الفارقليط) و(البارقليط)[(١)(٢)]، وترجموها بالإنجليزية Comforter أي الشفيع. ولكي نعرف معنى الكلمة ننظر في الأصل. والكلمة في أصلها اليوناني (Paraclete) وهي مأخوذة من الكلمتين العبريتين (Farcat) و (lete) وأفضل ترجمة لتلك الكلمتين هي: المحمود.

وقد ترجموها باللغة الإنجليزية (The Praised One)، وهي ترجمة صحيحة ومعناها الشخص المحمود[(٣)]. وأحمد أو محمد أبلغ في التعبير من المحمود؛ إذ فيه صيغة المبالغة في الحمد. كما أن اسم أحمد أو محمد لم يُستخدم قط قبل قدوم النبيّ ﷺ. والباحث في أصل الكلمة لا يستطيع أن يُنكر علاقتها مع لفظ أحمد ومحمد. وهذا الذي دعى علماء النصارى للخروج بكلمة أخرى، بل زعم أحدهم أن (الفارقليط) كلمة أدخلها المسلمون في الإنجيل!!

يقول أحد علماء النصارى: «إن المسيحيين لا يمكنهم أن يُنكروا أن لفظة (فيراقليطوس) أو (فارقليط) معناها: محمد صراحة». وقال مسيو مارسيه: «إن محمدًا هو مؤسس الدين الإسلامي، واسم «محمد» جاء من مادة «حمد»، ومن غريب الإتفاق أن نصارى العرب كانوا يستعملون اسمًا من نفس المادة يقرب في المعنى من محمد، وهو «أحمد» لتسميته الفراقليط به، وهذا ما دعى علماء الدين الإسلامي أن يثبتوا أن كتاب المسيحيين قد بشّر بمجيء النبيّ

---

(١) يذكر المؤلفون القدماء مثل ابن تيمية وابن القيم وغيرهما هذا النص ـ أنه موجود في الترجمة العربية القديمة. لكن غيروه في الترجمات الحديثة.

(٢) كتاب «نشأة الديانة المسيحية» أدون جونس.

(٣) موجود في النسخة المنقحة الجديدة.

«محمد»، وقد أشار القرآن نفسه إلى هذا بقوله عن المسيح: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. وقد قال اسبرانجيه: «إن هذه الآية تشير إشارة خاصة إلى عبارة «إنجيل يوحنا» حيث وعد المسيح تلامذته ببعثة صاحب هذا الاسم»[1].

ـ إخبار عيسى أنه (يمكث معكم إلى الأبد)، دليل على أن النبي ﷺ هو خاتم النبيّين، كما هو الثابت عند المسلمين. فهو الخاتم الذي لا نبيّ بعده، ويمكث معنا إلى الأبد على أن المقصود هديه ومنهجه الذي يمكث إلى الأبد. وهو ما يثبته النبي ﷺ من أن رسالته أبدية .

ـ لفظ (أنه يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم)، دليل على ما أوضحناه من أن رسالته خاتمة، فلذلك هو يُخبر عن كل شيء إذ لا نبيّ بعده.

فهو يقول: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»[2]، ويقول: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنّة نبيّه»[3]. لذلك هو (يرشدكم إلى جميع الحق).

ـ لفظ (لأنه لا يتكلم من نفسه) يناسب الآية القرآنية ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم٣-٤].

وهو الذي يُذكّر بكل ما أخبر به عيسى عليه السلام بدون تحريف أو تبديل.

ـ لفظ (روح الحق) هو وصف للنبيّ ﷺ، فهو روح الحق الذي سطعت به

(١) نقله العلامة جمال الدين القاسمي في «محاسن التأويل» ١٦: ٤٧٨٨ ـ ٥٧٩٨

(٢) رواه احمد وابن ماجة وصححه الألباني.

(٣) رواه مالك وصححه الألباني.

البشرية. وذكره للروح القُدّس في هذا الموضع يُقصد به ما يأتي به روح القُدُس ـ أي جبريل ـ وهو الوحي ـ أي القرآن؛ ولا حجّة للنصارى في عدم اتّباعه؛ إذ هو (ماكث معكم ويكون فيكم)، فهم يعرفون أوصافه وأوصاف رسالته من خلال كتبهم. ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة ١٤٦-١٤٧]. وانظر إلى ذكر ﴿الحق﴾ في المكانين القرآني والإنجيلي!

ـ وصفه بـ(رئيس العالم) يناسب النبيّ ﷺ؛ إذ هو سيّد بني آدم ولا فخر، وحامل لواء الله يوم القيامة، وصاحب الشفاعة الكبرى، وإمام الأنبياء والمرسلين. وقد وصفه المسيح بأنه أفضل منه، فقال (متى ٣/١١، يوحنا١/ ٢٣) (أنا أعمدكم بماء التوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لستُ أهلًا أن أحمل حذاءه، وهو سيعمدكم بالروح القدس ونار). والأنبياء كانوا يُرسلون إلى شعوبهم خاصّة، وأُرسل النبيّ ﷺ إلى العالم عامّة. حتى المسيح أُرسل إلى قومه فقط.

ـ لفظ (ويُخبركم بأمور آتية)، يصدُق في النبيّ ﷺ كذلك؛ فقد أخبر عن تفاصيل الأمور المستقبلية، بداية بعصره ومرورًا بالعصور التي تليه وعبورًا بأمارات الساعة والحوادث العظام، فنهايتها باليوم الآخر وأهواله العظيمة إلى الجنة ونعيمها والنار وجحيمها[1].

* * *

(١) أحداث وأمارات المستقبل مدونة في كتب السنة. ومصنفة تحت عنوان «كتاب الفتن». وهناك كتب متخصصة منها «الملاحم والفتن» لابن كثير، و«التذكرة» للقرطبي، و«الإشاعة في أشراط الساعة» للبرزخي.

٦- المنتظر المختوم والمملكة الأبدية

جاء في التوراة والإنجيل ما يدلّ على أن النبيّ المنتظر المحبوب من قبل الربّ وأنبياءه توجد عليه علامة توحي لنا كمسلمين أنها خاتم النبوّة الموجود بين كتفي النبيّ ﷺ، ففي العهد القديم: (إشعياء ٩/٦-٧) **(لأنه يُولد لنا ولد ونعطي ابنًا وتكون الرياسة على كتفه ويدعي اسمه عجيبًا مشيرًا إلها قديرًا أبًا أبديًا رئيس السلام، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد غيرة رب الجنود تصنع هذا).**

وفي العهد الجديد: (يوحنا ٦/٢٥- ٢٧): **(ولما وجدوه في عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هنا؟ أجابهم يسوع وقال: الحق أقول لكم أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم. إعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا اللّه الأب قد ختمه).**

وهذان النصان حجة لمن قد يزعم النبوّة، فالدليل أن يرينا من علاماته ما ذُكر هنا.

ولفظ (وتكون الرياسة على كتفه)، وكذلك لفظ: (لأن هذا اللّه الأب قد ختمه)، يدلّان على خاتم النبوّة المشهور بين كتفي النبيّ ﷺ؛ ففي الحديث عن عبداللّه بن سرجس: «ثم درتُ خلفه فنظرت إلى خاتم النبوّة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جمعًا عليه خيلان كأمثال التآليل»[1]، وقصة سلمان

(١) رواه مسلم.

الفارسي مشهورة حيث كان مجوسيًا فتنصَّر ثم أخبره القساوسة أنه قد أظلهم زمن نبي يخرج من أرض العرب، وآيته أنه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة، وأن بين كتفيه خاتم النبوّة. فلمّا سمع بالنبيّ جاءه فقدم له الهدية فقبلها، ثم قدم له الصدقة فلم يقبلها ووزعها ثم نظر بين كتفيه فرأى خاتم النبوّة عبارة عن شعيرات، فأسلم على اثرها!

ـ لفظ (ويُدعى اسمه عجيبًا)، يدلّ على النبيّ ﷺ؛ إذا أن اسمه لم يكن معروفًا في بني إسرائيل من قبل، بل ولا حتى عند العرب، فجاء اسمه عجيبًا فعلًا.

ولفظ (ويُدعى اسمه عجيبًا) جاءت بالترجمة الأرمنية للإنجيل(١): (**سبحوا الله تسبيحًا جديدًا وأثر سلطانه على ظهره واسمه أحمد**)!.

ـ لفظ (مشيرًا إلهًا قديرًا أبًا أبديًا) جاءت بلفظ (مشاورًا الله)، بدلًا من (مشيرًا إلهًا)(٢). واللفظ الثاني أنسب، لكن لا غضاضة؛ إذ التوراة التي عندهم تأتي أحيانًا، لركاكة لفظها، بهذا المعنى للمبالغة في صلاح الرجل، كما وصفت موسى بأنه إلّه لفرعون. والنبيُّ ﷺ هو كذلك فهو الأب الأبدي للبشرية؛ إذ كانوا جميعًا ينتظرونه.

ـ لفظ (رئيس السلام) وصف يناسب الرسول ﷺ، ويُحتمل أن يكون المقصود رئيسَ الإسلام، وهو حقًا كذلك.

ـ لفظ (لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها

---

(١) طبعة ١٧٢٢م مطبعة (أنتوني بورتلي) (البشارات بالرسول : ١٨٩)

(٢) انظر طبعة لندن ١٨٢٢م.

ويعضدها بالحق والبر)، دليل على مملكة النبيّ ﷺ المؤيّدة بالحق والبرّ والعدل. ويؤيّد ذلك ما جاء في هذه المملكة القوية:

ـ جاء في دانيال: (٤٤/٢): (**وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدًا، وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد**). وكتاب دانيال ـ عليه السلام ـ ذكر ممالك الدنيا العظيمة ثم ذكر مملكة محمّد ﷺ الأبدية، والتي عليها عشرة ملوك يحكمون بعده ثم يأتي آخر على غير نهجهم، ثم تعود المملكة لقوّتها في آخر الزّمان. وهو ما نقرّ به نحن كمسلمين.

ـ ويدل على ذلك كذلك قول الإنجيل:(متى١٧/٤) (**من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات**). وفيه: (متى٤/ ٢٣) (**وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت**). وفيه: (مرقس٤١/١) (**ويقول: قد كمُل الزمان واقترب ملكوت اللّٰه فتوبوا وآمنوا بالإنجيل**).

وفي إنجيل متّى: (**قال لهم يسوع: أما قرأتم قطّ في الكتب: الحجر الذي رفضه البنّاؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قِبَل الربّ كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم أن ملكوت اللّٰه ينزع منكم ويعطي لأمّة تعمل ثمارها. ومن سقط عليه هذا الحجر يترضرض ومن سقط هو عليه يسحقه**).

وفي هذه القولة عدة فوائد منها : ـ لفظ (الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية) ، يناسب قوله ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله ألا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس

يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[١] . فالحجر أو البناء الذي بناه الأنبياء واحداً تلو الآخر قد كمل إلَّا رأس الزاوية ، فلابد له من مكمل ليتم البناء . فكان قدوم محمد ﷺ هو المكمل ، وإلا فمن فعل ذلك؟

ـ لفظ (من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا) ، يناسب ما تقدم (ويدعى اسمه عجيباً)

ـ لفظ (لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل ثمارها)، يدل على أن الملكوت سوف ينزع من بني إسرائيل؛ إذ الخطاب لهم ، سواء كانوا نصارى أو يهوداً ؛ إذ الخطاب موجه للحواريين وهم أشرف وأفضل ممن بعدهم من أمتهم يقيناً . وهذه الأمة هي أمة الإسلام كما تقدمت الأدلة، وأمة الإسلام هي التي عملت ثمارها.

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

المحتويات

الفصل الثالث

بشارات من التوارة والإنجيل بنبوة ورسالة محمد بن عبدالله ﷺ

تمت بحمد الله

رقم الإيداع: ٢٠٠٢/٣٢٧٩
الترقيم الدولي: ٥- ١٩-٥٠٠٦-٩٧٧

دار المنارة
للنشر والتوزيع والترجمة
المنصورة - مصر - ص.ب : ٣٥٧٣٨
ت: ٠٠٢٠٥٠/٣٨٤٢٥٤ - ف : ٣١٠٥٠١
محمول : ٠١٢/٣٦٠٥٠٤٩

* * *

Dar Al-Manarah
For Translation, Publishing&
Distribution - El-Mansoura - Egypt
Tel: 002050/384254 - Fax : 310501
Hand phone: 012/3605049
P.O.BOX: 35738



Bibliotheca Alexandrina
03338132